بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

دولة بنــــي مـــريـــن: تاريخها، وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668-869هـ/1269-1465م)

إعــداد الطالب

عـــــامـــــر أحـــمـــد عـــبـــد الله حســـــن

إشـــراف

الــــدكتـــور عـــدنان ملـــحـــم

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين .

1424هـ / 2003م

دولة بنـــي مـــريـــن: تاريخها،

وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا

(668-869هـ/1269-1465م)

إعــداد الطالب

عـــامـــر أحـــمـــد عـــبـــد الله حســـن

نـــوقشـــــت هـــــذه الأطروحة بتـــاريـــخ 2003/9/27 م وأجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
1- الدكتور عدنان ملحم	رئيســــــــاً .	[signature]
2- الدكتور رياض شاهين	ممتحناً خارجياً .	[signature]
3- الدكتور سعيد البيشاوي	ممتحناً خارجياً .	[signature]
4- الدكتور جمال جودة	ممتحناً داخـــلياً .	[signature]

الإهـــــــداء

إلى روح والدي الإنسان .... والأرض .

الشكر والتقدير

بعد إنجاز هذا البحث وإتمامه ، أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الدكتور عدنان ملحم الذي أشرف على جميع مراحله ، وكان خير معلم ومعين وصديق ، ومن خلاله أتقدم ببالغ الشكر والعرفان إلى أعضاء الهيئة التدريسية في قسم التاريخ في جامعة النجاح الوطنية ، الذين طالما نهلت من معين علمهم الذي لا ينضب .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر لمكتبة بلدية طولكرم رئيساً وعاملين، ولطاقم مكتبة بلدية نابلس على ما قدموه لي من عون ومساعدة لإنجاز هذا العمل.

وأتوجه بالتقدير والعرفان للأستاذ محمد أمين نصار على جهوده في تدقيق هذا البحث لغوياً ، وللأخ بسام شقدان على تزويده إياي بما توفر لديه من المصادر والمراجع ، والشكر موصول إلى طاقم مركز سدله سوفت في مدينة عنبتا على جهوده وسرعته في طباعة وتنسيق هذه الأطروحة .

والله الموفق

محتــويــات البحــث

فهـرس الخرائــط

فهـــرس الجـــداول

فهــــرس الأشــكال

المختصرات والرموز

أ- المختصرات:-

أشير إلى المصادر والمراجع في الهوامش كما يلي:-

1- أذكر في الهامش اسم المؤلف أو اسم شهرته ، والكلمة الأولى من اسم كتابه ، ثم الجزء (إن كان له أجزاء) ، والصفحة ، كما يلي:-

- **الناصري:** الاستقصا، ج1، ص127 .
- **الغنيمي:** موسوعة، ج3، ص100 .

2- أشير في الهامش إلى عبد الرحمن بن خلدون كما يلي:-

- **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص160 .
- **ابن خلدون:** المقدمة، ص52 .

أما يحيى بن خلدون فأشير إليه:-

- **ابن خلدون،** يحيى: بغية، ج1، ص50 .

3- إذا كان للمؤلف أكثر من كتاب يبتدئ بنفس الكلمة، أذكر الكلمة الأولى والثانية من اسم كتابه كما يلي:-

- **سالم:** تاريخ المغرب، ص75 .
- **سالم:** تاريخ المسلمين، ص130 .

ب- الرموز:-

الرموز التالية تعني ما يلي:-

د. ت	بدون تاريخ نشر .
د. م	بدون مكان نشر .
د. ن	بدون ناشر .
د. ط	بدون طبعة .
ط	طبعة .
ج	جزء .
م	ميلادي .
ق. م	قبل الميلاد .
هـ	هجري .
ق. هـ	قبل الهجرة .
ت	توفي .
ق	قسم .
ص	صفحة .
ع	عصر .
مج	مجلد .
*	الكلمة التي تحمل نجمة في المتن معرفة بالهامش .

الملخص

تعد قبيلة بني مرين الزناتية البربرية نموذجاً للقبيلة البدوية التي استطاعت بفضل جهود قادتها وعلى مدار ما يقارب من ستين عاماً من الكفاح أن تفرض واقعاً سياسياً وقبلياً جديداً في بلاد المغرب الأقصى ، على حساب نفوذ دولة الموحدين (524-668هـ/1130-1269م) الذي بدأ يتلاشى تدريجياً منذ هزيمتها في معركة العقاب في الأندلس سنة 609هـ/1212م أمام الممالك النصرانية الإسبانية .

استغل المرينيون الظروف السياسية والاقتصادية السيئة التي عاشتها دولة الموحدين منذ مطلع القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، حين بدأ الصراع على السلطة وأصبح الخلفاء ألعوبة بيد الوزراء مما أدى إلى إضعاف الدولة وتعرض أمنها الخارجي للخطر ، وبروز حركات التمرد والنزعات الاستقلالية داخل الدولة ، مما أدى إلى انفصال الحفصيين في تونس سنة 627هـ/1230م ، وبني زيان في تلمسان سنة 633هـ/1235م وبني الأحمر في غرناطة سنة 635هـ/1237م ، ففقدت الدولة معظم أملاكها في المغرب والأندلس ، في حين كان المرينيون يمهدون الطريق نحو إقامة دولتهم .

دخل المرينيون المغرب الأقصى تحت قيادة الأمير عبد الحق المريني (592-614هـ/1196-1217م) واستطاعوا السيطرة على معظم بوادي المغرب الأقصى ، إلا أن الزحف المريني توقف فترة من الزمن بعد مقتل الأمير محمد بن عبد الحق سنة 642هـ/1245م على أيدي الموحدين ، فقام خليفته الأمير أبو بكر بن عبد الحق (642-656هـ/1245-1258م) بالعمل على تقوية الجبهة الداخلية وإعادة النظر في سياستها

الخارجية، فهادن الموحدين ودعا للحفصيين في تونس ، وتمكن خلال عهده من انتزاع مكناسة وفاس وسلا ورباط الفتح ودرعة وسجلماسة وسائر بلاد القبلة ، مما اضطر الموحدون إلى دفع الجزية لبني مرين .

واستطاع السلطان يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م) انتزاع مراكش من أيدي الموحدين سنة 668هـ/1269م ، وأتبع ذلك بإخضاع بلاد السوس وبلاد درعة ، وهزيمة بني زيان في معركة وادي إيسلي قرب وجده سنة 672هـ/1273م ، وسيطر على طنجة وسبتة وسجلماسة .

بعد ذلك اتجه المرينيون للدفاع عن مملكة غرناطة ضد الممالك النصرانية الإسبانية، فعبر السلطان يعقوب بن عبد الحق أربع مرات إلى الأندلس خاض خلالها حروباً شرسة ضد الإسبان ، وحقق انتصارات كبيرة وأجبرهم على الإذعان للسلم والرضوخ للشروط المرينية ، إلا أن ذلك لم يلق الصدى المطلوب من جانب الملك الغرناطي محمد الفقيه (671-701هـ/1272-1301م) ، الذي خشي أن يسيطر المرينيون على بلاده ، وخاصة حين تحالف المرينيون مع بني أشقيلولة ، فقام محمد الفقيه بالاستيلاء على مدينة مالقة والتحالف مع بيدرو الثالث ملك أراغون (1276-1283م) وبني زيان ضد بني مرين .

حرص السلطان يوسف بن يعقوب (685-706هـ/1286-1306م) على مواصلة قتال الممالك النصرانية ، وتحسين العلاقات مع غرناطة فتنازل لها عن جميع القواعد المرينية الفرعية في الأندلس ورحّل بني اشقيلولة إلى المغرب سنة 687هـ/1288م ، ولكن ذلك لم يلغ نزعة الريبة لدى الغرناطيين ، إذ قام محمد الفقيه ملك غرناطة بالتحالف مع سانشو ملك قشتالة، فسيطر الأخير على مدينة طريف سنة 691هـ/1292م ، وقام الغرناطيون من جانبهم باحتلال مدينة سبتة المغربية سنة 705هـ/1305م .

وقد أدت هذه الخلافات المرينية الغرناطية إلى استيلاء النصارى على جبل الفتح (جبل طارق) سنة 609هـ/1309م ، وتبع ذلك إبرام صلح بين فاس وغرناطة من جهة وقشتالة وأراجون من جهة أخرى ، ولكن الجبل ما لبث أن تحرر سنة 733هـ/1333م على يد الأمير أبي مالك بن السلطان أبي الحسن المريني (731-749هـ/1331-1348م) الذي قاد أبوه سنة 741هـ/1340م معركة طريف ضد الممالك النصرانية الإسبانية ، بيد أنه مني بهزيمة مما اضطره لعقد صلح طويل الأمد مع الممالك النصرانية .

ساد الهدوء والسلم أجواء العلاقات المرينية الغرناطية ، والمرينية النصرانية خلال عهد السلطان أبي عنان فارس المريني (749-759هـ/1348-1358م) ، ولم ينغص على هذه العلاقات سوى لجوء الأمير أبو الفضل محمد بن أبي الحسن المريني إلى قشتالة بعد أن كان لدى بني الأحمر في غرناطة ، إلا أن ذلك لم يمنع من تبادل السفارات بين كافة الأطراف .

خلال فترة نفوذ الوزراء في الدولة المرينية (759-869هـ/1358-1465م) استبد الوزراء والحجاب بشؤون الدولة ، وأصبح كثير من السلاطين نتيجة لصغر سنهم ألعوبة بأيدي الوزراء ، وأصبحت سياسة الدولة المرينية الخارجية تميل باتجاه علاقات البلاط ودسائس القصور ، فبرزت ظاهرة اللجوء السياسي وأصبحت غرناطة قاعدة لانطلاق المطالبين بالعرش المريني ، كما حدث مع السلطان أبي سالم إبراهيم في دولته الأولى (760-762هـ/1359-1361م) ، وعندما خلع الملك الغرناطي الغني بالله محمد سنة 760هـ/1359م لجأ إلى فاس ومعه وزيره لسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ/1374م) .

ساءت العلاقات مع غرناطة خلال عهد السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن (767-774هـ/1365-1372م) وذلك بسبب مطالبة غرناطة بتسليمها الغني بالله ووزيره ، وعلى خلفية ذلك قام بنو الأحمر بالتدخل في الشؤون الداخلية للمغرب من خلال تنصيبهم

السلاطين هناك ، ومثال على ذلك تنصيب السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم في دولته الأولى (776-786هـ/1374-1384م) .

أما فيما يتعلق بسياسة الدولة المرينية تجاه الممالك النصرانية ، فقد تراوحت هذه السياسة ما بين عقد اتفاقات سياسية وتجارية بين الطرفين ، كتلك التي حدثت سنة 768هـ/1367م مع الأراجونيين ، وما بين سياسة علاقات البلاط والتدخل في الشؤون الداخلية من جهة أخرى .

وقد تركز التدخل القشتالي والأراجوني في شؤون الدولة المرينية في التآمر الدائم مع الثائرين من أبناء البيت المريني ، بهدف مساعدتهم على تولي السلطة في المغرب كما حدث عندما ساعدت قشتالة الأمير أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن سنة 760هـ/1359م على اعتلاء سدة الحكم في المغرب ، وفي الوقت نفسه استمرت الممالك النصرانية بما فيها البرتغال بسياستها العدوانية تجاه الأندلس والمغرب على حد سواء .

أخيراً فقد استفاد المرينيون من جو الاستقرار الداخلي الذي ساد دولتهم ، لتطوير وضعهم الاقتصادي ، فازدهر على اختلاف صعده تجارياً وصناعياً وزراعياً ، وتمكنت الدولة المرينية أن تترك بصمات حضارية ما زالت ماثلة للعيان حتى وقتنا هذا ، خاصة في النواحي المعمارية والثقافية والدينية والعلمية ، بدعم من سلاطينهم الذين لم يقيموا دولتهم على أساس فكريٍ أو سياسيٍ أو ديني خاص ، مما أعطى هامشاً كبيراً للإبداع والتطور الفكري والحضاري على مختلف الصعد ، فبنى المرينيون المدن الجديدة كفاس الجديد وتطاوين والمنصورة والقاهرة والبنية وغيرها ، واهتموا ببناء المدارس والمساجد والأربطة والمؤسسات الوقفية المختلفة .

وأبدع المرينيون في استحداث النظم الإدارية والعسكرية ، فأصبحت لديهم دولـــة قويـــة فرضت نفسها سياسياً وعسكرياً في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ، إلا أنها ما لبثـــت أن انهارت سنة 869هـ/1465م تحت وطأة الخلافات الداخلية التي تمحورت حول التنـــافس علـــى تولي السلطة في بلاد المغرب الأقصى .

المقـــــدمـــة

مرت معظم المؤلفات والدراسات المغربية ، والمغربية الأندلسية ، والرســـائل العلميـــة مروراً سريعاً على ذكر دولة بني مرين (668هـ-869هــــ/1269-1465م) ، ولــم تعطــها حقها في الدراسة والتحليل ، رغم أنها حكمت بلاد المغرب الأقصى من وادي ملوية شرقاً حتــى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن البحر المتوسط شمالاً حتى الصحراء الكبرى جنوباً حقبـــة تزيــد على القرنين ، فأسهمت في تحقيق التواصل السياسي والحضاري للأمة الإســلامية مــن خــلال محافظتها على تراث الأمة حياً نابضاً في الجناح الغربي للعالم الإسلامي .

نظراً لقلة المراجع الحديثة التي تناولت تاريخ هذه الدولة أو جزءاً منه بالتفصيل والشــوح والتحليل المطلوبين ، ولأن أحداً لم يكتب في هذا الموضوع الدقيق بالذات ، فقد قمـــت باختيــار موضوع البحث بعنوان " **دولة بني مرين: تاريخها، وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسـية والممالك النصرانية في إسبانيا (668-869هـ/1269-1465م)** " ، وذلك بـــهدف التعريـــف بالمرينيين من حيث جغرافية بلادهم وأصولهم القبلية ، والظروف التاريخية التـــي ســبقت قيــام دولتهم ، وجهودهم في سبيل إقامتها ، وحدودها الجغرافية والسياسية ، وسير أهم القادة المرينييـن الذين نسجوا خيوط التاريخ في الفترة الخاصة من حكم هذه الدولة .

وعالج البحث في جوانبه نموذجاً لكيفية تحوّل القبائل البدوية من مرحلـــة البــداوة إلـــى مرحلة بناء الدول وإنجاز الاستقلال السياسي ، وهدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على السياســـة الخارجية للدولة المرينية تجاه مملكة غرناطة الأندلسية ، ودور المرينيين السياســـي والعســكري في إطالة عمر هذه المملكة من خلال الدفاع عنها فـــي وجـــه اعتـــداءات الممـــالك النصرانيـــة

الإسبانية، وكيف أدى الجهاد المريني في الأندلس إلى تراجع مد حركة الممالك النصرانية الإسبانية وانحساره في مناطق سيطرتها الأولى ، وبالمقابل كيف أثرت العلاقات المرينية الغرناطية السيئة – في كثير من مراحلها – سلباً على الخريطة الجغرافية والسياسية لمملكة غرناطة لصالح الممالك النصرانية الإسبانية .

وهدفت الدراسة إلى إبراز الدور الحضاري الذي لعبته الدولة المرينية على مدار تاريخها على جميع الصعد العلمية والثقافية والدينية والمعمارية والاقتصادية .

وكان من أهداف الدراسة أيضاً إظهار دور الخلافات الداخلية والتنافس على تولي السلطة في تقويض الدول وانهيارها ، كما حدث للدولة المرينية ، والدولة الموحدية من قبل .

وبعد أن قمت بمسح لما قام به الباحثون في مجال هذه الدراسة ، وجدت أن قليلاً من الباحثين قد تطرق بالتفصيل لتاريخ الدولة المرينية وعلاقاتها السياسية ، ما عدا بعض المؤلفات الحديثة التي تناولت ذلك أو جزءاً منه بشيء من التفصيل وهي:-

عبد الفتاح مقلد الغنيمي : موسوعة المغرب العربي ، وأحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، نجيب زبيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس ، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، أما الرسائل العلمية التي كتبت حول تاريخ المغرب والأندلس فقد تطرقت إلى هذا الموضوع على شكل شذرات وعناوين جانبية هنا وهناك .

خلال المراحل التي اجتزتها لإنجاز البحث واجهتني بعض العقبات كان أبرزها قلة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع البحث بالتفصيل ، وعدم تمكني من السفر والوصول إلى المكتبات العامة بحرية .

ومن أجل تحقيق الأهداف المرجوة قمت بتقسيم البحث إلى خمسة فصول:-

الفصل الأول :- وهو بعنوان:- **الواقع الجغرافي ، والتاريخي للمغرب والأندلس قبيل قيام دولة بني مرين (609-668هـ/1212-1269م)** وتحدثت في القسم الأول منه عن الواقع الجغرافي لبلاد المغرب بشكل عام من حيث حدودها وتقسيماتها الجغرافية والسياسية ، ومن ثم انتقلت إلى المغرب الأقصى فتحدثت عن أقاليمه ومميزاته الجغرافية ، وألحقت ذلك بإعطاء نبذه عن جغرافية مملكة غرناطة الأندلسية من حيث حدودها وولاياتها وأهم مدنها وطبيعتها الجغرافية .

وتضمن القسم الثاني من هذا الفصل ملامح عامة عن أوضاع الدولة الموحدية منذ معركة العقاب سنة 609هـ/1212م ، التي شكلت منعطفاً مهماً في التاريخ الموحدي وحتى قيام دولة بني مرين سنة 668هـ/1269م مع مثيلاتها من الدويلات التي قامت - قبيل ذلك - على أنقاض دولة الموحدين في المغرب والأندلس .

وتناول الفصل الثاني وهو بعنوان:- **جهود المرينيين في تشييد صرح دولتهم** ، التعريف بالمرينيين من حيث نسبهم ومنازلهم ودورهم السياسي خلال فترة المرابطين (454-543هـ/1062-1148م) والموحدين (524-668هـ/1130-1269م) ، ومن ثم استعرضت الجهود التي قام بها أمراء المرينيين على مدار أكثر من خمسين عاماً لتأسيس دولتهم حتى فتح مراكش سنة 668هـ/1269م ، واتبعت ذلك بجهود السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (656هـ - 685هـ/1258-1286م) في توطيد أركان الدولة .

أما الفصل الثالث فقد حمل عنوان:- **سياسة دولة بني مرين تجاه مملكة غرناطة الأندلسية** ، وقمت بتقسيمه إلى أربعة عصور شملت كافة مراحل تاريخ الدولة المرينية ، واستعرضت فيه الأحداث التي ميزت العلاقات السياسية المرينية حيال مملكة غرناطة الأندلسية

وما رافق تلك العلاقة من مراحل مدّ وجزر ، وتأثير ذلك على الخريطة السياسية والجغرافية في الأندلس .

وخصص الفصل الرابع وعنوانه:- **سياسة دولة بني مرين تجاه الممالك النصرانية في إسبانيا** ، للحديث عن الأوضاع الداخلية للممالك النصرانية (قشتالة وأراجون والبرتغال) التي كانت موجودة خلال تلك الفترة والتي تناولها البحث مع إعطاء نبذه عن أبرز ملوكها ، وتناولت مادة هذا الفصل سياسة المرينيين الخارجية تجاه الممالك النصرانية الإسبانية .

وهدف الفصل إلى إبراز الدور الجهادي للمرينيين في مواجهة الممالك النصرانية من خلال استعراض أهم المعارك والعمليات العسكرية التي قاموا بها على الأراضي الأندلسية وما رافق ذلك من اتفاقيات سياسية حتى سنة 759هـ/1358م ، وتحدثت أيضاً عن العلاقات المرينية النصرانية خلال فترة نفوذ الوزراء ، التي تراوحت ما بين تدخل الإسبان في شؤون المغرب ، وما بين عقد بعض المعاهدات والسفارات السياسية والتجارية بين الطرفين .

وتطرقت في نهاية هذا الفصل للأزمات السياسية المتلاحقة التي عاشتها دولة بني مرين خلال فترة نفوذ الوزراء (759-869هـ/1358-1465م) ، وأبرزت الدور السلبي الذي لعبه هؤلاء من خلال استئثارهم بالسلطة دون السلاطين وتنافسهم عليها مما أدى إلى ضعف الدولة وانهيارها سنة 869هـ/1465م .

أما الفصل الخامس والذي حمل عنوان:- **جوانب من حضارة الدولة المرينية** ، فقد تحدثت فيه بصورة موجزة عن المعالم الحضارية للدولة المرينية وتضمن ذلك نظام الحكم المريني وعناصره وتطرقت بشكل موجز للجيش البري المريني والأسطول .

وتطرق الفصل إلى استفادة المرينيين من حالة الاستقرار التي سادت جبهتهم الداخلية ، من أجل النهوض بالحركة العمرانية المرينية وبناء المدن وتطوير الناحية الاقتصادية ، ثم

تحدثت عن اهتمام المرينيين بالناحية العلمية والدينية والذي تجلى في بناء المـــدارس التعليمية والمؤسسات الدينية المختلفة.

اعتمدت في كتابة هذا البحث على مجموعة كبيرة من المصادر الأصلية ، والمراجع الحديثة التي تناولت موضوع البحث بشكل مباشر أو غير مباشر ، إلا أنني سوف أتناول بالدراسة والتحليل عدداً من المصادر والمراجع التي كان لها دور مميز في استيفاء مادة البحث وإغنائها .

وقد أتيت على ذكر المصادر حسب سنوات الوفاة من الأقدم إلى الأحدث ، أما المراجع فرتبتها وفق الأحرف الأبجدية لاسم الشهرة الخاص بالمؤلف .

1- المصادر التاريخية .

- **ابن أبي زرع، علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (ت 741هـ/1340م) : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية .**

لا يعرف على وجه التحقيق اسم مؤلف الكتاب ، إلا أن مقارنة بسيطة بين عبارات المصدر ونصوصه يظهر بسهولة أن مؤلفه ومؤلف **(الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس)** هو ابن أبي زرع الفاسي[(1)] .

عُدّ ابن أبي زرع من بيوتات فاس الكبرى ، وعمل مدرساً وواعظاً وخطيباً بالجامع الكبير بفاس الجديد ، واشترك في معركة طريف سنة 741هـ/1340م وقتل فيها[(2)] ، من تصانيفه **زهرة البستان في أخبار الزمان**[(3)] .

(1) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص(5-6) .

انظر أيضاً :- **كحالة**: معجم، ج2، ص494 .

(2) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص6 . انظر الفصل الرابع من البحث للإطلاع على معركة طريف .

(3) **خليفة**: كشف، ج5، ص717 .

يعد كتاب الذخيرة من أهم المصادر العربية ، وتعود أهميته إلى أن مؤلفه يعتبر من مؤرخي البلاط المريني ، حيث عاصر كثيراً من أحداث الدولة المرينية وعاينها ، فقد قال: " وإني لما رأيت الخلافة العبد الحقية العثمانية *[1] باهرة ... أردت خدمة جلالها... بتأليف كتاب أؤرخ فيه أيام الدولة السعيدة المرينية العبد الحقيّة...معتمداً في جميع ما أذكره من ذلك على ما شاهدته وقيدته " [2] .

جمع المؤلف في تصنيف كتابه بين نمط التراجم والنمط الحولي ، فبعد أن ذكر نسب بني مرين ومواطنهم الأولى ، ودخولهم المغرب الأقصى سنة 610هـ/1213م ، أتى على ذكر أمراء وسلاطين بني مرين وأحداث عصورهم ابتداءً من الأمير أبي محمد عبد الحق بن محيو ، مستعرضاً أحداث الدولة المرينية في عهده ، وانتقل إلى خلفائه من الأمراء والسلاطين حتى عصر السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (710-731هـ/1310-1331م) وخلال ذلك استعرض أحداث السنوات ، ابتداءً من سنة 600هـ/1203م ، حتى عصر السلطان أبي سعيد عثمان ، إلا أن النسخة التي بين أيدينا انتهت عند قيام السلطان يعقوب بن عبد الحق ببناء مدينة فاس الجديد سنة 674هـ/1276م .

أفادني هذا الكتاب في ضبط نسب بني مرين ومعرفة سير وتاريخ أمرائهم وسلاطينهم ، وجهود هؤلاء من أجل تأسيس دولتهم خلال مقارعة الموحدين وبني زيان المجاورين لهم ، وشمل ذلك الفترة التاريخية الواقعة بين بداية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)

---

*[1] العبد الحقية : نسبة إلى الأمير عبد الحق بن محيو بن أبي بكر (592-614هـ/1195-1217م) أما العثمانية فنسبة إلى السلطان المريني عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (710-731هـ/1310-1331م) الذي ألف ابن أبي زرع كتابه في عصره ، ابن أبي زرع: الذخيرة، ص12،24 .

[2] ابن أبي زرع: الذخيرة ، ص11 .

مروراً بفتح مراكش سنة 668هـ/1269م وإقامة الدولة المرينية ، وانتهاءً ببناء مدينة فاس الجديد سنة 674هـ/1276م .

- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس .**

يسرد فيه المؤلف تاريخ المغرب بشكل عام والمغرب الأقصى وفاس بشكل خاص ، من سنة 169هـ/785م حتى سنة 726هـ/1326م من سنوات عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني .

اختلفت طريقة صياغة عبارات ابن أبي زرع في هذا الكتاب - مقارنة بكتاب الذخيرة - باختلاف المؤرخين والرواة الذين نقل عنهم ، ولهذا وجد في عباراته ما هو بليغ ومتوسط وركيك ، ولم يستخدم أسلوب الحوليات الذي اعتاد على استخدامه مؤرخو العصر الوسيط ، ولكنه كتب كأنه يؤرخ للدول ، فذكر الدولة ونسبها ومراحل تأسيسها ، ثم ذكر سلاطينها واحداً واحداً مع ذكر أهم أعمالهم ، ثم سرد في نهاية الحديث عن كل دولة أهم أحداث أيامها .

استفدت من الكتاب في التعرف على الدول التي تعاقبت على حكم المغرب الأقصى وخاصة دولة الموحدين (524-668هـ/1130-1269م) التي سبقت دولة بني مرين في الحكم فتعرفت على أوضاع الدولة الموحدية قبيل قيام الدولة المرينية (609-668هـ/1212-1269م)، والخطوات السياسية والعسكرية التي اتبعتها المرينيون من أجل القضاء على نفوذ الموحدين وتأسيس دولتهم ، وتعرفت أيضاً على سياسة دولة بني مرين تجاه مملكة غرناطة الأندلسية وتجاه الممالك النصرانية في إسبانيا حتى نهاية الربع الأول من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وأفادني الكتاب بما توفر به من معلومات حضارية .

- **ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن الخطيب التلمساني(ت 766هـ/1374م).**

ولد سنة 713هـ/1313م في لوشة بالقرب من غرناطة ، حيث كان أبوه يعمل لدى البلاط الغرناطي ، ونشأ هناك فدرس وقرأ وتأدب على أيدي مشايخها فأصبح ملماً بالأدب والشعر والعلوم ، مدح السلطان الغرناطي أبي الحجاج يوسف الأول (733-755هـ/1333-1354م) ، فرقاه في خدمته وسلمه ديوان الإنشاء ، وعمل أيضاً في دولة الغني بالله محمد الخامس الأولى (755-760هـ/1354-1359م)[1] .

وقد استفدت من ثلاثة مصادر مهمة له وهي:-

- **اللمحة البدرية في الدولة النصرية.**

يقع في جزء واحد ، تحدث فيه ابن الخطيب عن موقع مملكة غرناطة وفضائلها وملوكها وأفعالهم ومن عاصرهم من ملوك وسلاطين وأمراء الدول المجاورة[2] . حتى سنة 765هـ/1363م[3] .

صنف المؤلف الكتاب على نمط كتب التراجم ، حيث بدأ بذكر ترجمة الملك الغرناطي محمد بن يوسف بن الأحمر – الشيخ المؤسس – (ت 671هـ/1272م)[4] ، فذكر اسمه الكامل ثم أوصافه الشخصية وسيرته وأولاده ووزراءه وكتّابه وقضاته والملوك على عهده وأهم

---

(1) لمزيد من التوسع في ترجمة ابن الخطيب من حيث مولده ونشأته وحياته السياسية والعلمية ، انظر:- ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص(20-43) ، ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص332 ، ابن العماد: شذرات ، ج1 ، ص(69-70) . أنظر أيضاً:- العبادي: في تاريخ ، ص(361-364) ، أشباخ: تاريخ، ج2، ص(262-263) .

(2) ابن الخطيب: اللمحة، ص19 .

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص55 .

(4) ابن الخطيب: اللمحة، ص42 .

الأحداث في أيامه ، واستمر في ذكر ملوك غرناطة بالتتابع الزمني على هذا النحو حتى انتـــهى إلى سنة 765هــ/1363م من عهد الملك الغني بالله محمد بن يوسف الأحمر في دولته الثانيـــة (762-793هــ/1361-1390م) [1] .

أفدت من الكتاب في استقاء بعض المعلومات الجغرافية الخاصة بمملكة غرناطة ، كمـــا أفادني في ضبط أسماء وتسلسل حكم ملوك غرناطة ، وساعدني في أخذ فكرة عن سيرة حيـــاة ملوك بني الأحمر وسنوات حكمهم ، وأفادني في معرفة سياسية دولة بني مرين تجـــاه مملكـــة غرناطة من جهة ، والممالك النصرانية من جهة أخرى ، واستعنت به للتعرف علـــى الملـــوك والسلاطين والأمراء الذين عاصروا ملوك غرناطة خلال الفترة التي عالجها الكتاب .

- **الإحاطة في أخبار غرناطة** (أربعة أجزاء) .

هو عبارة عن تراجم لملوك وأمراء وعلماء وقضاة مملكة غرناطة ، وجميع من وفــدوا عليها من المشرق والمغرب مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم ، وذكر ابن الخطيب أن الدافع لكتابته كان حبه لوطنه غرناطة [2] .

وقد اعتمد المؤلف في ترتيب معلوماته نفس الطريقة التي اعتمدها في كتـــاب اللمحـــة البدرية مع اختلاف في ترتيب المترجم لهم ، ويعتبر هذا الكتاب موســـوعة تاريخيـــة لمملكـــة غرناطة منذ قيامها حتى تاريخ الانتهاء من التأليف (أي قبل سنة 776هــ/1374م) .

أفادني الكتاب في ضبط أسماء وتاريخ وفيات وترجمة الأعلام التي وردت في البحـث ، وشملت هذه الأعلام شخصيات مرينية ومغربية عاصرت فترات حكـــم المملكـــة الغرناطيـــة ، وأفادني ذلك في الإطلاع على سير العلاقات المرينية الغرناطية والمرينية النصرانية .

---

[1] ابن الخطيب: اللمحة، ص129 .

[2] ابن الخطيب: الإحاطة، ج1 ، ص(79-88) .

- **كناسة الدكان بعد انتقال السكان.**

وضعه ابن الخطيب في بداية إقامته بمدينة سلا المغربية عندما كان منفياً إلى المغرب سنة 760هـ/1359م ، وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل الرسمية من إملائه كان قد كتبها في بداية حياته الوزارية على لسان بلاط غرناطة في عهد أبي الحجاج يوسف بن الأحمر (733-755هـ/1333-1354م) ، موجهة إلى نظيره السلطان المريني أبي عنان فارس (749-759هـ/1348-1358م) ، وتعالج هذه الرسائل العلاقات السياسية بين فاس وغرناطة في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وقد بلغت هذه الرسائل خمساً وعشرين ، لم تخل أيضاً من رسائل ذات مضامين اجتماعية .

استفدت من هذا الكتاب في استقاء معلومات هامة حول العلاقات السياسية والاجتماعية التي سادت أجواء العلاقة بين فاس وغرناطة في عهد السلطان أبي عنان فارس ونظيره الغرناطي أبي الحجاج يوسف بن الأحمر ، خاصة وأن هذه العلاقة قد غلب عليها الطابع الدبلوماسي ، على عكس العلاقات التي كانت قائمة في عهد من سبق هؤلاء الحكام والتي غلب عليها الطابع الجهادي والسياسي معاً .

- **ابن الأحمر**، أبو الوليد ،إسماعيل بن يوسف ، (ت 807هـ / 1404م) : **روضة النسرين في دولة بني مرين .**

يعد ابن الأحمر من كبار مؤرخي وأدباء ونسابة عصره ، ومن آثاره البديع في وصف الربيع ، ومستودع العلامة ومستبدع العلامة ، وهو من وفيات فاس [1].

---

[1] كحاله: معجم ، ج1 ، ص384 .

والكتاب عبارة عن سجل تاريخي لأسماء أمراء وسلاطين دولة بني مرين ، وكناهم وألقابهم وأنسابهم وتواريخ ميلادهم وولاياتهم ووفياتهم ، مع بيان أوصافهم الخَلقية والخُلقية ، وذكر رجال دولتهم من وزراء وحجّاب وقضاة وكتّاب ، ويشبه هذا الكتاب إلى حد بعيد سجلات الأحوال المدنية، مما مكن المؤرخ من معرفة الأسماء والتواريخ الهامة بدقة وسهولة[1].

يبدأ الكتاب بذكر نسب بني مرين وجذورهم القبلية ثم يأتي على أمراء وسلاطين بني مرين ابتداءً من الأمير الأعذر العسكري (المخضب) (ت 540هـ/1145م) حتى السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم المريني (800-823هـ/1398-1420م) ، ثم أتى المؤلف على ذكر ملوك بني زيان ابتداءً من سنة 631هـ/1233م حتى السنوات الأخيرة قبل وفاته ، ويعكس الكتاب في صفحاته الأخيرة الصراع العنيف الذي نشأ بعد انهيار دولة الموحدين بين بني مرين وبين زيان ملوك تلمسان والذي استمر على مدار تاريخ الدولة المرينية، وانتهى الكاتب من تأليفه سنة وفاته[2] .

استفدت من الكتاب في ضبط نسب بني مرين وأسماء أمرائهم وسلاطينهم ووزرائهم وقضاتهم وأعيانهم وسنوات حكمهم ووفياتهم .

- **ابن خلدون ، أبو زيد، عبد الرحمن** ، (ت 808هـ/1405م) : **مقدمة ابن خلدون** ، وهو الجزء الأول من كتاب " **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** " (سبعة أجزاء) .

---

(1) **ابن الأحمر**: روضة، ص3 .

(2) المصدر نفسه، ص60 .

يعود أصل ابن خلدون إلى إشبيلية ، وهو من مواليد تونس سنة 732هـ/1332م ، خدم في البلاط المريني ، وتبوأ العديد من المناصب السياسية والدينية في أكثر من عاصمة في مصر وبلاد المغرب[1] .

يتصدر **مقدمة ابن خلدون** الحديث عن فضل علم التاريخ ومذاهبه ، وتحوي المقدمة على معلومات تاريخية وفكرية وسياسية وحضارية تشمل الخطط والنظم والعلوم والمعارف المختلفة، ويتضح أن ابن خلدون قد أعد هذه المقدمة لتصدير فكره السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعلمي ، وقد استفدت من الكتاب في استقاء الكثير من المعلومات الحضارية الخاصة بدولة بني مرين .

أما أجزاء المصنف الستة فاحتوت على أخبار العرب وأجيالهم منذ بدء الخليقة إلى عصر المؤلف ، متضمنة أخبار البربر وأجيالهم ودولهم في المغرب على مر العصور ، وقد اعتمد المؤلف في ترتيب أفكاره ومعلوماته على التسلسل الزمني للأحداث والوقائع التاريخية ، ويعد هذا الكتاب موسوعة تاريخية شاملة ، وكتاب تاريخ دول وأمم وحضارة أيضاً .

وقد استفدت من معظم أجزاء هذا المصنف وخاصة الجزء السابع الذي يحوي معلومات غنية ومفصلة حول المرينيين منذ بداية أمرهم ، مروراً بجهودهم في تشييد صرح دولتهم ، حتى سنة 783هـ/1381م ، وأفاد البحث في التعرف على سياسة دولة بني مرين تجاه مملكة غرناطة، وجهاد المرينيين في الأندلس ، وما رافق ذلك من معاهدات واتفاقيات سياسية مع النصارى الإسبان .

---

(1) انظر ترجمته كاملة لدى **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج3، ص(497-516) ، **ابن خلدون**: العبر ، ج7، ص(384-462)، **ابن العماد**: شذرات، ج9، ص(114-115) .

انظر أيضاً:- **كحالة**: معجم ، ج2 ، ص(119-120) .

• **القلقشندي، أبو العباس، احمد بن علي (ت 821هـ/1418م) : صبح الأعشى في صناعة الانشا** (خمسة عشر جزءاً) .

ولد القلقشندي سنة 756هـ/1355م في قلقشندة *[1] ، وبرع في اللغة والأدب والإنشاء، وعمل بالتدريس والإفتاء ، والتحق بديوان الإنشاء السلطاني بمصر مما أتاح له تأليف كتابه هذا، والذي فرغ منه سنة 814هـ / 1411م[2] ، وهو عبارة عن مصنف موسوعي لا يمكن لأي باحث في تاريخ المغرب والأندلس الاستغناء عنه .

استفدت بشكل كبير من الجزء الخامس من الكتاب ، وخاصة عندما تحدث المؤلف عن أوضاع الدولة الموحدية قبل قيام دولة بني مرين وعن نسب بني مرين ومنازلهم الأولى وسلاطينهم ، واحتوى هذا الجزء على معلومات حضارية أفادتني في الفصل الأخير من البحث.

• **المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1042هـ/1632م) : نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب** (ثمانية أجزاء) .

المقري مؤرخ جزائري من مدينة مقرة *[3]، عمل خطيباً بجامع القرويين بفاس وزار بلاد المشرق ، تأثر بشخصية ابن الخطيب فشكل له ذلك دافعاً لتأليف كتابه[4] .

---

*[1] **قلقشندة**: من أعمال القليوبية بالديار المصرية ، **القلقشندي**: صبح ، ج1، ص20 .

[2] **القلقشندي**: صبح ، ج1 ، ص(19-25) ونهاية ، ص(3-6) .

أنظر أيضاً:- **كحاله**: معجم ، ج1 ، ص(196-197) .

*[3] **مقرة**: مدينة من مدن تلمسان بالمغرب الأوسط ، قريبة من قلعة بني حماد ، **الحموي**: معجم، ج8، ص302 ، **المقري**: نفح ، ج1، ص8 .

[4] **العبادي**: في تاريخ ، ص381 .

أفاد الكتاب البحث في الاطلاع على جغرافية مملكة غرناطة ، واستقلالها عن دولة الموحدين سنة 635هـ/1237م ، وأوضاع الدولة الموحدية قبيل قيام دولة بني مرين ، وأمدني الكتاب بمعلومات هامة حول سياسية دولة بني مرين تجاه مملكة غرناطة والممالك النصرانية .

- **الناصري، أحمد بن خالد السلاوي** (ت 1315هـ/1897م) : **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**(تسعة أجزاء) .

ولد في سلا سنة 1251هـ/1835م ، طاف في معظم أنحاء المغرب وعمل في السلك الحكومي المغربي[1] .

يتضمن كتابه تاريخاً عاماً للمغرب الأقصى من الفتح العربي حتى عصر المؤلف معتمداً بشكل واضح على كتاب العبر لابن خلدون في أسلوبه وتسلسل ترتيب معلوماته زمنياً .

أفادني الجزء الثاني من الكتاب في استقاء المعلومات المتعلقة بأوضاع الدولة الموحدية قبيل قيام دولة بني مرين ، أما الجزء الثالث منه فقد شملت إفادته كافة مراحل البحث ابتداءً من جهود المرينيين في إقامة دولتهم ، مروراً بسياسة الدولة المرينية تجاه كل من غرناطة والممالك النصرانية ، وانتهاءً بالحضارة المرينية .

---

(1) الزركلي: الأعلام ، ج1 ، ص(120-121).

2- المصادر الجغرافية .

- **الإدريسي ، أبو عبد الله ، محمد الشريف (ت 560هـ/1165م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (جزءان) .**

ولد سنة 493هـ/1100م ، نشأ نشأةً علمية وزار كثيراً من الأصقاع، الأندلس والمشرق العربي وصقلية ، ثم ألف كتابه فتحدث عن هيئة الأرض وأقاليمها وبقاعها بكل ما تحويه من تضاريس طبيعية ومدن ، فوصفها وصفاً شاملاً وذكر أحوال أهلها مذاهبهم وملابسهم ولغاتهم[1] ، وتميز الإدريسي بسعة اطلاعه ، ويقال أنه هو الذي علم الأوروبيين علم الجغرافيا لأنه لم يكن لهم مصور للعالم إلاّ الذي رسمه الإدريسي[2] .

ويعتبر نزهة المشتاق أحد الكتب الجغرافية الهامة التي اعتمدت عليها في تعريف المواقع على اختلاف أنواعها وتحديد المسافات بينها في كل من المغرب والأندلس .

- **الحموي، شهاب الدين، ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/1228م): معجم البلدان (ثمانية أجزاء) .**

رومي الأصل ، ولد سنة 574هـ/1178م ، أديب ومؤرخ ورحالة ، طاف في كثير من الأرجاء وخاصة الشام وخراسان وغيرها ، وتوفي عن خمسين سنة[3] .

---

(1) **الإدريسي**: نزهة ، ج1 ، ص(أ – ج) ،

أنظر أيضاً: **الزركلي**: الأعلام ، ج7 ، ص24، **كحاله**: معجم، ج3 ، ص(653-654) ، **مؤنس**: أطلس ، ص27 .

(2) **الرفاعي**: الإسلام ، ص591 .

(3) انظر ترجمته كاملة لدى **الحموي**: معجم، ص(10-13) ، **ابن خلكان** ، وفيات ، ج6 ، ص(127-139) ، **ابن تغري بردي**: النجوم ، ج8 ، ص(187-188) ، **ابن العماد**: شذرات ، ج7 ، ص(212-214).

أنظر أيضاً: **الزركلي**: الأعلام، ج7 ، ص24 .

كتابه عبارة عن كتاب تاريخ أمم وتراجم وأدب ، وجغرافيا تشمل كافة أنحاء العالم الإسلامي بما فيه من مدن وقرى وجبال وغيرها ، وسار المؤلف في ترتيبه على حروف المعجم وقد استفدت منه في التعرف على المعالم الجغرافية في المغرب والأندلس ، مع ضبط الأسماء وتحديد المسافات بين المواقع ، وعلى السكان وما قيل في مدنهم من أشعار .

- **الحميري، محمد بن عبد المنعم** (ت 900هـ/1494م)[1]: **الروض المعطار في خبر الأقطار.**

الكتاب عبارة عن معجم جغرافي مرتب على حروف الهجاء ، اعتمد في تصنيفه على من سبقه من الجغرافيين العرب ، كالإصطخري (ت 346هـ/957م) وابن حوقل (ت 380هـ/990م) والإدريسي (ت 560هـ/1165م) ، وتميز كتاب الحميري بأنه يحوي معلومات تاريخية أيضاً ، وكسابقه فقد أفاد البحث في تحديد المواقع الجغرافية والتعريف بها بعد ضبط أسمائها في كل من المغرب والأندلس ، إضافة لمعلومات حضارية لا بأس بها .

- **الوزان، الحسن بن محمد** (ت 939هـ/1532م): **وصف إفريقيا** (جزءان) .

ولد في غرناطة سنة 894هـ/1488م ، وعاش مع أسرته في المغرب فطاف بها وزار بلاد السودان الغربي ثم ارتحل إلى المشرق فزار الشام والحجاز والأناضول[2] .

يتناول الكتاب مواضيع جغرافية يصف المؤلف فيها المغرب وممالك السودان على وجه الخصوص ، واستفدت منه في ضبط أسماء المواقع الجغرافية وتحديد مواضعها في بلاد

---

[1] للاطلاع على سيرة المؤلف: انظر **الحميري**: الروض ، ص(ز– ل) ،

أنظر أيضاً: **الزركلي**: الأعلام ، ج7 ، ص53 .

[2] **الزركلي**: الأعلام ، ج2 ، ص(217-218)، **الرفاعي**: الإسلام ، ص(591-592) .

المغرب، كما استفدت من المعلومات التاريخية والحضارية التي أوردها المؤلف خاصة المتعلقة منها بالدولة المرينية .

3- المراجع الحديثة .

- **العبادي، أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس .**

تحدث فيه المؤلف عن تاريخ المغرب والأندلس منذ نشوء دول الطوائف في بداية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حتى عصر المرابطين (454-543هـ/1062-1148م) والموحدين (524-668هـ/1130-1269م) في كل من المغرب والأندلس ، وتناول بالبحث فتح العرب لإسبانيا سنة 92هـ/710م منذ البدء حتى إتمام عملية الفتح ، ثم تحدث عن خطة الوزارة الأندلسية والمغربية في عهد أمويّ الأندلس وبني الأحمر ، والفاطميين (296-567هـ/909-1171م) والدول المغربية المتعاقبة حتى نهاية دولة بني مرين (869هـ/1465م) ، وأفرد فصلاً خاصاً للبحرية العربية في المغرب والأندلس، وتطرق إلى الصراع الذي دار في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط ، تميز أسلوب المؤلف بالدقة والشمول والموضوعية ولم يغفل ذكر مصادره ، وقد أفاد البحث في التعرف على نظم الدولة المرينية وبحريتها ، وبعض جوانب العلاقات السياسية بين فاس وغرناطة في عصر بني مرين ، إضافة إلى سياسة دولة بني مرين الجهادية اتجاه الممالك النصرانية في إسبانيا والعلاقات السياسية التي سادت أجواء الطرفين .

- **عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس** (أربعة عصور في ستة مجلدات) ، وصنفه المؤلف في ستة مجلدات قسمها إلى عصور ، وشمل كتابه تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي لها سنة 92هـ/ 710م حتى سقوطها سنة 897هـ/1492م .

فقد تطرق إلى فتح العرب لإفريقية سنة 22هـ/642م ثم انتقل للحديث عن الأندلس منذ الفتح سنة 92هـ/710م إلى سنة 450هـ/1058م ، وشمل ذلك عصر الولاة ثم تاريخ الدولة الأموية الأندلسية منذ قيامها في ظل الإمارة ، ثم قيام دولة الخلافة الأموية وانحلالها على يد الدولة العامرية وبدء قيام دويلات الطوائف الأندلسية .

وفي العصر الثاني (425-502هـ/1033-1108م) شمل الحديث دول الطوائف حتى سقوطها على يد المرابطين أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) .

أما العصر الثالث فقد خصصه للحديث عن دولتي المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ويشمل تاريخ هاتين الدولتين منذ سنة (500-668هـ/1106-1269م) .

وأخيراً فقد جاء العصر الرابع تحت عنوان نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين (635-1019هـ/1237-1610م) ، واستفدت منه في التعرف على جغرافية مملكة غرناطة وتاريخها منذ نشوئها سنة 635هـ/1237م حتى سقوط نظيرتها دولة بني مرين سنة 869هـ/1465م ، وخلال ذلك استقيت الكثير من المعلومات الخاصة بسياسة دولة بني مرين تجاه كل من مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا .

كما استفدت من المعلومات التي تحدثت عن تاريخ الممالك النصرانية الإسبانية (قشتالة وأراجون والبرتغال) .

- **الغنيمي، عبد الفتاح مقلد: موسوعة المغرب العربي (ستة أجزاء) .**

تحدث فيه المؤلف عن تاريخ بلاد المغرب ابتداءً من الدولة الفاطمية (296-567هـ/909-1171م) ثم المرابطية والموحدية (454-668هـ/1062-1269م) ، حتى انهيار الأخيرة وقيام دولة بني حفص وبني زيان وبني مرين في كل من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى ، وضمن المؤلف تاريخ هذه الدول في الجزء الخامس من كتابه ، وفي

معرض حديثه عن دولة بني مرين فقد أتى على تاريخها منذ البداية حتى السقوط سنة 869هـ/1465هـ ، وتميز سرده للأحداث بالدقة والشمول .

استفدت من هذا الكتاب في معرفة الأوضاع السياسية والقبلية لدولة بني مرين قبيل قيامها ، والخطوات التي سار عليها المرينيون نحو إنجاز استقلالهم ، وسياسة دولتهم تجاه دولة بني زيان المجاورة من جهة ، ومملكة غرناطة والممالك النصرانية في إسبانيا من جهة أخرى .

الفصل الأول

الواقع الجغرافي ، والتاريخي

لبلاد المغرب ومملكة غرناطة قبيل قيام دولة بني مرين

609 – 668هـ / 1212 – 1269م

1- جغرافية بـــلاد المغـــرب.

الحـــــدود:-

يطلق لفظ بلاد المغرب على الأرض التي يحدها من جهة الغرب البحـــر المحيـــط ، أو " المحيط الأطلسي "[1] ، وتسميه المصادر الجغرافية والتاريخية الإسلامية : البحـــــر الأخضـــر وبحر الظلمات وبحر أوقيانس[2] وبحر البلاية* [3]، وتقع على البحر المحيط كثير مـــن مـــدن المغرب الأقصى كطنجة *[4] وأصيلا*[5] وسلا*[6] وآزمور*[7] وأنفا*[8] وأسفا*[9] ونـــول*[10]

---

[1] الإصطخري: مسالك ، ص37، المراكشي: البيان ، ج1، ص6.

[2] النويري: نهاية ، ج1، ص229.

*[3] بحر البلاية:- هكذا ورد أيضاً لدى الحميري: الروض ، ص509، أما عند المراكشي: الأبلاية، البيان: ج1، ص6.

*[4] طنجة:- تعرف بالبربرية باسم وليلي ، وبينها وبين سبته ثلاثون ميلا في البر ، وتقع على شـــاطئ بحـــر الزقـــاق (مضيق جبل طارق) ، الحميري: الروض، ص396 ، ويقول البلاذري: أنها فتحت سنة 89هـ/708م زمـــن الخليفـــة الأموي الوليد بن عبد الملك (ت 96هـ/715م) على يد موسى بن نصير (ت 97هـ/716م)، فتوح ، ص322.

*[5] أصيلا:- مدينة تقع إلى الجنوب من طنجة على البحر المحيط (الأطلسي)، ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص307.

*[6] سلا:- تقع على ساحل البحر المحيط (الأطلسي)، وتبعد عن مراكش تسع مراحل ، وهـــي مدينـــة قديمـــة أزليـــة، الحميري: الروض، ص319، والمرحلة: هي مسير يوم كامل ، مجمع اللغة: المعجم ، ج1، ص335.

*[7] آزمور:- مدينة في منطقة دكالة من بناء الأفارقة ، تقع على مصب نهر أم الربيع في البحر المحيـــط (الأطلســـي)، الوزان: وصف، ج1، ص157.

*[8] أنفا:- مدينة أسسها الأفارقة الرومان على شاطئ البحر المحيط (الأطلسي) على نحو ستين ميلا شمال الأطلس ونحو ستين ميلا شرق آزمور، الوزان: وصف، ج1، ص196، وتسمى: الدار البيضاء، الغنيمي: موسوعة، ج5، ص215.

*[9] أسفا:- إحدى مراسي المغرب الأقصى ، وهو آخر مرسى تبلغه المراكب من عند دخول الأندلس على ناحية القبلـة، الحميري: الروض ، ص57.

*[10] نول:- مدينة كبيرة تقع على نهر ينبع من شرقيها وتقيم عليه قبائل لمتونه ولمطه، الإدريسي: نزهة، ج1، ص224.

من بلاد السوس*[1] [2]. ويحد بلاد المغرب من الشرق المنطقة الواقعة ما بين الإسكندرية من أرض مصر وبرقة*[3] [4] ، ويحدها من جهة الشمال البحر الرومي*[5]: المتفرع عن البحر المحيط (الأطلسي) ، وبينهما خليج بين طنجة من بلاد المغرب وطريف *[6] من بلاد الأندلس يسمى الزقاق*[7] (مضيق جبل طارق)[8].

---

*[1] **بلاد السوس:**- منطقة كبيرة في أقصى المغرب تضم مدن كثيرة وبلاد واسعة يشقها نهر عظيم يصب في البحر المحيط يسمى وادي ماست (ماسة)، وقاعدة هذه المنطقة مدينة ايكلي، ومن مدنها الأخرى السوس وتامدلت ونول ولمطه وغيرها، **الحميري:** الروض ، ص(329-330).

*[2] **ابن خلدون:** العبر ج6، ص98.

أنظر أيضاً:- **سيبولد:** الأندلس، ج3، ص38 ، **أنظر خارطة** رقم (3) ، ص229.

*[3] **برقه:**- تقع شمال الأراضي الليبية على ساحل المتوسط في أول ما ينزل القادم من مصر إلى القيروان، وتقع في بقعة فسيحة، **الإدريسي:** نزهة ، ج1، ص310.

[4] **الإصطخري:** مسالك ، ص(36-37)، **ابن حوقل:** صورة ، ص64.

*[5] **البحر الرومي:**- هو البحر المتوسط ويقال له البحر الشامي وهو يتصل إلى بلاد الشام ويقال له أيضا بحر الإسكندرية وبدايته من جهة الغرب صنم قادس، **المراكشي:** البيان ، ج1، ص6.

*[6] **طريف:**- مدينة تقع على البحر الشامي (المتوسط) في أول المجاز المسمى الزقاق ويتصل غربيها ببحر الظلمات (الأطلسي)، ويشقها نهر صغير، ومن طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلاً، وسميت طريف بهذا الاسم نسبة إلى القائد طريف مولى موسى بن نصير (ت 97هـ/716م) الذي نزلها أول الفتح، **الحميري:** الروض، ص392.

*[7] **الزقاق:**- هو مضيق جبل طارق ويسمى المجاز الأعظم، **المراكشي:** البيان، ج1، ص6. وعرضه اثني عشر ميلا ما بين طنجة وطريف، **ابن خلدون:** المقدمة، ص45، **حتاملة:** ايبيريا، ص58، ويرى **ابن خلدون** (ت 808هـ/1405م) أن الزقاق هو المنطقة الواقعة بين طنجة في المغرب والجزيرة الخضراء في الأندلس، العبر، ج4، ص117، **النويري:** نهاية، ج1، ص232، ويسمى باللاتينية أعمدة هرقل (Columnasde Hercules) **أنظر خارطة** رقم (1) ، ص227.

[8] **المراكشي:** البيان ، ج1، ص6، **ابن خلدون:** العبر، ج6، ص98.

أما من جهة الجنوب فتحد بلاد المغرب جبال الرمل (الصحراء الكبرى) التي تمتد من البحر المحيط غرباً إلى ما وراء سجلماسة*[1]، وحتى بلاد برقه شرقاً[2]، وكانت هذه الصحراء تعرف بالعرق*[3]، وهي تفصل بين بلاد السودان*[4] وبلاد المغرب[5].

وبناء على ذلك فإن بلاد المغرب تمتد – وفقا للمفاهيم الجغرافية الحديثة – من إقليمي برقه وطرابلس الليبيين شرقاً، مروراً بتونس والجزائر وبلاد المغرب الأقصى *[6] (التي كانت

---

*(1) **سجلماسة**:- بنيت سنة 140هـ/757م وهي مدينة سهلية أرضها سبخة، ولها بساتين كثيرة وهي في أول الصحراء لا يعرف في غربيها ولا قبليها عمران، ومنها تدخل إلى بلاد السودان ثم إلى غانة وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في الصحراء، **البكري**: المغرب، ص(148-149)، **انظر خارطة** رقم (4)، ص230.

(2) **الاصطخري**: مسالك، ص37. **ابن خلدون**: العبر، ج6، ص100.

*(3) **العرق** في اللغة: الأرض الرملية المالحة، قليلة المياه، لا تنبت، مجمع اللغة: المعجم، ج2، ص602، **مجهول**: المنجد، ص500، **العبادي**: في تاريخ، ص14.

*(4) **بلاد السودان**:- يعرفها **الوزان** (ت 939هـ/1532م) بأنها تلك الأرض التي تبتدئ شرقاً بمملكة كاوكة وتنتهي غرباً عند مملكة ولاته، ومن صحراء ليبيا شمالاً حتى أقصى جنوب المحيط نواحي غير معروفة، وصف، ج1، ص28.

(5) **الناصري**: الاستقصا، ج1، ص127.

انظر أيضاً:- **العبادي**: في تاريخ، ص14.

*(6) **المغرب الأقصى**:- يسمى أيضا بر العدوة لسهولة الجواز منه إلى الأندلس: **القلقشندي**، صبح، ج5، ص152، 211.

تعرف إلى وقت قريب باسم مراكش *[1]) حتى سواحل المحيط الأطلسي غربا، ومـــن ســـواحل البحر المتوسط المتاخمة لهذه البلدان شمالا، حتى حدود بلاد السودان والنيجر والسنغال جنوبا[2].

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الجغرافيين والمؤرخين المسلمين قد تعاملوا مـــع الأندلـــس على أنها جزء من بلاد المغرب[3].

---

*[1] **مراكش**:- من أعظم مدن المغرب وأجلها، تقع شمال جبل درن الذي يبعد عنها ثلاثـــة فراســـخ، ومراكـــش تعنـــي بالبربرية " أسرع المشي " ، **الحموي**: معجم ، ج8، ص239، وتقع على بعد اثني عشر ميلا شمال أغمات وحولها جبل صغير اسمه إيجليز، **الحميري**: الروض، ص540، **الوزان**: وصف ، ج1، ص146، **والفرسخ**: مسافة تقـــدر بثلاثـــة أميال، والميل ألف باع والباع أربعة أذرع، أي أن طول الفرسخ ستة كيلو مترات، **هنتس**: المكاييل، ص94.

[2] **عبد الحميد**: تاريخ ، ص61، **أبو ضيف**: أثر ، ص25. **أنظر خارطة رقم (1)** ، ص227.

[3] **الاصطخري**: مسالك ، ص36، **ابن حوقل**: صورة ، ص65، **ابن الفقيه**: كتاب، ص(138-139)، **المراكشي**: البيان، ج1، ص6، **النويري**: نهاية ، ج1 ، ص231 .

أنظر أيضاً :- **حتاملة**: الأندلس ، ص26 .

التقسيمات السياسية والإدارية لبلاد المغرب

الأقاليم الشرقية:-

اعتمد العرب في بداية الفتوح الإسلامية التسميات والتقسيمات الرومانية في تعاملهم مع أقاليم المغرب الشرقية ، فأطلق على إقليم برقه اسم أنطابلس[1] أو بنطابلس *[2] (Pentapolis)، وأطلق على إقليم طرابلس اسم طربليطه *[3] (Tripolitaine) ، ويتصل هذا الإقليم بجبل نفوسه *[4] ، الذي يعد امتدادا لسلاسل جبال أطلس الجنوبية وجبال درن *[5] جنوب المغرب [6] .

---

(1) البلاذري: فتوح ، ص305، 314.

*(2) **بنطابلس:**- أي المدن الخمسة باللغة الإغريقية وهي برقه وقورنيه وسوسه وطوكره وبرنيق ، **المراكشي:** المعجب، ص347 ، **البكري:** المغرب، ص7 .

*(3) **طربليطة:**- أي المدن الثلاث وهي: إياس (موضع طرابلس الحالية) ، ولدّه في شرقيها ، وصبره أو سبرت (سبراته الحالية) ، **البكري:** المغرب، ص7 .

أنظر أيضاً:- **أبو ضيف:** أثر، ص25 .

*(4) **جبل نفوسة:**- يبعد عن طرابلس مسيرة ثلاثة أيام وعن القيروان ستة: **البكري:** المغرب، ص9.

أنظر خارطة رقم (1) ، ص227.

*(5) **جبال درن:**- يطلق بعض المؤرخين والجغرافيين العرب في المصادر الإسلامية على سلسلة جبال أطلس اسم جبال درن ، فيصفه بعضهم أنه "جبل – تطلق المصادر الإسلامية أحيانا اسم جبل للدلالة على سلسلة الجبال- عظيم بالمغرب مشهور بسقنقور ، وله أسماء أخرى كجشكو وأورلس ، وآخره يصل حتى جبال نفوسة في منطقة طرابلس ، ويسمى أعلاه هناك أوثان، **الحميري:** الروض ، ص235، ويرى **القلقشندي** (ت 821هـ/1418م) أن هذه السلسلة تمتد شرقاً حتى ما قبل الإسكندرية بثلاثة مراحل، صبح، ج5، ص173. **أنظر خارطة** رقم (4)، ص230.

(6) **ابن خلدون:** العبر، ج6، ص223.

أنظر أيضاً:- **عبد الحميد:** تاريخ ، ص66.

الأقاليم الغربية:-

يعد إقليم إفريقية أول الأقاليم الغربية لبلاد المغرب، وقد تعـــددت الآراء حــول سـبب تسميته بهذا الاسم: فمنهم من ينسب هذه التسمية إلى إفريقش بن حام بن نوح الذي نزل به فسمي باسمه[1] ، ويرى ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) أنه ينسب إلى إفريقش بن قيس بـن صيفـي أحد ملوك تبابعة اليمن[2] ، ويميل الوزان (ت 939هـ/1532م) إلى أن الرومان قد أطلقوا اســم "آفريكا" (Africa) على ممتلكاتهم في تلك المنطقة التي كانت عاصمتها قرطاجنـــة*[3] وعندمـا فتحها المسلمون عربوا الاسم فصارت إفريقية [4] ، وتشمل هذه البلاد الأراضي التونســـية مـع بعض الأجزاء الغربية لولاية طرابلس والتخوم الشرقية لبلاد الجزائر[5]، ومن ثم أطلق الفـاتحون المسلمون على هذه البقعة الجغرافية المغرب الأدنـــى وقاعدتـــه فـــي صـــدر الإســـلام مدينـــة القيروان*[6] ، وسمي الأدنى لأنه الأقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز[7] .

---

[1] **المراكشي:** المعجب، ص(349-350).

[2] **ابن خلدون:** العبر، ج6، ص89.

*[3] **قرطاجنة:-** تقع على ساحل البحر المتوسط وتبعد عن تونس اثني عشر ميلاً وعن القيروان ثلاث مراحل ، **الحموي:** معجم، ج4، ص31 .

[4] **الوزان:** وصف ، ج1، ص43، **سالم:** تاريخ المسلمين ، ص17، انظر أيضا رأي **البكري** في ذلك: المغرب، ص21.

[5] **عبد الحميد:** تاريخ ، ص(67-68). **أنظر خارطة رقم (1) ، ص227.**

*[6] **القيروان:-** أو القرون، أسسها عقبة بن نافع (ت 64هـ/682م) قائد جيوش الجزيرة العربية الصحراوية في زمـن الخليفة الراشدي عثمان بن عفان (23-35هـ/644-656م) وبناها على بعد ستة وثلاثين ميلاً مـن البحـر المتوسـط ونحو مائة ميل من تونس، **البلاذري:** فتوح، ص319، 320، 322، **النويري:** نهاية، ج24 ، ص(21-24) ، وللاطلاع على تفاصيل التاريخ القديم للقيروان أنظر، **المراكشي:** المعجب، ص(355-357) ، **الوزان:** وصف ، ج2، ص87.

[7] **الناصري:** الاستقصا، ج1، ص127.

ويليه المغرب الأوسط وهو الاسم الذي أطلقه الجغرافيون العرب في القـــرن الخـامس الهجري / الحادي عشر الميلادي على الأراضي التي تحتل مساحتها بلاد الجزائر الحاليـــة[1] ، وكانت تلمسان*[2] وجزائر بني مزغنه*[3] تمثلان قاعدته الرئيسية[4] .

ويليها المغرب الأقصى الذي سمي كذلك لأنه كان الأبعد عن دار الخلافة الأموية، حيـث كان عقبة بن نافع الفهري (ت 64هـ/682م) أول أمير إسلامي تطأ خيله أرض هذا المغـوب[5]، ويمتد المغرب الأقصى من وادي ملوية*[6] وجبال تـــازا*[7] شـرقاً، حتـى البحـر المحيـط

---

[1] **المراكشي**: المعجب، ص353.

*[2] **تلَمَسان**:- وصفها **الادريسي** (ت 560هـ/1165م) بأنها مدينة أزلية وهي عبارة عن مدينتين يفصل بينهما ســور، لها نهر يأتيها من جبلها يسمى الصخرتين، نزهة ، ج1، ص248، ويضيف **البكري** (ت 487هـ/1094م) أن لتلمسـان سور عليه خمسة أبواب وهي قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناته، المغرب، ص76.

*[3] **جزائر بني مزغنة**:- يصفها **الحميري** أنها مدينة قديمة البناء فيها آثار للأول تقع على ضفة البحـر وفـي جبالـها قبائل البربر وزراعتهم الحنطة والشعير ويتصل بها فحص متيجة، الذي أحدقت به الجبال مثـل الإكليـل، **الحمـيري**: الروض، ص163، ويقال لمتيجة فزرونة، وهي على نهر كبير ويزرع فيها الكتان، **البكري**: المغرب، ص65.

[4] **ابن خلدون**: العبر، ج6، ص102، **الناصري**: الاستقصا، ج1، ص127. **أنظر خارطة** رقم (1) ، ص227.

[5] **الناصري**: الاستقصا ، ج1، ص137 .

أنظر أيضاً:- **العبادي**: في تاريخ: ص43 ، **حتاملة**: الأندلس ، ص41 .

*[6] **وادي ملوية**:- يشكل خط الحدود بين المغربين الأوسط والأقصى ، وينبع من الجبـال الجنوبيـة فـي وراء تـازا ويصب في البحر المتوسط شرقي سبتة ، ومن روافده نهر زيز ونهر سجلماسة، **المراكشي**: المعجـب، ص364، **ابـن خلدون**: العبر، ج6، ص102، **القلقشندي**: صبح ، ج5، ص175.

*[7] **جبال تازا**:- تعتبر جبال وبلاد تازا إضافة لملوية الحد الفاصل بين المغربين الأوسط والأقصى، ويقع ربـاط تـازا في أحد جبالها، وبني سنة 568هـ/1172م، **الحميري**: الروض،ص128،أما المدينة ذاتها(تازا) فبناها عبـد المؤمـن الموحدي سنة 529هـ/1234م، وقام بتحصين سورها. **ابن أبي زرع**: الأنيس،ص262. انظر شكل رقم (8) ص241.

(الأطلسي) غربا، ومن البحر الرومي (المتوسط) شمالا حتى جبال درن وتخوم جبال أطلس جنوبا[1] ، ويرى أبو زكريا يحيى بن خلدون (ت 780هـ/1378م) أن وادي القصب*[2] يشكل الحد الفاصل بين المغربين الأقصى والأوسط[3] ، وربما قصد به وادي ملوية.

وعلى الرغم من التقسيمات آنفة الذكر، فإن بلاد المغرب بشكل عام تحمل في ثنايا ميزاتها عوامل وحدة فرضتها خصوصية الجغرافيا[4] ، – إضافة إلى عوامل اللغة والدين وغيرها– خاصة إذا ما قمنا بتقسيم البلاد إلى ثلاثة أقسام:– أولها: الإقليم الساحلي الممتد على طول البحر المتوسط والأطلسي والذي يربط بين مدنه وقراه وموانئه. وثانيها: الإقليم الصحراوي الممتد من غرب مصر إلى جنوب المغرب الأقصى ، ويتضمن هذا الإقليم سلسلة جبال أطلس. وثالثها: إقليم التل الذي يتشكل من الهضاب والسفوح الجبلية الموازية للبحر المتوسط والمحيط الأطلسي في كل من المغربين الأوسط والأقصى[5] ،

---

(1) **ابن خلدون:** العبر، ج6، ص101، **القلقشندي:** صبح ، ج5، ص152. **أنظر خارطة رقم (4)** ، ص230.

*(2) **وادي القصب:**– لم أجد له ذكرا في المصادر الجغرافية.

(3) **ابن خلدون، يحيى:** بغية ، ج2، ص285.

(4) **ابن خلدون:** العبر ، ج6 ، ص98 .

أنظر أيضا:– **شلبي:** موسوعة، ج4، ص(133-134).

(5) **عبد الحميد:** تاريخ ، ص(72-73) ، **حتاملة:** الأندلس ، ص26 . **أنظر خارطة رقم (4)** ، ص230.

وتتميز بلاد المغرب من الناحية العرقية بانتشار قبيلة زناته البربرية من غدامس*[1] إلى السوس الأقصى*[2] على ساحل الأطلسي الجنوبي[3] .

أقاليم المغرب الأقصى ومميزاته الجغرافية:-

قسّم بعض المؤرخين والجغرافيين المغرب الأقصى إلى سبعة أقاليم - أنظر خارطة رقم (4) ، صفحة 230 - أوردها الوزان (ت 939هـ/1532م) في وصفه على النحو التالي:

1- إقليم تامسنا: يبتدئ غربا عند وادي أم الربيع *[4] ، وينتهي عند نهر أبي رقراق *[5] شرقاً، والأطلس جنوباً، وشواطئ البحر المحيط (المحيط الأطلسي) شمالاً [6] ، " فإذا جزت سلا

---

*[1] **غدامس:-** منطقة كبيرة مسكونة جنوب المغرب الأقصى حيث القصور العديدة والقرى المأهولة على بعد نحو ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط، **الوزان:** وصف، ج2، ص146.

*[2] **السوس الأقصى:-** منطقة تقع على يمين جبل درن ويقال لها بلاد ماسة ويتصل هذا السوس الأقصى ببلاد الصحراء إلى بلاد السودان وهي بلاد الزنج، **ابن عذاري:** البيان ، ج1، ص(5-6).

[3] **أبو ضيف:** أثر ، ص28، **جوليان:** تاريخ ، ج1، ص11.

*[4] **وادي أم الربيع:-** يقع بين سلا ومراكش وينبع من درن في إقليم تادلا ويصب عند آزمور في المحيط الأطلسي، **المراكشي:** المعجب، ص364، **أبو ضيف:** أثر ، ص26، ويصفه **ابن خلدون** (ت 808هـ/1405م) أنه نهر عظيم لا يمكن عبوره شتاءً، العبر ، ج6، ص102، وعند **الحميري** يسمى وادي وانسيفن، الروض ، ص605 وهو نهر سريع الجريان كثير الانحدار والصخور والجنادل ويزرع عليه القطاني والقطن والكمون، **الإدريسي:** نزهة ، ج1، ص237.

*[5] **نهر أبو رقراق:-** يصب هذا النهر عند سلا ورباط الفتح، **عبد الحميد:** تاريخ ، ص71 ، **أبو ضيف:** أثر ، ص26.

[6] **الوزان:** وصف، ج1، ص194.

وأخذت ناحية الجنوب تركت مغرب الشمس يمنة وأخذت منها قليلاً إلى القبلة ، فتسمى تلك البلاد بلاد تامسنا ، ويقال لها أيضا بلاد السوس الأدنى "[1] .

2- إقليم فاس: ويبدأ من غرب أبي رقراق حتى نهر ايناون*[2] شرقاً ، وينتهي شمالاً عند نهر سبو*[3] ، وجنوباً عند سفوح الأطلس[4] .

3- ناحية السايس: وهي من نواحي إقليم فاس وتقع على بعد عشرين ميلا إلى جهة الغرب وكلها سهول[5] ، ومعها ناحية أزغار التي تنتهي عند المحيط الأطلسي شمالاً، ونهر أبي رقراق غرباً، وبعض جبال غماره شرقاً، وجنوباً نهر بونصر[6].

4- ناحية الهبط: تبدأ من جنوب نهر ورغه *[7] ، وتنتهي شمالاً على المحيط الأطلسي، وتتلخم غرباً مستنقعات أزغار، وشرقاً الجبال المشرفة على مضيق جبل طارق[8] .

---

[1] ابن عذاري: البيان ، ج1، ص(5-6).

*[2] **نهر ايناون**:- تقع عليه قرية تمالته على مقربه من فاس ويأتيها من جهة الجنوب ، وتطل عليه قلعة كرمطه، **الإدريسي**: نزهة ، ج1، ص247. **أنظر خارطة** رقم (4) ، ص230.

*[3] **نهر سبو**:- يقع على بعد ثلاثة أيام من فاس وفيه يصب وادي فاس وهو من أعظم أنهار المغرب، **الحميري**: الروض ، ص606، وهو يحيط بفاس من شرقيها وغربيها ويجاوره نهر آخر يسمى ورغه: **محمود**: قيام ، ص21، ويكون وادي سبو منخفضا في شمال البلاد فعرف بالسوس الأدنى تمييزاً له عن المنخفض الآخر الواقع في جنوب غرب البلاد ويصب عند أغادير ويعرف بالسوس الأقصى، **المراكشي**: المعجب، ص364. **أنظر خارطة** رقم (4) ، ص230.

[4] **الوزان**: وصف، ج1، ص207.

[5] المصدر نفسه ، ص299.

[6] المصدر نفسه ، ص301.

*[7] **نهر ورغة**:- أشهر أنهار المغرب وينبع من جبل كوين، **البكري**: المغرب، ص90. **أنظر خارطة** رقم(4)، ص230.

[8] **الوزان**: وصف ، ج1 ص306.

5- إقليم الريف: يبدأ من تخوم مضيق جبل طارق ، ويمتد شرقاً إلى نهر نكور *[1] ، أي على مسافة مائة وأربعين ميلاً، وينتهي شمالاً عند البحر المتوسط ، ثم يميل جنوباً على نحو أربعين ميلاً ليصل حتى منطقة فاس[2] .

6- إقليم كرط: يبدأ غرباً عند نهر نكور، وينتهي عند ملويه، وجنوباً حتى تخوم الصحراء الكبرى ، بينما يحاذي المتوسط شمالاً[3] .

7- إقليم الحوز: يشغل ثلث المغرب الأقصى ويمتد من نهر زاغ شرقاً، حتى نهاية نهر تيكريكره غرباً، أي على مسافة نحو مائة وتسعين ميلاً[4] .

أما الناصري (ت 1315هـ/1897م) فيقول أن الفرنج – دون أن يحدد هويتهم- قد قسموا المغرب إلى خمس عمالات: عمالة فاس ومراكش والسوس ودرعه وتافيلالت[5] .

ولعل أهم ما يميز المغرب الأقصى جغرافياً أنه يشكل النهاية القصوى لبلاد المغرب بسبب وجود المحيط الأطلسي الذي يحده من الغرب، لذلك يمكن اعتباره منطقة معزولة عن غيرها من المناطق، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار قلة وصعوبة المسالك المؤدية إليه من الشرق، وخاصة طريق تازا التي تربطه مع المغرب الأوسط وتعتبر مفتاحاً للمغرب الأقصى[6].

---

*[1] **نهر نكور**:- يقع قرب مدينة نكور شمال شرق المغرب الأقصى ، والتي تبعد عن البحر المتوسط عشرة أميال، **الحميري**: الروض المعطار، ص(576-577) بناها سعيد بن إدريس بن صالح الحميري زمن الوليد بن عبد الملك (ت 96هـ/715م)، **البكري**: المغرب، ص91.

[2] **الوزان**: وصف، ج1 ، ص324.

[3] المصدر نفسه، ص340.

[4] المصدر نفسه، ص348.

[5] **الناصري**: الاستقصا، ج1، ص127.

[6] **سالم**: تاريخ المسلمين، ص16. أنظر خط سير طريق تازا لدى **أبو ضيف**: أثر ، ص36 .

وفي هذا الإطار يذكر ابن بطوطه *[1] (ت 779هـ/1377م) أنه عبر هذه الطريق في رحلة عودته من المشرق إلى بلاد المغرب الأقصى[2] ، ومن المعروف أنه إذا استطاعت أي قوة غازية اجتياز هذا الطريق فإن الاستيلاء على فاس سيكون في شبه المؤكد ، ليس بسبب العناء الذي يمكن أن تتكبده تلك القوة في طريقها فقط ، ولكن بسبب صعوبة مراس القبائل الموطنة هناك[3] ، إضافة لذلك فإن أهمية منطقة تازا تكمن في إشرافها على الطريق الواصل بين جبال الريف وجبال أطلس[4] .

أما سلسلة جبال أطلس الصحراء الجنوبية ، فهي تمثل حاجزاً طبيعياً وسياجاً أدى لحماية المغرب الأقصى من الأخطار، خصوصاً إذا ما اتحدت قبائلها التي طالما اتخذت منها معاقل لمقاومة الغزاة والفاتحين ، وخاصة جبال درن جنوبي المغرب الأقصى التي اتخذها الثائرون معاقل للثورة على السلطة المركزية على مدار تاريخ المغرب الأقصى[5] .

ومن الناحية الطبيعية شكلت هذه الجبال مصدراً لتدفق الأنهار فقامت المدن والتجمعات السكانية على ضفافها[6] ، فبالإضافة إلى ما ذكر سابقاً من أودية وأنهار فهناك أيضا وادي تنسيفت الواقع على بعد أربعة أميال من مراكش ما بين وادي سبو ووادي سوس، وعليه قنطرة

---

*[1] **ابن بطوطة:-** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، ولد في طنجة سنة 704هـ/1304م، عندما بلغ الثانية والعشرين من عمره قام برحلات واسعة شملت معظم أرجاء العالم المعروف في ذلك الوقت، وتوفي سنة 779هـ/1377م، ابن **الخطيب:** الإحاطة ، ج3 ، ص(273-274) ، **العبادي:** في تاريخ، ص375.

[2] **ابن بطوطة:** تحفة ، ج2، ص758.

[3] **محمود:** قيام ، ص20. المقصود بالقبائل هنا: ذوي عبيد الله ، **أنظر خارطة** رقم (3) ، ص229.

[4] **جوليان:** تاريخ ، ج1، ص21.

[5] **ابن خلدون:** العبر، ج7 ، ص321.

[6] **سالم:** تاريخ المسلمين ، ص16 . **أنظر خارطة** رقم (4) ، ص230.

عظيمة[1] ، ووادي بهت الذي يقع ما بين مكناسة وسلا ويصب في المحيط الأطلسي[2] ، ومعظم هذه الأنهار لا ينقطع ماؤها شتاءً ولا صيفاً[3]، وقد ساهم تداخلها إضافة لكثرتها في صياغة معالم الخريطة السياسية في المغرب الأقصى وذلك من خلال عزلها لكثير من المناطق الجغرافية مما جعل من الصعوبة بمكان السيطرة على بعضها، وطالما وظف المرينيون هذه العوامل الجغرافية في خدمة خططهم العسكرية.

وفيما يتعلق بالصحاري فقد أعاقت الصحراء الغربية والغربية الجنوبية للمغرب الأقصى حركة الاندفاع والانتقال البشري باتجاه العمق المغربي ، مما جعل المغرب الأقصى أقل الأقاليم تأثراً بالهزات العنيفة التي اجتاحت المناطق الإفريقية من وقت لآخر، وبالمقابل فقد جاءت نهضة المغرب الأقصى متأخرة نوعاً ما عن تلك التي حدثت في المغربين الأدنى والأوسط[4].

أما شمال المغرب الأقصى فهو عبارة عن منطقة جبلية هضبية من أبرز ميزاتها الجغرافية قربها من البحر المتوسط، وتعرف باسم الريف أو بلاد غماره أو جبال أطلس الشمالية التي تمتد من جنوب طنجة وسبتة غرباً إلى مليلة ثم أطلس التل حتى تخوم تلمسان شرقاً[5]، وهو من أهم الأقاليم الطبيعية في بلاد المغرب الأقصى، فتربته شديدة الخصب، وتخترقه بعض الوديان التي تصب في البحر المتوسط مما أوجد فيه زراعة ناجحة ومكاناً وافر الخضرة

---

(1) **المراكشي:** المعجب، ص364.

(2) المصدر نفسه. **أنظر خارطة رقم (4)** ، ص230.

(3) المصدر نفسه، ص365.

(4) **محمود:** قيام ، ص(17-18).

(5) **الإدريسي:** نزهة ، ج2 ، ص(532-533) ،

أنظر أيضاً:- **أبو ضيف:** أثر، ص26، **العبادي:** في تاريخ، ص14، **سالم:** تاريخ المسلمين، ص13.

للرعي، وهذا ما حفز مطامع القبائل البدوية للسيطرة عليه بشكل دائم، ولذلك فإنه لا يمكن لأية حكومة مركزية أن تسيطر على المغرب الأقصى دون السيطرة على هذا الإقليم[1].

ويشتمل المغرب الأقصى على مجموعتين من السهول الداخلية: الأولى تمتد من مصب نهر تنسيفت إلى وادي ملوية وتشتمل على السهل المطل على المحيط وسهول سبو وممر تازا ، والثانية تشتمل على سهل الحوز الذي يخترقه نهر تنسيفت ثم منخفض تادلا[2] .

وترتبط طبيعة السواحل بالحركة التجارية والاقتصادية في المنطقة حيث لا تسمح رداءة خلجان السواحل المغربية على الأطلسي بوجود موانئ جيدة، بعكس الساحل المتوسطي حيث المرافئ والمراسي العديدة ، أهمها: مرافئ سبتة *[3] وطنجة اللتان كانتا مرفأ للأساطيل ودور الإنشاء للآلات البحرية[4] .

أما الطرق المتجهة من السواحل إلى المناطق الداخلية، فهي قليلة ووعرة مما جعلها بحاجة إلى حاميات على طولها بهدف الحراسة من عمليات النهب والسرقة[5] ، وخاصة وأن قبائلها تتسم بكثرة الشغب ، والإغارة على القوافل التجارية والتجمعات السكانية[6].

---

[1] **محمود:** قيام ، ص(22-23).

[2] **سالم:** تاريخ المسلمين ، ص16 ، **حتاملة:** الأندلس ، ص27 . **أنظر خارطة رقم (4)** ، ص230.

*[3] **سبتة:-** يصفها **القلقشندي** (ت 821هـ/1418م) أنها تمثل القاعدة الثانية من قواعد المغرب الأقصى، وتقع على بحرين: المحيط والروم (الأطلسي والمتوسط)، ويقابلها من الأندلس الجزيرة الخضراء وبينهما الزقاق ، صبح: ج5، ص(157-158)، ويقول **ابن خلدون** (ت 808هـ/1405م) أنها من الأمصار قبل الإسلام، العبر، ج6، ص211.

[4] **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص185.

[5] **محمود:** قيام ، ص22. أنظر خارطة الطرق التجارية الداخلية في المغرب الأقصى لدى **أبو ضيف:** أثر ، ص36.

[6] **ابن أبي زرع:** الذخيرة، ص36.

وتتصل بلاد المغرب الأقصى اتصالا مباشرا بشبه الجزيرة الأيبيرية *[1]، ولا يفصلهما عن بعض سوى مضيق جبل طارق، وتحيط بها مياه المتوسط والأطلسي[2]، وهناك شبه واضح في تضاريس كلا البلدين حيث تشبه هضاب الريف سلسلة جبال بنيبيتيكا الإسبانية الجنوبية، وتطابق الجبال المغربية الوسطى الهضاب الإسبانية، والأطلس الجنوبية جبال البيرينيه[3]، ونظرا لعوامل الصلة بين الأقاليم الجنوبية في إسبانيا والشمالية في المغرب الأقصى فقد انتشرت المؤثرات الحضارية بين المنطقتين، وتراوحت تلك المؤثرات ما بين العربية والمتوسطية والإفريقية والأوروبية[4].

---

*[1] **الجزيرة الأيبيرية**:- أطلق عليها الإغريق اسم إيبيريا أي أرض الايبيريين الذين كانوا يسكنون السواحل الجنوبية والشرقية لشبه جزيرة إيبيريا، وجاءت هذه التسمية نسبة إلى نهر إيبره ثم أطلق عليها الرومان اسم إسبانيا، وتقع في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من القارة الأوروبية والتي تشكل كل من إسبانيا والبرتغال مساحتها الجغرافية، **حتاملة**: إيبيريا، ص18،105، انظر الحدود السياسية لإيبيريا لدى **العسلي**: فن ، ج2، ص239، وقد أطلق عليها المسلمون اسم الأندلس بسبب ما قيل أن أول من نزل بها بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلش، **ابن عذاري**: البيان ، ج2، ص1، أو نسبة إلى أندلس بن طوبال بن يافث، **سيبولد**: الأندلس ، ج3، ص36 ، **حتاملة**: الأندلس ، ص49 .

[2] **أنظر خارطة** رقم (1) ، ص227.

[3] **جوليان**: تاريخ ، ج1، ص20، **حتاملة**: إيبيريا، ص49.

[4] **محمود**: قيام ، ص(19-20).

2- جغرافية مملكة غرناطة الأندلسية.

تعريفها وموقعها:-

غرناطة ، ويقال أغرناطة[1] ، وتسمى أيضا سنام الأندلس[2] ، وغرناطة اسم قديم يرجع إلى عهد الرومان القوط ، اشتق من الكلمة الرومانية (Granata) أي الرمانة[3] ، والتي أصبحت فيما بعد شعار غرناطة التاريخي[4] ، ويعود سبب هذه التسمية لكثرة حدائق الرمان التي كانت تحيط بها[5] ، وتقع مملكة غرناطة – التي سميت على اسم عاصمتها آنفة الذكر- في الركن الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة الأيبيرية[6] .

حدودها:-

يحد مملكة غرناطة من الجنوب والشرق البحر المتوسط ، ومن الشمال نهر الوادي الكبير*[7] ، أما حدودها الغربية فتنتهي عند سفوح الجبل الأسمر والوهاد التابعة لمنطقة نهر الوادي الكبير[8] ، وتمتد بذلك من نهر الوادي الكبير حيث مدن

---

(1) **الإدريسي:** نزهة ، ج2، ص569، **القلقشندي:** صبح ، ج5، ص213.

(2) **ابن الخطيب:** اللمحة ، ص21، الإحاطة، ج1، ص91.

(3) **المقري:** نفح ، ج1، ص141.

(4) **حتاملة:** موسوعة ، ج2، ص721.

(5) **عنان:** دولة ، ع4، ص22.

(6) **ابن الخطيب:** كناسة ، ص16 .

*(7) **نهر الوادي الكبير:-** أشهر أنهار شبه جزيرة إيبيريا وعليه نشأت أشهر المراكز الحضارية في الأندلس ، وخاصة غرناطة الواقعة على أحد روافده وهو نهر شنيل، ينبع الوادي الكبير من سفوح جبال سييراامورينا ويصب في المحيط الأطلسي، **الإدريسي:** نزهة ، ج2، ص561، **حتاملة:** ايبيريا، ص(80-81).

(8) **فرحات:** غرناطة، ص9. **أنظر خارطة رقم (5)** ، ص231.

جيان*[1] وقرطبة*[2] وإشبيلية*[3] شمالاً، حتى الزقاق (مضيق جبل طارق) *[4] جنوباً، ومـــن ولاية مرسية*[5] وشاطئ البحر الرومي (المتوسط) شرقاً حتى قادس*[6] غرباً[7] .

---

*[1] **جيان:**- وصفها **الإدريسي** (ت 560هـ/1164م) أنها مدينة حسنة كثيرة الخصب تشتهر بحرير القز ويتصل بها جبل كور وعلى ميل منها نهر بلون وبينها وبين بياسة عشرون ميلاً، نزهة ، ج2، ص568.

*[2] **قرطبة:**- قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها، تقع على نهر الوادي الكبير وتمتد أحوازهـا إلـى إشبيلية وجيان، وسقطت بيد النصارى سنة 633هـ/1236م ، **الحميري:** الروض ، ص(457-459).

*[3] **إشبيلية:**- وتبعد عن قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومعناها المدينة المنبسطة، بناها يوليوس قيصر ويطل عليـها جبـل الشرف وتشتهر بالزيتون والقطن وقصب السكر، سقطت بيد الإسبان سنة 646هـ/1248م، **الحميري:** الـروض، ص(58-60).

*[4] **جبل طارق:**- يقع جنوب غرب شبه جزيرة ايبيريا وينسب لطارق بن زياد (ت 102هـ/720م) مولى موسى بـن نصير إذ كان أول من حل به من بلاد الأندلس سنة 92هـ/711م عند الفتح ولذا اشتهر بجبل الفتـح ، وهـو مقـابل الجزيرة الخضراء ، **ابن خلدون:** العبر، ج4، ص117 ، وهو أول ما يشاهد من البلاد الأندلسية للقادم من المغـرب، **ابن بطوطة:** تحفة ، ج2، ص766.

*[5] **مرسية:**- تقع في كورة تدمير ولها نهر يسمى باسمها وتبعد عن بلنسية خمس مراحـل، **الإدريسـي:** نزهـة، ج2، ص(557-559).

*[6] **قادس:**- جزيرة بغرب الأندلس عند طالقة من مدن إشبيلية، يبلغ طولها اثني عشر ميـلاً وعرضـها ميـل واحـد، **الحميري:** الروض، ص448.

[7] **ابن الخطيب:** كناسة ، ص16. **أنظر خارطة رقم (5)** ، ص231.

ولاياتها ومدنها:-

اشتملت مملكة غرناطة على ثلاث ولايات هي:-

أ- ولاية غرناطة: تقع في وسط المملكة وتمتد جنوباً حتى البحر الرومي (المتوسط)، وأهم مدنها: غرناطة وشلوبانية*[1] وبسطة*[2] ولوشة*[3] والحامة*[4] ووادي آش*[5] والمنكب*[6][7] .

ب- ولاية مالقة: تقع على البحر الرومي(المتوسط) بين مملكتي إشبيلية وغرناطة على بحر الزقاق (مضيق جبل طارق)[8] ، وأهم مدنها: مالقة ، وهي مدينة مسوّرة على شاطئ البحر

---

*[1] **شلوبانية**:- قرية مسكونة على ضفة البحر الرومي (المتوسط) بينها وبين المنكب عشرة أميال وتقابل من جهة المغرب مرسى مليلة، **الحميري**: الروض ، ص343، **خوند**: الموسوعة ، ج1 ، ص295 .

*[2] **بسطه**:- وصفها **الإدريسي** (560هـ/1164م) بأنها حسنة الموضع متوسطة المقدار عامرة لها أسوار حصينة وسوق، وتجارة مزدهرة وعلى مقربة منها حصن طشكر، وهو حصن عالٍ ومنيع ولا يوجد عليه سوى طريقان، نزهة، ج2، ص568.

*[3] **لوشة**:- مدينة تبعد عن غرناطة خمس وعشرون ميلاً ويزعم أهل الأندلس أن أصحاب الكهف كانوا في أحد كهوفها، **الإدريسي**: نزهة ، ج2، ص570،803.

*[4] **الحامة**:- موضع جنوب غرب غرناطة احتله الأراجونيون سنة 887هـ/1482م، **خوند**: الموسوعة، ج1، ص304.

*[5] وادي آش:- مدينة قريبة من غرناطة تجود بالمياه والأنهار من حولها وينحط نهرها من جبل شلير الموجود شرقها وهي على ضفته، **الحميري**: الروض ، ص604.

*[6] **المنكب**:- تقع على بعد أربعين ميلاً من غرناطه ولها مرسى يسمى باسمها، **الحميري**: الروض ، ص(548-549).

[7] **ابن الخطيب**: كناسة ، ص17 .

[8] **القلقشندي**: صبح ، ج5، ص217.

الرومي بين الجزيرة الخضراء*[1] والمرية[2] ، وكذلك مربلة*[3] ورندة*[4] وانتقيرة*[5] وأرشدونة*[6] وبليش*[7] ، ويليها مباشرة طريف والجزيرة الخضراء وجبل طارق[8] ، وتجمع منطقة مالقة ما بين مرافق البر والبحر، ويزرع فيها أشجار النارنج[9] .

---

*[1] **الجزيرة الخضراء**:- تقع جنوب غرب مملكة غرناطة، وهي قبالة سبتة، وتبعد عن المحيط الأطلسي ثمانية عشر ميلاً، وسميت جزيرة نظراً لإحاطة مياه الجداول بها من كل ناحية، **الحموي**: معجم ، ج3، ص55.

[2] **المقري**: نفح ، ج1، ص145.

*[3] **مربلة**:- مدينة متحضرة صغيرة تقع في شمالها قلعة ببشتر، وتقع مربلة على بعد أربعين ميلاً من الجزيرة الخضراء، **الإدريسي**: نزهة ، ج2، ص570.

*[4] **رندة**:- من مدن تاكرنا بالأندلس ، وتقع على نهر ينسب إليها ، يصب في وادي لكه، **الحميري**: الروض ، ص269.

*[5] **انتقيرة**:- حصن بين مالقة وغرناطة، **الحموي**: معجم: ج1، ص207.

*[6] **ارشدونة**:- من مدن مالقة وتبعد عنها ثمانية وعشرون ميلاً وتقع جنوب قرطبة، **الحميري**: الروض ، ص25.

*[7] **بليش**:- تقع شرقي ثغر مالقة وعلى مقربة منها، **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص112.

[8] **عنان**: دولة ، ع4، ص55.

[9] **ابن بطوطة**: تحفة ، ج2، ص(767-768).

ج- ولاية المرية: وتشمل المساحة التي تشغلها مرسية حتى شاطئ المتوسط ، وأهم مدنها: المرية التي تقع في الجنوب الشرقي من المملكة على ساحل المتوسط[1] ، واندرش*[2] ودلاية*[3] وبرجة*[4] وبرشانة*[5] والمنصورة*[6] وبيرة*[7] [8] .

وإذا ما تم تقسيم مملكة غرناطة جغرافياً إلى ثلاث مناطق ، يلاحظ أن المنطقة الشمالية تضم سلسلة جبال سييراموربنا ، والتي تكثر فيها المنحدرات الصعبة والمناطق الصخرية، ويبلغ أقصى امتداد لها جنوباً من الزقاق (مضيق جبل طارق) حتى رأس ناو*[9] [10] .

---

(1) **خوند:** الموسوعة ، ج1 ، ص296 .

*(2) **اندرش:**- بلدة من أعمال المرية، **الحميري:** الروض ، ص42 ويسميها **الحموي** اندراش ، معجم ، ج1، ص208.

*(3) **دلاية:**- مدينة قريبة من سواحل المتوسط ، من أعمال المرية وتبعد عن برجة ثمانية أميال، **الإدريسي:** نزهة ، ج2، ص563، ، **الحموي:** معجم ، ج4، ص304.

*(4) **برجة:**- تبعد عن المرية مرحلة كبيرة وتكثر بها الأسواق والصناعات والمزارع ، **الإدريسي:** نزهة ، ج2، ص563.

*(5) **برشانة:**- مدينة قريبة من إشبيلية في الأندلس ، **الحموي:** معجم ، ج2، ص304 ، وهي أحد حصون منطقة بجانة من أعمال المرية، ومن ضمن الحصون المجاورة لها مرشانة وبالش وطوجالة، **الإدريسي:** نزهة ، ج2، ص537.

*(6) **المنصورة:**- تقع شمال شرق مدينة المرية، **ابن الخطيب:** الإحاطة، ج1، ص109.

*(7) **بيرة:**- تقع جنوب شرق قرطبة وتبعد عن غرناطة ستة أميال، **الحميري:** الروض ، ص28.

(8) **المقري:** نفح ، ج1، ص153، **ابن الخطيب:** كناسة ، ص16.

*(9) **رأس ناو:**- يقع على شاطئ الأطلسي غرب شبه جزيرة إيبيريا ، وكان الفينيقيون قد أنشأوا موانئ تجارية بالقرب منه، **حتاملة**، إيبيريا، ص148.

(10) **حتاملة:** إيبيريا، ص42. **أنظر خارطة رقم (5)** ، ص231.

وتقع على تلك المناطق الحدودية مدن جيان وبياسة*[1] وأبدة*[2] ، مما جعلـــها علـــى احتكاك دائم مع الممالك النصرانية الإسبانية[3] .

أما القسم الأوسط من المملكة فهو يجمع ما بين البيئة الجبلية والسهلية، حيـــث تخـــترق مملكة غرناطة سلسلة جبال الثلج أو جبل شلير*[4] ، وفيها أعلى قمة في إسبانيا وهي قمة مولاي حسن (3487م)[5] ، حيث تسقط عليها الثلوج شتاءً لتذوب في الصيف مروية بذلـــك الســـهول المحاذية لها، وتقابلها من جهة الشرق سلسلة جبال البشرات الوعرة التي تصلح تربتها لزراعـــة اللوزيات والقمح والشعير والشوفان[6] . وكان لتلك المناطق الجبليـــة أهميـــة إســـتراتيجية ، إذ جعلت من مملكة غرناطة منطقة حصينة يسهل الدفاع عنها[7] .

وبمحاذاة تلك السلسلة الجبلية تقع سهول نهر شنيل الممتدة حتى مدينة لوشة من أعمـــال قرطبة[8] ، وتشرف على هذه السهول مدن وادي آش ولوشة وقبرة*[9][10] ، ويتفرع عن شـــنيل

---

*[1] **بياسة**:- مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كورة جيان بينها وبين أبدة فرسخان، **الحموي**: معجم، ج2، ص407.

*[2] **أبدة**:- تقع على نهر الوادي الكبير وتبعد عن قرطبة سبعة أميال، **الإدريسي**: نزهة ، ج2، ص569 ، وهي ضمـــن أحواز منطقة جيان ، **خوند**: الموسوعة ، ج1 ، ص295.

[3] **فرحات**: غرناطة، ص10.

*[4] **جبل شلير**:- منبع نهر شنيل، وطول هذا الجبل يومان مشياً على الأقدام، **الإدريسي**: نزهة ، ج2، ص569.

[5] **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص96، **حتاملة**: إيبيريا، ص50. **أنظر خارطة** رقم (5) ، ص231.

[6] **فرحات**: غرناطة، ص11.

[7] **عنان**: دولة ، ع4، ص55.

[8] **المقري**: نفح ، ج1، ص142، **ابن بطوطة**: تحفة ، ج2، ص768.

*[9] **قبرة**:- تقع جنوب قرطبة وتكثر فيها الأشجار المثمرة وخاصة الزيتون، **الحموي**: معجم ، ج7، ص17.

[10] **فرحات**: غرناطة، ص10.

نهر حدرة الذي يخترق مدينة غرناطة من جهة الشرق ابتداءً من باب الدفاف، وعليه بداخلها خمس قناطر[1] ويلتقي نهر حدرة بنهر شنيل عند جنوب المدينة[2] .

وتشرف غرناطة على بسيط أخضر شاسع في المنطقة الجنوبية الغربية منها يسمى الفحص، الذي يشبه غوطة دمشق[3] ، ونظراً للشبه الكبير بين المدينتين ، فقد سميت غرناطة في بدايات الفتح الإسلامي بدمشق[4].

وأخيرا فقد غطت المناطق الساحلية الغرناطية معظم المنطقة الجنوبية الممتدة من رأس طريف إلى جبل طارق بطول 390 كم باتجاه مالقة[5]، ويسمى هذا الخط الساحلي بشاطئ الشمس[6]، ثم ينحني باتجاه شمالي شرقي حتى نهر سيغورة*[7] [8] ، وأهم المدن الساحلية الواقعة عليه طريف والجزيرة وجبل طارق ومربلة ومالقة والمنكب والمرية[9] ، وتتميز المناطق

---

[1] **القلقشندي**: صبح ، ج5، ص215 .

حتاملة: موسوعة ، ج2، ص723.

[2] **فرحات**: غرناطة، ص10.

[3] **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص23، والإحاطة، ج1، ص99، **المقري**: نفح ، ج1، ص166.

[4] **ابن خلدون**: العبر، ج4، ص119، **المقري**: نفح ، ج1، ص25،118،141،142،164.

[5] **حتاملة**: إيبيريا، ص60.

[6] **فرحات**: غرناطة، ص(11-12).

*[7] **نهر سيغورة**:- أو نهر شقورة، ينبع من سلسلة جبال شقورة ويصب في البحر الرومي (المتوسط) على الساحل الشرقي لأسبانيا وسماه العرب النهر الأبيض، **حتاملة**: إيبيريا، ص103.

[8] **حتاملة**: إيبيريا، ص60.

[9] **انظر خارطة** رقم (5) ، ص231 .

الداخلية الساحلية بصخورها الكلسية ، ولذلك نادراً ما ترى فيها أشجاراً ، ومن أهم مدنها رنـــدة وحصنها المعروف باسمها [1] .

---

[1] فرحات: غرناطة، ص11.

3- الملامح العامة لأوضاع الدولة الموحدية قبيل قيام دولة بني مرين.

(609-668 هـ / 1212-1269م)

تعد دولة الموحدين*[1] من الدول العظيمة التي قامت في بلاد المغرب على مدار التاريخ الإسلامي ، حيث استطاعت توحيد بلاد المغرب بأقسامه المختلفة من برقة شرقاً إلى البحر المحيط غرباً ، ومن سواحل البحر الرومي إلى مشارف إفريقية المدارية جنوباً، بالإضافة إلى سيطرتها على بلاد الأندلس[2] ، وكان لها إسهاماتها الحضارية على جميع الصعد، إلى أن أطل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي برأسه لتبدأ مرحلة جديدة وفصل جديد من فصول التاريخ المغربي والمتمثل في إقامة ثلاث دول مستقلة كان آخرها دولة بني مرين سنة 668هـ/1269م على أنقاض الدولة الموحدية المتهالكة التي انهارت بفعل العوامل الآتية:-

---

*[1] **دولة الموحدين:**- قامت على أنقاض دولة المرابطين (454-543هـ/1062-1148م) ، ويعتبر المهدي محمد بن تومرت (ت 524هـ/1130م) الزعيم الروحي والمؤسس لهذه الدولة، إذ بدأ بالدعوة إلى قيامها سنة 515هـ/1121م، **المراكشي:** المعجب ، ص178، **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص176 ، **ابن القطان:** نظم ، ص123، **النويري:** نهاية ، ج24 ، ص272 ، وقام بالأمر بعده خليفته عبد المؤمن بن علي الكومي (ت 558هـ/1163م) وذلك في سنة 524هـ/1130م ، حيث قضى على دولة المرابطين بفتح عاصمتهم مراكش سنة 543هـ/1148م، **ابن خلدون:** العبر، ج6، ص229، **النويري:** نهاية ، ج24 ، ص289 .

[2] **المراكشي:** المعجب ص230 .

أنظر أيضاً:- **الغنيمي:** موسوعة ، ج 5 ، ص14 .

أولاً: ضعف الجبهة الداخلية الموحدية وتعرض أمنها الخارجي للخطر والتهديد :

فقد تمرد بنو غانية*[1] أمراء ميورقة*[2] على الدولة ، وأجازوا البحر في أساطيلهم إلى بجاية*[3] واستولوا عليها سنة 581هـ/1185م في أول دولة الخليفة الموحدي يعقوب المنصور ابن يوسف (580-595هـ/1184-1198م) ، وخلعوا طاعة الموحدين ودعوا للخلافة العباسية ببغداد ، ولما تولى الحكم الموحدي محمد الناصر بن يعقوب المنصور (595-610هـ/1198-1213م) ازداد خطرهم مما مكنهم من الاستيلاء على كثير من مناطق المغرب الأقصى ، وقد أدى ذلك إلى استنزاف قدر هائل من الطاقات البشرية والمادية الموحدية في سبيل مواجهتهم[4] .

---

*[1] **بنو غانية**:- أسرة من القواد المرابطين اشتهرت بالمغرب والأندلس، وحينما انهارت دولة المرابطين استولوا على الجزائر الشرقية (وكبراها ميورقه) ، فأقاموا بها دولة مستقلة ، ولم تتخلص الدولة الموحدية من شرورهم إلا عندما قام الشيخ أبو محمد عبد الواحد أبي حفص (ت 629هـ/1231م) بسحقهم سنة (603 و 606هـ/1206 و 1209م)، **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص311.

*[2] **ميورقة**:- جزيرة تقع شرقي الأندلس كما تقع بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، **الحموي**: معجم، ج8، ص357 وسقطت بيد الأسبان سنة 627هـ/1230م ، **الحميري**: الروض ، ص568، وتسمى تلك الجزر جزر الباليار ، **خوند**: الموسوعة ، ج1 ، ص314 . **أنظر خارطة** رقم (1) ، ص227.

*[3] **بجاية**:- مدينة تقع على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، وتسمى الناصرية أيضاً، **الحموي**: معجم، ج2، ص270 وهي من المدن المزدهرة تجارياً وصناعياً وزراعياً ، وكانت قد عمرت بعد خراب القلعة التي بناها حماد بن بلقين زعيم بني حماد هناك، **الإدريسي**: نزهة ، ج2 ، ص(260- 261). **أنظر خارطة** رقم (1) ، ص227.

[4] **ابن خلدون**: العبر ، ج6 ، ص(20-21) ، **الحميري**: الروض ، ص568 .

أنظر أيضاً:- **حركات** : المغرب ، ج1 ، ص305.

وتعرضت المدن المغربية الساحلية لهجمات عسكرية من جانب الممالك النصرانيـــة*[1] الاسبانية والجنوية*[2] ، فقد شدد الجنويون الحصار على سبته ونصبوا عليـــها المجـــانيق وآلآت الحرب حتى اضطر أهلها إلى مهادنتهم سنة 633هـ/1235م على أربعمائة ألف دينار[3] .

وفي سنة 649هـ/1251م عبر فرناندو الثالث*[4] (1230-1252م) ملك قشتالة البحـــر لغزو الشمال الإفريقي فاكتفى القشتاليون بالانتصار البحري الذي أحرزوه على المغاربة ولكنـــهم عادوا سنة 658هـ/1259م إلى مهاجمة سبتة فدخلوها وخربوها[5] ، وفي نهايـــة عـــهد دولـــة الموحدين بالمغرب وتحديداً سنة 668هـ/1269م هوجم حصن العرائش*[6]وحصن تشـمس*[7] فقتلوا الرجال وسبوا النساء وصادروا الأموال[8] .

---

*[1] **الممالك النصرانية المقصودة هي:-** قشتالة وأراجون والبرتغال، **عنان:** دولة، ع4، ص88، **أنظر خارطة رقـم** (1)، ص227.

*[2] **جنوة:-** مدينة وصفها الإدريسي(ت 560هـ/1164م) بأنها قديمة وأزلية البناء على مقربـــة مـــن نـــهر صغـــير وأهلها تجار وبحارون، نزهة، ج2، ص(749-750)، وتقع شمال غـــرب إيطاليـــا علـــى الســـاحل الشـــمالي للبحـــر المتوسط، **انظر خارطة** رقم (1) ، ص227.

[3] **الناصري:** الاستقصا ، ج 2 ، ص244 .

أنظر أيضاً:- **المنوني:** ورقات ، ص12.

*[4] **فرنادو الثالث:-** تولى حكم مملكة قشتالة بعد والده الفونسو التاسع (ت 1230م)، واستطاع أن يفتح الكثير من قواعد الأندلس العظيمة مثل قرطبة وجيان وإشبيلية، وتوفي سنة 1252م ودفن في إشبيلية، **عنان:** دولة، ع4، ص88، 91.

[5] **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص178 .

*[6] **حصن العرائش:-** يقع على شاطئ الأطلسي عند مصب نهر اللوكس جنوبي طنجة، **الوزان:** وصف، ج1، ص302.

*[7] **تَشُمُس:-** مدينة قديمة بالمغرب، عليها سور قديم، وبينها وبين البحر المحيط نحو ميل جنوبي طنجـــة، **الحمـــوي:** معجم، ج2، ص445.

[8] **المنوني:** ورقات، ص13.

ثانياً: الصراع على السلطة واستبداد الوزراء وسوء تصرف الشيوخ:-

ويعد ذلك من أبرز ملامح المرحلة التي أعقبت هزيمة العقاب*[1] سنة 609هـ/1212م، خاصة منذ وفاة الخليفة محمد الناصر بن المنصور يعقوب الموحدي سنة 610هـ/1213م[2] ، الذي كان مسيطرا عليه من قبل وزيره أبي سعيد بن جامع*[3] [4] .

خلف الناصر ولي عهده وخليفته يوسف المنتصر (610-620هـ/1213-1223م) وكان عمره حينذاك ست عشرة سنة[5] ، فاستبد ابن جامع بأمور الدولة، بينما انشغل الخليفة باللهو والانغماس في اللذات[6] ، ونظراً لضعفه فقد كانت أوامره لا تطاع ، وكل من ولي بلداً عمل فيه برأيه[7] ، وفي معرض حديثه عن نتيجة ذلك يقول ابن خلدون (ت 808هـ/1405م):

---

*[1] **العقاب:-** موضع بالأندلس بين جيان وقلعة رباح ، **الحميري:** الروض ، ص416 وعند **ابن خلدون** (ت 808هـ/1405م) ، حصن العقبان، العبر ، ج6 ، ص249، **أنظر خارطة رقم (1)**، ص227، وتسمى معركة العقاب في المصادر الأجنبية لاس نافاس دي تولوزا Las Navas de Tolosa ، **سالم:** تاريخ المغرب ، ص739، **أشباخ:** تاريخ ، ج2 ، ص 120 .

[2] **ابن خلدون:** العبر ، ج 7 ، ص169 .

أنظر أيضاً:- **حركات:** المغرب ، ج1 ، ص308 .

*[3] **أبو سعيد بن جامع:-** يصف **ابن أبي زرع** (741هـ/1340م) هذا الوزير بأنه لم يكن شريف النسب في الموحدين، ولما ولي حجابة محمد الناصر ووزارته أخذ يقهر أعيان الموحدين ويهين أهل الشرف فيهم حتى فر من بساط الناصر أكثر الأشياخ الذين قام الأمر بهم، فانفرد بالخدمة هو ورجل يعرف بابن منشأ، الأنيس، ص(236-237).

[4] **ابن خلدون:** العبر ، ج 6 ، ص250.

[5] **المراكشي:** المعجب، ص323 ، **ابن أبي زرع:** الذخيرة، ص49 .

[6] **المقري:** نفح ، ج6، ص117 ، **الناصري:** الاستقصا، ج2، ص226 .

أنظر أيضاً:- **جوليان:** تاريخ ، ج2، ص213، **أشباخ:** تاريخ ، ج2، ص152.

[7] **ابن أبي زرع:** الأنيس ، ص 224.

" فضاعت الثغور وضعفت الحامية وتهاونوا – الموحدون – بأمرهم وفشلت ريحهم " [1] .

عندما هلك المنتصر *[2] اختار ابن جامع أبا محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمخلوع (620–621هـ/1223–1224م)[3] ، فتمرد أبو محمد عبد الله يعقوب بن المنصور (ت 624هـ/1227م) في مرسية على السلطة الجديدة وتسمى بالعادل وذلك سنة 621هـ/1224م ، وقد ساعده في ذلك كره الناس للوزير ابن جامع[4] ، مما أفضى إلى حدوث انشقاق في الصف الموحدي ، ففي الوقت الذي بويع العادل من أخوته أبو العلاء صاحب قرطبة وأبو الحسن صاحب غرناطة ، وأبو موسى صاحب مالقة ، وأبو محمد بن أبي عبد الله المعروف بالبياسي صاحب جيان، فقد تمسك كل من عبد العزيز شقيق المخلوع وأبي زيد بن أبي عبد الله شقيق البياسي صاحب بلنسية *[5] وشاطبة*[6] ودانية*[7] بطاعة المخلوع[8] .

---

[1] **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص169.

*[2] **المنتصر**:– يرجح ابن أبي زرع (ت 741هـ/1340م) أن يكون الخليفة الموحدي المذكور قد قتل إثر تعرضه لطعنه في صدره من بقرة هائجة في إحدى مزارعه في مراكش حيث كان مولعا بتربية الحيوانات، الأنيس، ص243، ويؤيد **الناصري** هذا الرأي: الاستقصا، ج2، ص228، وكذلك **أشباخ**: تاريخ، ج2، ص155.

[3] **ابن خلدون**: العبر، ج6، ص251.

[4] **المراكشي**: المعجب، ص333، **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص224، **النويري**: نهاية ، ج24 ، ص347 ، **القلقشندي**: صبح، ج5، ص192، **الناصري**: الاستقصا، ج2، ص229.

*[5] **بلنسية**:– تقع على ضفة بحر الروم شرقا ، وتعرف بمدينة التراب، وتتبع لها عدة مناطق أخرى ، **الحموي**: معجم ، ج2، ص386، **خوند**: الموسوعة ، ج1 ، 3ص304 . **أنظر خارطة رقم (1)**، ص227.

*[6] **شاطبة**:– تقع على بعد اثني عشر ميلا من جزيرة شقر، ويصفها الإدريسي أنها مدينة حسنة وحصينة ، **الإدريسي**: نزهة ، ج2، ص556، انظر أيضا **الحميري**: الروض ، ص337.

*[7] **دانية**:– من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا ولها مرسى يسمى السمان ، **الحموي**: معجم ، ج4، ص285.

[8] **الناصري**: الاستقصا، ج2، ص230. **أنظر خارطة رقم (1)**، ص227.

وعندما رأى أبو محمد البياسي أخاه أبا زيد قد تمرد على العادل وتمسك بطاعة المخلوع، توقف عن بيعة العادل وثار ببياسة قرطبة وجيان وقيجاطة *[1] وحصون الثغر الأوسط*[2] وتلقب بالظافر[3] ، وحاول العادل قمع هذا التمرد فاستنصر البياسي سنة 622هـ/1225م بالفونسو التاسع ملك ليون (ت 1230م) على أن ينزل له عن بياسة وقيجاطة[4]، " فكان أول من سن إعطاء الحصون والبلاد للروم " في دولة الموحدين[5] .

لم يتم الأمر للمخلوع سوى شهرين، وقتل بأمر من الخليفة العادل في رمضان سنة 621هـ/أيلول 1224م ، فكانت هذه سابقة خطيرة إذ كان هذا أول من قام بعملتي الخلع والقتل معا في تاريخ الدولة الموحدية[6] ، وقد لاقى الخليفة العادل المصير نفسه سنة 624هـ/1226م على يد أبي العلاء إدريس بن يعقوب الملقب بالمأمون (626-629هـ/1229-1231م)[7] ، وما كاد أهل الأندلس يبايعونه بإشبيلية حتى ندم الموحدون على ذلك في مراكش فبايعوا يحيى ابن الناصر بن المنصور وكان سنه يومئذ ست عشرة سنة[8] ، فطلب المأمون مساعدة ملك

---

*[1] **قيجاطة**:- مدينة بالأندلس من عمل جيان، **الحميري**: الروض، ص488، وعند **الإدريسي** (ت 560هـ/1165م) فهو قيشاطة ويصفه بأنه كالمدينة له أسواق وربض وحمام وفنادق، نزهة، ج2، ص569. **أنظر خارطة** رقم (5)، ص231.

*[2] **حصون الثغر الأوسط**:- هي حصون طليطلة وأعمالها، **عنان**: دولة، ع2، ص17. **أنظر خارطة** رقم (1)، ص227.

[3] **الناصري**: الاستقصا، ص231.

[4] **ابن خلدون**: العبر، ج4، ص168، **الحميري**: الروض، ص488.

[5] **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص246، وتعني **الروم** هنا: النصارى الذين حاربوا المسلمين من إسبان وغيرهم ، **حتاملة**: الأندلس ، ص978 .

[6] **ابن خلدون**: العبر، ج6، ص352.

[7] **المراكشي**: المعجب، ص334 ، **ابن خلدون**: العبر، ج6، ص352 ، **الناصري**: الاستقصا، ج2، ص233.

[8] **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص148 ، **المقري**: نفح ، ج6، ص118.

قشتالة فرناندو الثالث على أن يكون للأخير عشرة حصون وأن تبنى للنصارى كنيسة في مراكش، وإن أسلم أحد من الروم فلا يقبل منه، وإن تنصر أحد من المسلمين فليس لأحد عليه من سبيل، ودخل المأمون مراكش بمساعدة النصارى سنة 626هـ/1229م وتم لهم ما اشترطوا عليه[1] ، وفر يحيى بن الناصر خارج مراكش إلى جبل تينمل *[2] وانتقاما من الموحدين ارتكب المأمون بحق أشرافهم وأشياخهم مجزرة شنيعة أتت حتى على صغارهم[3] فقتل منهم أربعة آلاف وستمائة نفر[4] .

ولما هلك المأمون أواخر سنة 629هـ/1232م بويع ابنه عبد الواحد ولقب بالرشيد (ت 640هـ/1242م) وكان سنه يوم بويع أربع عشرة سنة، حيث وأخذ المتنفذون في الدولة البيعة له مثل:- كانون بن جرمون السفياني وشعيب أخ قاريط الهسكوري ومرقسيل قائد كتيبة النصارى في الجيش الموحدي، ولم تستقر الأوضاع في دولته إلى أن مات غرقا في صهريج سنة 640هـ/1242م[5] ، فخلفه أخوه علي بن المأمون بن المنصور الملقب بالسعيد (640-646هـ/1242-1248م) بتعيين من أبي محمد بن وانودين، وقد أساء السعيد إلى شيوخ

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص251 .

انظر أيضا:- سالم: تاريخ المغرب، ص740.

*(2) **تينمل**:- أو تانملت وهو حصن منيع على جبل درن جنوب المغرب الأقصى، ولا يمكن الوصول إليه إلا بصعوبة، وبه ظهر المهدي محمد بن تومرت الموحدي (ت 524هـ/1130م) فزاد في تحصينه ودفن فيه، وبه أشجار مثمرة من مختلف الأصناف ، **الإدريسي**: نزهة ، ج1، ص230 ، **الحميري**: الروض ، ص235.

(3) **الناصري**: الاستقصا ، ج2، ص238.

(4) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص252.

(5) المصدر نفسه، ص(254-255) ، **ابن خلدون**: العبر، ج6، ص256.

الموحدين بأن صادر أموالهم واصطفاها له[1] فانشغل خلال حكمه في مقارعة بني مرين وبني زيان*[2] ، إلى أن قتل سنة 646هـ/1248م على يد بني زيان [3] ، فجاء بعده عمر المرتضى، واستمر حكمه حتى سنة 665هـ/1266م حين نازعه في الأمر أبو العلاء إدريس بن محمد الملقب بأبي دبوس الذي تسمى بالواثق بالله ، فكان آخر ملوك الموحدين، إلى أن قتل على أيدي بني مرين في أول محرم سنة 668هـ/آب 1269م ، فانقرضت بموته الدولة الموحدية[4].

ثالثا: الكوارث الطبيعية والبيئية:-

تعرضت دولة الموحدين لموجات متلاحقة من الكوارث الطبيعية والبيئية، كوباء الطاعون الذي عم بلاد المغرب والأندلس سنة 610هـ/1213م ، كما اجتاح الجراد بلاد المغرب عامي 617 و 624هـ/1220 و 1226م فخلف قحطا شديدا ، وفي سنة 626هـ/1229م كان السيل العظيم بفاس الذي أدى إلى هدم سورها القبلي ومنشآت أخرى، وعاد الوباء سنة 635هـ/1238م إلى بلاد المغرب فدفن كل مائة شخص في حفرة واحدة، وفي سنة 646هـ/1248م شبت الحرائق في فاس ، ورافق ذلك كله غلاء شديد في الأسعار وأوضاع

---

(1) **الناصري:** الاستقصا، ج2، ص247.

*(2) **بنو زيان:-** أسرة بربرية من ملوك تلمسان، حكمت المغرب الأوسط من سنة 633هـ/1235م حتى سنة 962هـ/1554م ، وينتسب هؤلاء إلى الشريف إدريس، ويسمون أيضا بنو عبد الواد نسبة إلى أحد أجدادهم ، وكان أول ملوكهم يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م) وهو الأشهر بهم، **بل:** زيان، ج10 ، ص474.

(3) **ابن خلدون:** العبر، ج6، ص258.

(4) **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص(258-261)، **النويري:** نهاية ، ج24 ، ص348 ، **المقري:** نفح ، ج6 ، ص118.

أنظر أيضا:- **عنان:** دولة ، ع4 ، ص32 .

اقتصادية بالغة الصعوبة[1] حيث توقفت الحركة الزراعيـــة واضمحلـت المنشــآت الصناعيــة والعمرانية وكثر الخراب في معظم المدن المغربية [2].

رابعا: بروز الثورات وحركات التمرد والنزعات الاستقلالية:-

في عهد المأمون بن المنصور ثار بجبال غمارة سنة 625هـ/1227م محمد بـــن أبـــي الطواجين المتنبي، ثم ارتحل إلى سبتة وادعى النبوة[3]، وفي سنة 629هـ/1231م ، وفي الوقت الذي خرج على المأمون أخوه أبو موسى عمران بن المنصور بن يعقوب بمدينة سبتة وتســـمى بالمؤيد ، قامت قبائل مكلاثة بمحاصرة مكناسة *[4] ، وقام عمران هذا بتسليم سبتة لابـــن هـــود الغرناطي مقابل توليته إمارة المرية [5] .

وثارت قبائل الخلط بقيادة مسعود بـــن حميـــدان فـــي زمـــن الخليفـــة الرشـــيد ســـنة 632هـ/1234م وقام رجالها بالاستيلاء على العاصمة مراكش مما استدعى جهودا كبيرة مـــن أجل إخماد هذه الثورة، وفي سنة 651هـ/1253م فر من حاشية الخليفة المرتضي علي بن بـــدر

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس ، ص(262-264) .

(2) **المنوني**: ورقات ، ص12 .

(3) **الناصري**: الاستقصا، ج2، ص234. أنظر **جبال غمارة** في خارطة رقم (4) ، ص230.

*(4) **مكناسة**:- مدينة في بلاد البربر بينها وبين مراكش أربعة عشرة مرحلة نحو المشرق، وهي عبـــارة عـــن مدينتيـــن صغيرتين واحدة قديمة والأخرى من بناء يوسف بن تاشفين (453-500هـ/1061-1106م)، ويبعد عن فاس مرحلـــة واحدة، **الحموي**: معجم ، ج8، ص(306-307).

(5) **ابن خلدون**: العبر، ج6، ص254.

من بني باداسن ، ولحق ببلاد السوس وتحصن ببعض جبالها واستولى على تارودانت *[1] وعلى بعض بسائط بلاد السوس بمشاركة قبائل الشبانات وذوي حسان من عرب المعقل[2] .

أما على صعيد النزاعات الاستقلالية ففي بداية عهد الخليفة الموحدي المنتصر يوسف بن الناصر تأخرت بيعة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص*[3] (ت618هـ/1221م) والي الموحدين على إفريقية احتجاجا على صغر سن الخليفة ، ومن ثم عاد الحفصيون وبايعوه بعد تدخل من الوزير ابن جامع، فكانت هذه أولى بوادر التمرد الحفصي في المغرب الأدنى على الحكومة المركزية، إلى أن جاءت سنة 627هـ/1230م حين استبد الأمير أبو زكريا بن الشيخ أبي محمد بن أبي حفص الهنتاني (ت 647هـ/1250م) بإفريقية وخلع طاعة الموحدين[4] ، أما بنو عبد الواد بزعامة يغمراسن*[5] بن زيان فقد استقلوا بالمغرب الأوسط وجعلوا من تلمسان عاصمة لهم (633هـ/1235م)[6] ، وفي سنة 635هـ/1237م استقل محمد بن يوسف بن

---

*[1] **تارودانت:-** قاعدة بلاد السوس في جنوب المغرب الأقصى وأهم مدنها ، **الإدريسي:** نزهة ، ج2، ص227. **أنظر خارطة** رقم (3) ، ص229.

[2] **الناصري:** الاستقصا، ج2، ص(253-254).

*[3] **عبد الواحد بن عمر بن أبي حفص الهنتاني:-** مؤسس دولة الحفصين في إفريقيا الشمالية، ولي تونس من قبل الموحدين سنة 603هـ/1206م إلى أن توفي سنة 618هـ/1221م ، **الزركلي:** الأعلام، ج4، ص176.

[4] **الناصري:** الاستقصا، ج2، ص240.

أنظر أيضا:- **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص310.

*[5] **يغمراسن بن زيان:-** هو فارس زناتة الأشهر ومؤسس دولة بني عبد الواد (بني زيان) بتلمسان سنة 633هـ/1235م، ولد سنة 600هـ/1203م ، **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص293، بويع بتلمسان سنة 631هـ/1233م أي قبل قيام الدولة وتوفي سنة 681هـ/1282م ، **ابن الأحمر:** روضة ، ص45.

[6] **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص79 .

أنظر أيضا:- **أبو ضيف:** أثر ، ص112.

الأحمر (ت 671هـ/1272م) بمملكة غرناطة ، فانسلخ بذلك آخر ما تبقى من الأراضي الإسلامية في الأندلس عن جسم الدولة الموحدية[1] .

وفي سنة 668هـ/1269م فتحت مراكش على يد بني مرين وقامت دولتهم في المغرب الأقصى[2]، وبذلك فقدت الدولة الموحدية سيادتها على أراضيها وأملاكها في كل من المغرب والأندلس، وأفل نجمها بعد أن امتدت سلطتها ما بين الصحراء الكبرى جنوباً والبحر المتوسط شمالاً، وما بين الصحراء الليبية شرقاً والأطلسي غرباً إضافة إلى الأندلس التي امتدت أملاك الموحدين فيها إلى ما وراء نهر الوادي الكبير[3] .

خامسا: الهزائم المتوالية التي منيت بها الدولة الموحدية على يد الممالك النصرانية:-

وأهمها هزيمة الموحدين في معركة العقاب سنة 609هـ/1212م في أيام الخليفة الموحدي محمد الناصر بن يعقوب المنصور أمام ملك قشتالة الفونسو الثامن*[4] [5] على الأراضي الأندلسية والذي لم ينس هزيمة الموحدين له في الإرك *[6] سنة 591هـ/1195م[7]،

---

(1) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص37.

(2) **الوزان**: وصف، ج1، ص135 ، **أبو ضيف**: أثر ، ص112، **المنوني**: ورقات، ص14.

(3) **أشباخ**: تاريخ ، ج2، ص(49-50) .

*(4) **الفونسو الثامن**:- يدعى الفونسو النبيل وشكلت وفاته سنة 1214م مقدمة لتوحيد الممالك النصرانية الإسبانية، **عنان**: دولة ، ع4، ص(87-88).

(5) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص234، **المراكشي**: المعجب، ص321.

أنظر أيضاً:- **سالم**: تاريخ المغرب، 733، **الغنيمي**: موسوعة، ج5، ص(200-201).

*(6) انظر تفاصيل **معركة الإرك** لدى **النويري**: نهاية ، ج24، ص332 وما بعدها، ولدى **أشباخ**: تاريخ، ج2، ص(83-87)، **والإرك** هو حصن منيع قرب قلعة رباح، **الحميري**: الروض، ص27، **أنظر خارطة** رقم (1)، ص227.

(7) **عنان**: دولة ، ع4، ص87.

ذلك أنه عندما بلغ الخليفة الموحدي ما تعانيه ثغور الأندلس وأهلها وخاصة حصون بلنسية من اعتداءات من قبل النصارى وعلى رأسهم الملك القشتالي المذكور سنة 605 و606 هـ/1208 و1209م ، عزم على نجدتها مستعينا بالشيخ أبى محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص (ت 618هـ/1221م) صاحب إفريقيا، إلا أن الأخير أبى عليه وخالفه[1] .

خرج الناصر من مراكش في شعبان سنة 607هـ/كانون ثاني 1211م بعد أن اكتملت لديه الحشود وبلغت ستمائة ألف مقاتل[2]، حتى انتهى إلى قصر المجاز*[3] ، ثم خرج بنفسه إلى ميدان الجهاد في الأندلس[4]، حيث قسم الجيش إلى خمس فرق وأمر كل منها أن تنزل بناحية[5].

وفي أوائل صفر من سنة 608هـ / تموز 1211م خرج الناصر من إشبيلية غازياً بلاد قشتالة[6] وهناك قام الجيش الإسلامي بمحاصرة حصن شلبطرة*[7] ، ونصبت المجانيق حوله

---

(1) **ابن خلدون**: العبر، ج6، ص249 ، **الناصري**: الاستقصا، ج2، ص220.

أنظر أيضاً:– **سالم**: تاريخ المغرب، ص(733-734).

(2) **المقري**: نفح ، ج1، ص420.

*(3) **قصر المجاز وقصر مصمودة والقصر الصغير**:– أسماء لمدينة واحدة ، وسميت قصر المجاز لأنه كان يتم الجواز منها إلى الأندلس ، وتقع بين سبتة وطنجة على ساحل المتوسط ، وهي مقابل الجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس ، **الإدريسي**: نزهة ، ج2، ص527، **الحموي**: معجم ، ج7، ص59.

(4) **الناصري**: الاستقصا، ج2، ص220.

(5) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص234

أنظر أيضاً:– **أبو ضيف**: أثر ، ص94.

(6) **الناصري**: الاستقصا، ج2، ص221.

أنظر أيضاً:– **سالم**: تاريخ المغرب، ص734

*(7) **شلبطرة**:– حصن منيع من عمل قلعة رباح يقع على قمة جبل وعر ليس له إلا مسلك واحد ، **الحميري**: الروض ، ص344، **ابن أبي زرع**: الأنيس ، ص236 . **أنظر خارطة رقم (1)** ، ص227.

ولكنه استعصى على الفتح[1] ، واستمر الحصار لمدة ثمانية أشهر إلى أن فتح صلحاً في أواخر ذي الحجة سنة 608هـ / أيار 1212م [2] مما أدى إلى إنهاك الجيش واستنزاف طاقاته، وقد وصف ابن أبي زرع (ت 741هـ/1340م) ذلك بقوله: " حتى فنيت فيه أزواد الناس وقلت علوفاتهم وكلت عزائمهم وفسدت نياتهم وانقطعت الإمداد عن المحلة، فغلت بها الأسعار ودخل فصل الشتاء فاشتد البرد وأصاب المسلمين الضر" [3] ، ولعب الوزير أبو سعيد بن جامع دوراً بارزاً في ذلك لأنه هو الذي أشار على الناصر بإصرار بأن لا يتجاوزه حتى يفتحه[4].

ومما زاد الطين بلّة قيام مفرزة من الجيش الموحدي بمهاجمة قلعة أخرى وهي قلعة رباح*[5] بقيادة أبي الحجاج يوسف بن قادس (ت 608هـ/1211م) ، إلاّ أن النصارى سرعان ما استغلوا ضعف وقلة حامية القلعة ، فحاصروها وضيقوا عليها فكتب ابن قادس للخليفة الناصر يستمد منه العون، ولكن الوزير ابن جامع كان يخفي هذه الكتب حتى لا يضطر الناصر على مغادرة حصن شلبطرة ، ولما طال الحصار على رباح اضطر أهلها للاستسلام[6] .

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص236.

(2) **الناصري**: الاستقصا، ج2، ص223.

(3) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص237.

(4) **الناصري**: الاستقصا، ج2، ص221.

*(5) **قلعة رباح**:- تقع هذه القلعة غربي طليطلة، **الحموي**: معجم ، ج4، ص387 ، وتحديداً على ضفة نهر يانة، **الإدريسي**: نزهة، ج2، ص550. **أنظر خارطة** رقم (1) ، ص227.

(6) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص237 ، **ابن خلدون**: العبر، ج6، ص249، **الناصري**: الاستقصا، ج2، ص222.

أنظر أيضاً:- **سالم**: تاريخ المغرب، ص(737-738).

ولما وصل ابن قادس قام الناصر بقتله بتحريض من ابن جامع لاتهامه إياه بتسليم القلعة للعدو[1]، مما أدى بالأندلسيين إلى الحقد على المغاربة، وكرد فعل من جانب الوزير ابن جـامع قام بإقصاء القادة الأندلسيين عن مناصبهم[2] .

وفي أواخر ذي الحجة سنة 608هـ/أيار 1212م زحف الفونسو الثامن لقتال الجيـش الإسلامي فالتقى الجيشان في موضع يعرف بالعقاب[3] ، ودارت معركة ضاريـة قـاتل فيـها المتطوعة في جيش الموحدين بشراسة فقتلوا جميعاً وكان عددهم مائة وستين ألفاً، فـي حيـن وقفت القوات النظامية الموحدية موقفاً محايداً ولم يحركوا ساكناً[4] ، ورغم ذلك لم يسلموا مـن القتل إذ قضى النصارى على معظمهم، ولم تصمد إلاّ الدائرة المحيطة بالخليفة وهي دائرة العبيد التي قتل منها نحو عشرة آلاف[5]، فكانت هزيمة مدوية خسر فيها الناصر جيشه، وفر الخليفـة مع خاصته مهزوماً في الخامس عشر من صفر سنة 609هـ/تموز 1212م[6] ، وخلال ذلـك أصدر الفونسو الثامن أوامره بقتل كل من يتم إلقاء القبض عليه من أسرى المسلمين[7]، وارتكب القشتاليون مجزرة كبيرة بحق سكان مدينتي بياسة وأبذة[8] ، بمباركة زعماء أوروبـا الدينييـن

---

(1) الناصري: الاستقصا، ج2، ص223.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص238.

(3) المراكشي: المعجب، ص321.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس، ص(238-239).

(5) الناصري: الاستقصا، ج2، ص224.

أنظر أيضاً:- سالم: تاريخ المغرب ، ص743.

(6) ابن أبي زرع: الأنيس، ص240.

(7) الناصري: الاستقصا، ج2، ص224.

(8) المراكشي: المعجب، ص322. أنظر خارطة رقم (5) ، ص231.

وعلى رأسهم البابا أنوسنت الثالث (1198-1216م)[1] ، فكانت تلك الوقعة سبب ضعف المسلمين بالمغرب والأندلس واستيلاء النصارى الإسبان على معظم ثغورها وحصونها[2] ، "ولم تقم بعدها للمسلمين قائمة تحمد" [3].

وخلال حكم الخليفة الموحدي يوسف المنتصر بن الناصر (610-620هـ/1213-1223م) استولى النصارى على كثير من معاقل المسلمين ومدنهم في الأندلس ، ففي سنة 614هـ/1217م تلقى المسلمون هزيمة أخرى بقصر أبي دانس غربي الأندلس على يد القشتاليين في حين لم تنفع النجدات الإسلامية التي قدمت من إشبيلية وقرطبة وجيان لفك الحصار عنه ، إذ كان هؤلاء خائري القوى إثر معركة العقاب وفي حالة خوف شديد من سطوة الملك القشتالي ، مما أدى بهم إلى الفرار دون الدخول في مواجهة، فقام الفونسو الثامن باقتحام القصر عنوة وقتل جميع من كان به من المسلمين[4] وكان ذلك بمشاركة ملك البرتغال*[5] الفونسو الثاني[6] .

---

[1] **عاشور**: أوروبا ، ج1 ، ص539 ، 541 .

[2] **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص37، **المقري**: نفح ، ج1، ص420.

[3] **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص144، **المقري**: نفح ، ج1، ص420. وللاطلاع على تفاصيل هذه المعركة ، أنظر أيضا **أشباخ**: تاريخ ، ج2، ص(105-120) .

[4] **الناصري**: الاستقصا، ج2، ص227 ، **الحميري**: الروض ، ص475. لمعرفة موقع قصر أبي دانس ، **أنظر خارطة** رقم (1) ، ص227.

*[5] **البرتغال**:- سميت بذلك الاسم نسبة إلى الميناء الروماني Portus Cale ، ويرجع منشأ الدولة البرتغالية إلى أواخر القرن الحادي عشر عندما كافأ ملك قشتالة الفونسو السادس الأمير البرغندي هنري سنة 1095م على جهاده الصليبي بتزويجه من ابنته وإعطاءه بعض المناطق التي كانت عائدة للمسلمين سنة 1064م حول نهر منهو، فعمل الزوجان على جعل تلك المناطق إمارة مستقلة، وينتمي الفونسو الثاني المذكور إلى تلك الأسرة ، **اليوسف**: العصور ، ص341.

[6] **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص243.

واستولى النصارى أيضاً على حصن القنطرة *[1] [2] فكانت هذه الهزيمة من الهزائم الكبار التي تقرب من هزيمة العقاب[3] .

إثر ذلك اجتاحت إسبانيا المسلمة موجة عاتية من الغزو النصراني القشتالي والأراجوني فسقطت القواعد الأندلسية والموحدية بيد النصارى تباعاً كماردة *[4] سنة 626هـ/1228م وجزيرة ميورقة وبطليوسة*[5] سنة 627هـ/1229م وقرطبة وأستجة*[6] والمدور*[7] سنة 633هـ/1235م وبلنسية سنة 636هـ/1238م ومرسية وشلب*[8] سنة 640هـ/1242م ودانية ولقنت*[9] سنة 641هـ/1243م وجيان وقرطاجنة*[10] سنة 643هـ/1245م وشاطبة سنة

---

*[1] **القنطرة**:- أحد الحصون الأندلسية جنوب غرب الأندلس، وهي من أعمال شنترين، **الإدريسي**: نزهة، ج2، ص553.

[2] **حركات**: المغرب، ج1، ص310.

[3] **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص243.

*[4] **ماردة**:- إحدى المدن الواقعة ضمن أحواز قرطبة إلى الغرب منها، وتبعد عن بطليوس عشرين ميلاً ، **الحميري**: الروض، ص(518-519).

*[5] **بطليوسة**:- مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنه غربي قرطبة، **الحموي**: معجم ، ج2، ص353.

*[6] **أستجة**:- تقع جنوب غرب قرطبة وبينهما مرحلة كاملة ، **الحميري**: الروض ، ص53، وهي قاعدة إقليم إشبيلية الغربي، **خوند**: الموسوعة ، ج1 ، ص295 .

*[7] **المدور**:- حصن منيع بالقرب من قرطبة ، **الإدريسي**: نزهة ، ج2، ص561.

*[8] **شلب**:- إحدى مدن غرب الأندلس وتقع غربي قرطبة وبينهما وبين شنترين خمسة أيام، **الحموي**: معجم، ج5، ص151.

*[9] **لقنت**:- مدينة صغيرة عامرة كثيرة الأشجار وبها دار لصناعة السفن ، **الإدريسي**: نزهة ، ج2، ص558 ، وتقع على ساحل المتوسط وبينها وبين دانية سبعون ميل ، **الحميري**: الروض ، ص511.

*[10] **قرطاجنة**:- مدينة جنوب غرب إسبانيا قريبة من جبل طارق وتعرف بقرطاجنة الحلفاء، **الحموي**: معجم، ج7، ص31.

644هـ/1246م وإشبيلية سنة 646هـ/1248م وشمنتيرية الغرب*[1] سنة 647هـ/1249م ولبله ووليه*[2] سنة 655هـ/ 1257م [3].

وهكذا لم يأت منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى كلها قد سقطت بيد إسبانيا النصرانية ، ولم يبق من تراث الدولة الإسلامية في الأندلس سوى بضع ولايات صغيرة في طرف إسبانيا الجنوبي والتي تمثلت بمملكة غرناطة.

---

*[1] **شمنترية الغرب**:- إحدى مدن الأندلس من أعمال اكشبونة وهي عبارة عن حصن على شاطئ الأطلسي وبها دار لصناعة السفن، **الحميري**: الروض ، ص347، وتسمى اليوم سانتا ماريا ، **خوند**: الموسوعة ، ج1 ، ص306 .

*[2] ولبة:- تقعان في الجهة الجنوبية الغربية من الأندلس، وولبة مدينة مسورة على نهر يأتيها من جبل مجاور، وتقع على بعد ستة أميال من البحر المحيط وتطل على مدينة لبلة المجاورة ، **الإدريسي**: نزهة ، ج2، ص541.

[3] **ابن خلدون**: العبر، ج4، ص171 ، أنظر **خارطة رقم** (1) ، ص227، **وخارطة رقم** (5) ، ص231.

أنظر أيضاً:- **سالم**: تاريخ المغرب، ص(744-745) ، عنان: دولة ، ع4، ص20.

4- مملكة غرناطة المستقلة.

في الوقت الذي كانت تسقط فيه المدن والحصون الموحدية في بلاد الأندلس بيد الممالك النصرانية الإسبانية ، كانت الدولة الموحدية تفقد أملاكها على يد القوى الأندلسية المحلية الطامعة في الاستقلال، إذ قام محمد بن يوسف بن هود الجذامي (ت 635هـ/1237م) الذي ينحدر من سلالة بني هود*[1] ملوك سرقسطة*[2] ، بالتمرد في مرسية سنة 616هـ/1219م[3]، واتخذ من حصن الصخيرات*[4] ملجأ له ومقراً لقيادته[5] وقد أسبغ على حركته الدافع الوطني والقومي (وفق المفاهيم الحديثة)، خاصة بعد قيام الخليفة الموحدي المأمون – وخلال صراعه مع أخيه المعتصم – بالتحالف مع ملك قشتالة من أجل الوصول إلى السلطة مقابل امتيازات معلومة منحها للنصارى، وقد اتخذ ابن هود ذلك دافعا ومبرراً من أجل تحرير الأندلس من النصارى والموحدين معاً[6] ، وكان ذلك سبباً مباشراً في دخول الكثير من الأندلسيين تحت

---

*[1] **بنو هود**:– ينحدرون من قبيلة جذام العربية، **القلقشندي**: قلائد ، ص57، واستقلوا بسرقسطة سنة 405هـ/1014م بقيادة المنذر بن يحيى التجيبي ، **أشباخ**: تاريخ ، ج1، ص47 ، واصبحوا من ملوك الطوائف بالأندلس وكان من أشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف المؤتمن وابنه المستعين، **ابن خلدون**: العبر، ج4، ص(163–164) ، **المقري**: نفح، ج1، ص416 ، انظر أخبار بني هود لدى **ابن عذاري**: البيان ، ج4، ص(53–55).

*[2] **سرقسطة**:– مدينة كبيرة على نهر أبره وترتفع عن البحر نحو 184م وتحدق بها البساتين، فتحها العرب سنة 94هـ/712م واتخذوها قاعدة من قواعدهم بالأندلس، **المراكشي**: المعجب، ص71. **أنظر خارطة رقم (1)**، ص227.

[3] **القلقشندي**: صبح ، ج5، 260 ، **ابن الخطيب**: كناسة ، ص18.

أنظر أيضاً:– **أشباخ**: تاريخ ، ج2، ص160 .

*[4] الصخيرات:– أو الصخرة حصن صغير على نهر مرسية جنوب غرب الأندلس ، **الحميري**: الروض، ص416.

[5] **ابن خلدون**: العبر، ج4، ص168 .

[6] **المقري**: نفح ، ج1، ص421 .

أنظر أيضاً:– **عنان**: دولة ، ع4، ص(30–31) ، **أشباخ**: تاريخ ، ج2، ص(160–161).

طاعته، إذ كان أول ظهور سياسي لابن هود في رمضان سنة 625هـ/آب 1228م حين بايعه أتباعه على الطاعة والولاء، فذاع سيطه وازداد عدد الموالين له[1] ، وأعلن ضرورة العمل على إحياء الشريعة ورفع لواء الجهاد، ومن أجل إضفاء الشرعية السياسة على حركته دعا للخليفة العباسي المستنصر*[2] (ت 660هـ/1261م) ببغداد[3] وقد لاقى ذلك قبولاً من الأخير فدفع لابن هود بمراسيمه وخلعه وسماه بمجاهد الدين سيف الدولة أمير الأندلس[4] ولقب ابن هود نفسه بالمتوكل على الله واتخذ السواد شعاراً[5] .

تمكن ابن هود سنة 628هـ/1230م من انتزاع المنطقة الجنوبية من الأندلس من أيدي الموحدين[6] ، وأعلن أهل إشبيلية وماردة وجيان وبطليوس انضمامهم إليه، ولكنه اضطر لمواجهة عدوّان في آن واحد[7] ، أولهما: المأمون الموحدي الذي بذل جهوداً كبيره في محاربته

---

(1) **ابن خلدون**: العبر، ج4، ص168 .

أنظر أيضاً:- **فرحات**: غرناطة، ص17.

*(2) هو **أحمد بن محمد بن الناصر**:- أول الخلفاء العباسيين بمصر ، دخلها في زمن الظاهر بيبرس سنة 659هـ/1160م، وتلقب بالمستنصر ، وفي تلك السنة رحل إلى بغداد في جيش مصري لمحاربة التتار ، فهزم ومات سنة 660هـ ، 1161م، ويعد المستنصر الخليفة العباسي الثامن والثلاثون ، **ابن تغري بردي**: النجوم، ج7، ص206 .

أنظر أيضاً:- **الزركلي**: الأعلام ، ج1 ، ص(219-220) .

(3) **المراكشي**: المعجب، ص335 ، **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص43 ، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص190 ، **المقري**: نفح ، ج1، ص422 .

(4) **فرحات**: غرناطة، ص17، **أشباخ**: تاريخ ، ج2، ص161.

(5) **المراكشي**: المعجب، ص335.

(6) **عنان**: دولة ، ع4، ص31.

(7) **فرحات**: غرناطة، ص17.

ولكنه فشل[1] ، وثانيهما: نصارى إسبانيا الذين قاموا بمحاصرة بطليوس سنة 628هـ/1230م ولم تجد نفعاً محاولات ابن هود الدفاع عنها فسقطت[2]، كما حارب ابن هود النصارى في فحص شريش على ضفاف وادي لكة سنة 630هـ/1232م لكنه هزم[3] ، فاضطر من أجل وقف الزحف النصراني إلى مهادنة فرناندو الثالث ملك قشتالة لقاء ضريبة باهظة قدرها أربعمائة ألف دينار كل سنة[4] ، ومما دفعه إلى ذلك أيضاً ظهور أطراف منافسة له على ساحة العمل الأندلسي تتمثل في ثورات بني مردنيش*[5] في بلنسية[6] ، ولكن تأثيرهم لم يكن كبيراً كتأثير محمد بن يوسف بن الأحمر*[7] الذي ظهر كمنافس قوى لابن هود على الساحة الأندلسية،

---

(1) **ابن خلدون:** العبر، ج4، ص168.

(2) **فرحات:** غرناطة، ص17 ، **أشباخ:** تاريخ ، ج2، ص147.

(3) **عنان:** دولة ، ع4، ص33. **أنظر خارطة** رقم (5) ، ص231.

(4) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص190.

*(5) **بنو مردنيش:-** هم حكام بلنسية في أواخر عهد الموحدين بالأندلس وهم أهل عصابة وأولي بأس وقوة، وأول سادتهم عبد الله بن سعيد بن مردنيش الجذامي (ت 544هـ/1149م) ، **ابن خلدون:** العبر، ج4، ص168 ، أنظر أيضا **القلقشندي:** قلائد ، ص57، وتطلق عليه المصادر الإسبانية: ابن لوبي Abenlope ، **أشباخ:** تاريخ ، ج2، ص36.

(6) **ابن خلدون:** العبر، ج4، ص(168-169).

*(7) **أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر الخزرجي الأنصاري:-** من ولد أمير الأنصار سعد بن عبادة، ولد في أرجونة من أعمال ولاية جيان سنة 595هـ/1198م وتربى تربية دينية وقيادية، استقل بغرناطة سنة 635هـ/1237م وتوفي سنة 671هـ/1272م، **ابن الخطيب:** اللمحة، ص33،42، كناسة، ص18، **القلقشندي:** صبح، ج5، ص260، **المقري:** نفح، ج1، ص421، **العبادي:** دراسات، ص(226-227)، وسمي بابن الأحمر نسبة إلى جده عقيل الذي كان أشقر الشعر مائلاً إلى الحمرة، ومن الطريف أن ملوك بني الأحمر قد اتخذوا من اللون الأحمر شعارا لهم في قصورهم الحمراء وأعلامهم وقبابهم بل وفي لون الورق الذي كانت تكتب عليها الرسائل السلطانية، **العبادي:** دراسات، ص227 .

وبعد مساجلات بين الطرفين وفي خطوة تكتيكية من جانب ابن الأحمر قام الأخـــير بالتظـــاهر بالدخول في طاعة ابن هود والدعوة للخليفة المستنصر العباسي ببغداد حتى يتمكن من اسـتجماع قواه من جديد بهدف انتزاع السلطة من أيدي بني هود[1] .

ومما ساعد ابن الأحمر على تحقيق غاياته مقتل ابن هود سنة 635هـ/1238م على يـد ابن الرميمي عامله على مدينة المرية ، وقيام أبي خالد جد بني خالد بغرناطة بالثورة على عتبة بن يحيى المغيلي والي ابن هود عليها وتسليمها لابن الأحمر[2] ، فتقدم من مدينة جيان ودخـــل غرناطة في رمضان/نيسان من العام آنف الذكر[3] ، واتخذ من حصن الحمراء قاعدة لحكمه[4] ، وكانت غرناطة في ذلك الحين تشكل ملجأ وملاذاً أخيراً للعرب والمسلمين بسبب سقوط المـــدن الشمالية بيد الإسبان ، حيث فضل الكثير من المسلمين الهجرة إلى مملكة غرناطة على الخضوع لسلطة النصارى وقبول التدجن، ممن أجبرتهم ظروفهم ومصالحهم على البقاء مغلوبيـــن علـــى أمرهم تحت السيادة الإسبانية الجديدة، وهؤلاء عرفوا في تاريخ الأندلس باسم المدجنين *[5][6].

---

[1] **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص43 ، **القلقشندي**: صبح ، ج5، ص26.

[2] **ابن الخطيب**: كناسة ، ص19 ، اللمحة ، ص47.

[3] **ابن خلدون**: العبر، ج4، ص168 ، **ابن الخطيب**: كناسة ، ص19 ، **المقري**: نفح ، ج1، ص422 ، **القلقشندي**: صبح، ج5، ص261.

[4] **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص42 ، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص190

*[5] على عكس المدجنين -الذين ورد ذكرهم سابقاً- ظهر مصطلح آخر كثيراً ما يـــرد فـــي التـــاريخ الأندلســـي وهـــو **(المستعربون)**: وهم النصارى الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة تحت حكـــم الدولـــة الإســـلامية، فتعلموا اللغة العربية وتأثروا بالتقاليد الإسلامية، **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص106.

[6] **ابن الخطيب**: كناسة ، ص17.

وبعد سنتين من فتح غرناطة دخلت مالقة في طاعة محمد بن الأحمر وعاونه في ذلك أصهاره بني أشقيلولة *[1] وعلى رأسهم أبو الحسن بن أشقيلولة [2] ، ومن ثم قام ابن الأحمر بالاستيلاء على مدينة المرية بعدما كانت بيد ابن الرميمي عامل ابن هود عليها ، وفر ابن الرميمي لاجئاً إلى تونس حيث أميرها أبو زكريا الحفصي[3] .

هكذا بدأ الفصل الأخير من فصول التاريخ الأندلسي على أرض الأندلس بعدما " لجأ المسلمون إلى سيف البحر معتصمين بأوعاره من عدوهم "[4] ضمن إطار مملكة غرناطة النصرية آخر ما تبقى للعرب في شبة جزيرة إيبيريا، وبقي حكم هذه المملكة بيد أسرة الشيخ المؤسس محمد بن يوسف بن الأحمر لمدة ما يقارب قرنين ونصف ، إلى أن سقطت بيد إسبانيا النصرانية المتحدة سنة 897هـ/1492م[5] .

---

*[1] **بنو أشقيلولة**:- هم أصهار محمد الشيخ ابن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة، من أهل أرجونة، كان لهم مساهمة فاعلة في تأسيس مملكة غرناطة، وتكريماً لزعيمهم أبي الحسن بن الحسن بن أشقيلولة فقد قام ابن الأحمر بإسكانه قصبته وتقديمه على الجيش، وعندما توفي أبو الحسن ترك ولدين: أبا إسحاق، وأبا محمد فصاهرهما ابن الأحمر على ابنتيه وولى الأول مدينة وادي آش والثاني مالقة، وأنجبوا الذرية ، فأصبح بنو الأحمر يضمرون لهم الحقد وخاصة عندما ولي محمد الفقيه ابن الأحمر (671-701هـ/1272-1301م) الحكم بعد أبيه الذي اعتبر بني أشقيلولة منافسين له، واستقل هؤلاء عن الحكومة المركزية في وادي آش، **ابن أبي زرع**: الأنيس،ص(328-329)، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص192 ، **العبادي**: دراسات، ص(402-403) .

[2] **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص192 ، **المقري**: نفح ، ج1، ص422 ، **القلقشندي**: صبح ، ج5، ص261.

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة، ع4، ص40.

[3] **ابن الخطيب**: كناسة ، ص17.

[4] **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص190.

[5] **العبادي**: دراسات، ص299، **أبو ضيف**: أثر ، ص167. يعرف بنو الأحمر أيضاً ببني نصر نسبة إلى جدهم نصر الخزرجي الأنصاري ، **ابن الخطيب**: اللمحة، ص33 .

الفصل الثاني

جهود المرينيين في تشييد صرح دولتهم

1- نسب بني مرين ومبدأ أمرهم ودخولهم المغرب الأقصى.

يرجع جميع المؤرخين والنسابة أصل وجذور بني مَرين *[1] إلى مجموعة قبائل زناتة البربرية وذلك بقولهم أن بني مرين فخذ من زناتة[2] ، ويعتبر بنو مرين أنفسهم أعلى قبائل زناتة حسباً وأشرفها نسباً[3] ، إذ يرجعون جذورهم القبلية إلى أصول عربية[4] ، وتأكيداً على ذلك يرفع البعض نسبهم إلى الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) (35-40هـ/656-661م)[5]، وهو أمر يبين مدى إدراكهم لأهمية النسب والأصول في النواحي القبلية والاجتماعية والسياسية.

---

*[1] **بنو مرين**:- هكذا ورد تشكيلها في أكثر المصادر وقد اهتم القلقشندي (ت 821هـ/1418م) بضبط تشكيلها بشكل واضح، قلائد، ص176.

[2] **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص14، الأنيس ص278، **ابن الأحمر**: روضة ، ص8، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص166، **القلقشندي**: قلائد ، ص176 ، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص3.

[3] **ابن أبي زرع**: الذخيرة ، ص13 ، **ابن الأحمر**: روضة ، ص8.

[4] **ابن خلدون**: المقدمة، ص132، يقال أن بنى مرين هم من ولد مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن يدر بن عبد الله بن ورتيب بن المعز بن إبراهيم بن سجيح بن واسين بن يصليتن بن مشري بن زاكيا بن ورسيك بن زنات بن جانا بن يحيى بن تمزيت بن ضريس، وهو جالوت الأول ملك البربر، بن زجيح بن مادغيس، بن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، **ابن أبي زرع**: الأنيس ، ص(278-279) ، الذخيرة ، ص14 ، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص166، **القلقشندي**: صبح، ج5، ص194، نهاية، ص252 .

[5] **ابن الأحمر**: روضة ، ص8 .

أنظر أيضاً:- **أبو ضيف**: أثر ، ص161.

أما قبائل بني مرين فكثيرة العدد منها: بنو عبد الحق، وبنو عسكر وبنو وطاس ، وبنو الكاس ، وبنو يابان ، وبنو فودود ، وبنو يرنيان[1] ، ويعود أصل قبائل زناتة إلى زانات بن جانا[2] .

اختلفت الروايات حول سبب هجرة زناتة من بلاد العرب إلى بلاد المغرب وما تمخض عنه من اختلاف لغتهم عن لغة أجدادهم إلى اللغة البربرية: فمنهم من قال نقلاً عن أهل المعرفة والأنساب وأيام العرب أن مضر بن نزار كان له ولدان: إلياس وعيلان، وأمهما الرباب بنت جندة بن عمرو بن معد بن عدنان، فولد عيلان بن مضر ولدان: قيس ودهمان [3].

وأما قيس بن عيلان فولد سعد وعمر وبر وخضفة، وأمهم مزنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار، وأما بر وأخته تماضر فأمهما بريغ بنت مجدلي بن مجدول بن عمار بن مضر، وكانت قبائل البربر يسكنون الشام ويجاورون العرب في المساكن والأسواق والمراعي[4]، وكانت البهاء بنت دهمان بن عيلان بن مضر من أجمل نساء زمانها، فكثر خطابها فقال بنو عمها: لا يتزوج ابنة عمنا إلاّ أحدنا، فخيروها فاختارت براً، فحسده إخوته عليها وهموا بقتله، فخافت أمه بريغ

---

(1) ابن الأحمر: روضة ، ص11.

أنظر أيضاً:- العبادي: دراسات، ص(207-208).

(2) ابن أبي زرع: الأنيس ، ص279، ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص7 ، أهم قبائل زناتة بالإضافة إلى مرين: مغراوة وبنو يفرن، وزواغة، ووجديجة، وبنو فاتن، ومغيله، ومطغرة، ومديونة، وكشاتة، وملزوزة، ومطماطة، وولهاصة، ولواتة، ومرنية، وبنو دمر، ونفوسة، وبنو يطوفت، وبنو يخفش، وبطوية، وكزناية، وبنو ورطغير، وبنو يزونت، وملكيشة، وعشعاشة، وسدريكة، ونفزة، وجراوة، ولماية، وبنو مسارت، وسدراتة، وبنو واسين، وزحيلة، وسوماتة، وورسيفة، وبنو تاجرة، وبنو عبد الواد وإخوانهم بنو تجين ، ابن أبي زرع: الذخيرة، ص15، ابن الأحمر: روضة، ص10، ابن حوقل: صورة، ص(102-103) .

(3) ابن خلدون: العبر، ج6 ، ص95.

(4) المصدر نفسه، القلقشندي: نهاية ، ص(117-118).

على ولدها فبعثت إلى البهاء بنت دهمان وتواطأت معها على الخروج إلى بلـــد أخوتـــها مـــن البربر مع ولدها بر، ثم بعثت إلى قومها فأتوها سراً فسارت معهم مع ولدها والبهاء بنت دهمـــان ولحقوا ببلاد البربر، فنزل بر بين أخواله، وأعرس بابنة عمه البهاء ، فولدت له هنـــاك ولديـــن هما: علوان ومادغيس، فأما علوان فمات صغيراً ولم يعقب، وأما مادغيس فكان يلقب بـــالأبتر، وهو أبو البتر من البربر، ومات بر في بلاد أخواله فنشأ ولده مادغيس وذريته في البربر حتـــى كثروا، لسانهم بلغتهم ناطق، وحالهم كحالهم موافق[1].

ومنهم من قال أن بر بن قيس قد خرج عن قومه العرب باتجاه بلاد أخواله من الـــبربر بسبب ناقة شردت له فتبعها فوقعت له هناك [2].

أما القلقشندي (ت 821هـــ/1418م) فيقول: بأن البربر جيل عظيم مـــن النـــاس ببـــلاد المغرب ويرجعون بأصلهم إلى قبيلتي لخم وجذام العربيتين في فلسطين والشام إلى أن أخرجـــهم منها بعض ملوك فارس فلجأوا إلى مصر ومن ثم إلى المغرب فنزلوه ، ولمـــا غـــزا إفريقـــش المغرب أسكنهم هناك وسماهم البربر[3]. ويقسمون إلى قسمين البرانس وهم بنو برنس بن بربـــر، والبتر بنو مادغش الأبتر بن بربر[4] .

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص(279-280) ، الذخيرة، ص(15-16).

(2) **ابن الأحمر**: روضة ، ص9.

(3) **القلقشندي**: نهاية ، ص117 .

(4) المصدر نفسه، ص118، وللاطلاع بالتفصيل على أصول البربر في النسب، انظر **القلقشندي**: قلائـــد، ص(33-35)، أما قبائلهم وأقسامهم فالمصدر ذاته، ص(167-177)، انظر أيضاً **ابن خلدون، يحيـــى**: بغيـــة، ج1، ص(178-181)، **الإصطخري**: مسالك، ص44، **ابن حوقل**: صورة، ص(97-102)، **الطيب**: موسوعة، مج1، ص(473-475).

لم يكن لقبيلة بني مرين بقعة جغرافية محددة تقيم فيها شأنها في ذلك شأن البدو الرحل، الذين وصفهم ابن خلدون (ت 808 هـ/1405م) " بالمتوحشين الذين ليس لهم وطن يرتافون منه ولا بلد يجنحون إليه ، فنسبة الأقطار والمواطن إليهم على السواء ، فلهذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاورهم من البلاد ولا يقفون عند حدود أفقهم بل يظفرون إلى الأقاليم البعيدة " [1] .

ورغم ذلك فقد اتفق كثير من المؤرخين أن بني مرين كانوا يتمركزون ما بين فكيك *[2] وملوية[3] أي في نطاق المنطقة الممتدة من بلاد الجريد * [4] شرقاً إلى المغرب الأقصى غرباً[5]. وكانت طائفة منهم تقوم في فصلي الربيع والصيف بالإغارة على التلال الشرقية لبلاد المغرب الأقصى حتى إذا أقبل الشتاء اجتمعوا بأكرسيف *[6] ثم شدوا الرحلة إلى مناطقهم الأولى[7] ،

---

[1] **ابن خلدون**: المقدمة، ص145.

*[2] **فكيك**:- عبارة عن ثلاثة قصور في الصحراء في منطقة المغرب الأوسط تحيط بها غابة من النخيل ، وهي على بعد مائتين وخمسين ميلاً شرقي سجلماسة، **الوزان**: وصف، ج2 ، ص(132-133) .

[3] **ابن خلدون**: العبر، ج 7، ص 176، **القلقشندي**: صبح ، ج5، ص194 . **أنظر خارطة** رقم (1) ، ص227.

أنظر أيضاً:- **الغنيمي**: موسوعة، ج 5، ص197 ، **جوليان**: تاريخ ، ج2، ص12 ، **أبو ضيف**: أثر ، ص161.

*[4] **بلاد الجريد**:- تمتد من تخوم بسكرة في زاب إفريقية، **ابن خلدون**، يحيى: بغية ، ج2، ص200، وتنتهي عند تخوم جزيرة جربة، **الوزان**: وصف ، ج2، ص142.

[5] **الغنيمي**: موسوعة، ج5، ص198.

*[6] **أكرسيف**:- مدينة صغيرة بالمغرب الأوسط ، بينها وبين فاس خمسة أيام ، وبينها وبين تلمسان خمسة أيام أيضاً ، **الحموي**: معجم ، ج1، ص193.

[7] **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص25، الأنيس، ص282 ، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(4-5) .

واستخدم المرينيون آنذاك حصن تزوطة *[1] لحفظ أمتعتهم وحبوبهم الأمر الذي مكنـــهم مـــن التنقل في الصحراء بكل طمأنينة[2] بعيدون عن السلطة المركزية ومغارمها وإتاواتها، فلم يـــؤدوا لها بدرهم ولا دينار[3] " نفرة من الضعة " أي هروباً من المذلة والـــهوان الـــذي يجلبـــه دفـــع الإتاوات[4].

*[1] **حصن تزوطة**:- حصن منيع يقع في المنطقة الفاصلة بين بلاد الريف شمال شرق المغـــرب الأقصـــى وصحـــراء المغرب الأوسط، **الزركلي**: الأعلام ، ج3 ، ص282 .

[2] **ابن خلدون**: العبر، ج 5، ص217، **الوزان**: وصف ، ج 1، ص342.

[3] **ابن خلدون**: المقدمة، ص142.

أنظر أيضاً:- **الغناي**: سقوط، ص(266-267) .

[4] **ابن خلدون**: المقدمة، ص121، ص142.

لم تخضع قبيلة بني مرين لنفوذ الموحدين فآثروا الهجرة إلى الصحراء جنوباً على عكس أبناء عمومتهم بني زيان وبني وطاس، ولكنهم بالمقابل لم يقفوا على الحياد حيال الأحداث السياسية والقبلية التي شهدها المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين بل كانوا من القبائل النشطة ذات الفعالية في أحداث التاريخ، فقد نشأ جدهم الأكبر مرين بن ورتاجن بن ماخوخ الزناتي في موقع قيادي، وأهلته شخصيته القوية والجادة لتبوّ ذلك[1] .

وعندما تزعم قبيلة بني مرين الأمير الأعذر بن العافية المريني الملقب بالمخضب[2] ، قام بغارات واسعة النطاق ضد قبيلة لمتونة (المرابطين) فملك جميع بوادي زناتة بالمغرب وبلاد الزاب حتى مدينة تلمسان، فضرب الطبول ونشر البنود ، وظل يغير على بلاد لمتونة *[3] وبجاية والقلعة *[4] مما اضطرهم إلى مهاداته ومصانعته ليأمنوا شره [5].

استمر ذلك حتى فتح عبد المؤمن بن علي الموحدي (ت 558هـ/1163م) تلمسان ووهران *[6] ، فعندما قام عبد المؤمن بإرسال الغنائم التي حصل عليها من هذا الفتح إلى جبل تينمل، أسرع المخضب في خمسمائة فارس من بني مرين للاستيلاء على الغنائم والأموال

---

[1] **الغنيمي:** موسوعة، ج 5 ، ص 199.

[2] **ابن الأحمر:** روضة ، ص13 ، **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص176.

*[3] **بلاد لمتونة:**- تعرف لدى الادريسي (ت 560هـ/1164م) باسم أرض قمنورية الممتدة على طريق تجارة أهل أغمات وسجلماسة ودرعة: نزهة ، ج1 ، ص105 .

*[4] **قلعة بني حماد:**- بناها حماد بن بلقين ، وتقع بالقرب من بجاية بالمغرب الأوسط، **الإدريسي:** نزهة ، ج1، ص261.

[5] **ابن أبي زرع:** الذخيرة، ص20، **ابن الأحمر:** روضة ، ص13.

*[6] **وهران:**- مدينة شمال المغرب الأوسط على ضفة البحر المتوسط، وتبعد ليلة عن مدينة تلمسان ، **الحموي:** معجم، ج8، ص464 وهي من بناء وجماعة من الأندلسيين البحريين، **البكري:** المغرب، ص70.

المتوجهة هناك، ولكنه ما لبث أن قتل في فحص مسون *[1] سـنة 540هـ/1145م خلال معركة مع القوة الموحدية المرافقة للغنائم بقيادة الشيخ عبد الحق بن معاذ الزناتي [2].

وتولى الأمر من بعده الأمير حمامه بن محمد المريني، ولما مات خلفه ابنه أبو بكر (ت 561 هـ/1165م) ، ومن ثم ابنه الأمير محيو[3] الذي شهد معركة الأرك سنة 591هـ/1195م مع الخليفة الموحدي يعقوب المنصور متطوعاً في عسكر من زناتة، فأبلى فيها بلاءً حسناً وتوفي أثرها سنة 592 هـ/1196م [4] .

---

*[1] **فحص مسون:**- منطقة منبسطة على ضفاف نهر ملوية بالمغرب الأوسط ، **ابن الأحمر:** روضة ، ص13 .

[2] **ابن أبي زرع:** الذخيرة، ص(20-21) ، **ابن خلدون، يحيى:** بغية ، ج1، ص(189-190) ، **القلقشندي:** صبح، ج5، ص195 .

[3] **ابن الأحمر:** روضة ، ص(13-14).

أنظر أيضاً:- **الغناي:** سقوط، ص 266.

[4] **ابن أبي زرع:** الذخيرة، ص(23-24) ، الأنيس ، ص220 ، **ابن خلدون:** العبر، ج7 ، ص176، **القلقشندي:** صبح، ج5 ، ص 195 ، **المقري:** نفح ، ج 1 ، ص(418-419) .

توافرت مجموعة من العوامل التي شجعت بني مرين علـــى التوغـل داخـل حـدود المغرب الأقصى ، فقد أدى الفراغ السياسي والعسكري وسوء أحوال الدولة الموحدية الذي نتـج بعد معركة العقاب ومن ثم موت خليفتها الرابع أبو محمد الناصر سنة 610هـ/1213م[1] إلـى دخول البلاد في حالة فوضى عارمة[2] ، أضف إلى ذلك أن خَلَفَ الناصر المهزوم ابنُـه الطفـل يوسف المنتصر (610-620هـ/1213-1223م) الذي لم يحسن التصرف أو التدبير ، وليـس أقل من ذلك خطراً الوباء العظيم الذي أهلك الناس حتى خلت البلاد من أهلـها[3] ، ممـا جعـل الظروف مهيأة تماماً لدخول بني مرين المغرب الأقصى .

وبحلول سنة 610هـ/1213م دخلت أولى طلائع المرينين بلاد المغرب الأقصـى دون أن يواجهوا أي اعتراض من أحد ، بل وجدوا أرضاً طيبة المنبت خصبة المراعي غزيرة المـاء، فبعث هؤلاء إلى من بقي من قومهم فأقبلوا مسرعين[4] ، ودخلوا المغرب الأقصى فـي أعـداد هائلة كأمم النمل فقال الشاعر : -

قدمت مرين إلى بـلاد المغرب		والسعد يصحبها بنيـل المطلب

في عام عشرة كان بدء دخولهم		من بعد ست مئين فاحفظ واكتب[5]

---

[1] **ابن خلدون:** العبر، ج7 ، ص169.

[2] **المراكشي:** المعجب، ص321 .

أنظر أيضاً:- **الغنيمي:** موسوعة، ج5 ، ص(200-201).

[3] **الناصري:** الاستقصا ، ج3 ، ص(4- 5).

[4] **ابن أبي زرع:** الذخيرة، ص26 .

[5] **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص282.

وتواجد بنو مرين قبل دخولهم المغرب الأقصى على الحدود الغربية للمغرب الأوسط وتحديداً في المناطق الجبلية والصحراوية المحاذية لنهر ملوية ، ويرجع ابن أبي زرع (ت 741هـ/1340م) سبب تواجدهم هناك إلى اقتتال كان قد حصل بينهم وبين بني عبد الواد وبني واسين في سنة 610هـ/1213م ، مما دفع بهم باتجاه تلك المنطقة[1] .

وتزعم المرينيين عند دخولهم المغرب الأقصى الأمير عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة[2] ، بعد أن اختاره أشياخ بني مرين إثر وفاة والده سنة 592هـ/1196م "وكان فيه وذريته الملك والرياسة، وهو أبو الأملاك من بني مرين"[3] ، وارتبط اسم الدولة باسمه فقيل الدولة العبد حقية[4] ، خاصة أنه أول من ساعد بني مرين في الانتقال من مرحلة البداوة إلى مرحلة التفكير في بناء الدولة[5] .

---

(1) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص(25-26) . **أنظر خارطة رقم (4)** ، ص230.

(2) **ابن خلدون**: العبر، ج7 ، ص169 .

(3) **ابن الأحمر**: روضة ، ص14 .

(4) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص24 .

(5) **الغنيمي**: موسوعة، ج5 ، ص202 .

2- مراحل سيطرة المرينيين على مدن وأراضي المغرب الأقصى.

عندما دخلت الجموع المرينية أرض المغرب الأقصى كان على الأمير عبد الحق التعامل مع الواقع السياسي والقبلي هناك بالطريقة الملائمة، فهناك معاقل وفلول الدولة الموحدية المتهالكة التي تحاول الإبقاء على كيانها، وهناك دولة بني عبد الواد ذات المواقف المصلحية المتذبذبة ، وكذلك القبائل الظاعنة على أراضي المغرب الأقصى التي كان لها أثر كبير في رسم الخارطة السياسية ، وأخيرا كان على القيادة المرينية مواجهة وضعها الداخلي المعقد الأمر ، الذي فرض عليها العمل في ظروف بالغة الدقة في ظل هذه المعطيات .

ففي سنة 613هـ/1216م جرد الخليفة الموحدي يوسف المنتصر جيشاً قوامه عشرون ألفاً بقيادة أبي علي بن وانودين وبمشاركة صاحب فاس الموحدي أبا إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ، وأعطي هؤلاء أوامر صارمة بضرورة استئصال شأفة المرينيين ، وكان بنو مرين حينها في جهات الريف وبلاد بطوية *[1] ، فتركوا أثقالهم وعيالهم بحصن تازوطا من أرض الريف، والتقى الجمعان بوادي نكور فهزم الموحدون ورجعوا إلى فاس عرايا يغطون عوراتهم بورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة ، فسمي ذلك العام عام المشعلة، وقد شكلت هذه المعركة مقدمة نحو استيلاء المرينيين على رباط تازا وذلك من خلال هزيمة حاميتها المكونة من العناصر الموحدية وقبائل تسول ومكناسة [2] .

---

*[1] **بلاد بطوية:**- هي المنطقة المحيطة بمدينة مليلة في المغرب الأوسط: **الإدريسي:** نزهة ، ج2 ، ص533.

أنظر خارطة رقم (2) ، ص228.

[2] للاطلاع على حيثيات هذه المعركة انظر ، **ابن أبي زرع:** الذخيرة، ص(32-33) ، الأنيس ص(283-284)، **ابن خلدون:** العبر، ج7 ، ص(169-170) ، **الناصري:** الاستقصا ، ج3 ، ص(5-6) .

أنظر أيضاً:- **الغنيمي:** موسوعة، ج5 ، ص202 .

وقد شكل هذا الصدام الأول مع الموحدين بداية دخول بني مرين تاريخ بلاد المغـــرب بشكل عام ، والمغرب الأقصى على وجه الخصوص .

شعر الخليفة الموحدي يوسف المنتصر بخطورة الموقف الأمر الذي دعاه إلـــى لفـت نظر القبائل العربية إلى خطورة هذا الظهور السياسي للمرينيين على ساحة المغـــرب الأقصـــى، معتبراً ذلك تهديداً لوجودهم، واستجاش بتلك القبائل ضد بني مرين وخاصة قبائل رياح العربيـــة، كما عمل على استغلال وتغذية الخلافات بين المرينيين أنفسهم، حيث أثار انتصار بنـــو مريـن على أعدائهم الموحدين بني عسكر بن محمد، فضاقت صدورهم من استقلال بني عمهم حمامـــة بن محمد بالرياسة دونهم[1] فاستغل الموحدون هذه الثغرة واستدرجوا بني عسكر للانضمام إلـــى صفوفهم، وبذلك أكتمل الحلف المعادي للمرينيين والمكون من الموحديـــن وبنـــي ريـــاح وبنـــي عسكر[2] وعندما علم المرينين بهذا الحلف اتفقت كلمتهم على اللقاء وجددوا العهد لأميرهم عبـــد الحق على القتال قائلين له: " أيها الأمير إننا نجدد لك البيعة على السمع والطاعـــة وعلـــى أن لا نختلف عليك في قول ولا فعل ، ولا نفر عنك ولا نسلمك أو نموت عن آخرنا دونك ، فانـــهض بنا إلى لقائهم على بركة الله "[3]، فنهض الأمير عبد الحق في جموع بني مرين وتم اللقاء علـــى ضفاف وادي سبو، فتمخض عن هزيمة المرينيين أمام جموع الموحديـــن وحلفائـــهم[4] ومقتـــل

---

(1) **ابن خلدون**: العبر، ج7 ، ص170 .

أنظر أيضاً:- **الغناي**: سقوط ، ص268 .

(2) **ابن أبي زرع**: الذخيرة ، ص33 ، ويقول المصدر ذاته أن بني رياح كانوا في ذلك الزمان أكثر القبائل العربية قـــوة وشجاعة وأكثرها مالاً وخيلاً ورجالاً ، ص33 ، وعن سبب ذلك يقول **ابن خلدون** (ت 808هـ/1405م): "وذلك لحداثة عهدهم بالبداوة " ، العبر ، ج6 ، ص27 .

(3) **ابن أبي زرع**: الأنيس ، ص286 .

(4) **الغناي**: سقوط ، ص269.

الأمير عبد الحق وولـــده إدريـس فـي الثـاني والعشـرين مـن جمـادى الآخـرة سـنة 614هـ/أيلول 1217م [1].

غير أن بني مرين عقدوا العزم على الانتصار، وأقسم بنو عبد الحق على الثأر لهما قبـل دفنهما، وثبتوا في القتال، وتمكنوا من إحراز النصر في جمادى الآخر من سنة 614هـ/أيلـــول 1217م بعد أن شتتوا جموع المتحالفين وتبعوهم بالقتل والسـلب[2] ، وتولـى قيـادة المرينيـن وولاية أمرهم بعد موت عبد الحق ولـــده أبـي سـعيد عثمـان الملقـب (بأردغـال) ومعنـاه الأعور(614-637هـ/1217-1240م) [3].

وكان من نتائج هذا النصر أن قويت شوكة بني مرين واجبروا رياح على دفـع الإتـاوة لهم ، وانحصر سلطان الموحدين بعد ذلك في المدن دون البوادي ، مما شكل حافزاً لدى الأمـير الجديد للانطلاق نحو فتح بقاع ومدن جديدة[4] .

وما أن حلت سنة 616هـ/1219م حتى تفاقمت الأزمة السياسية والأمنية في المغـرب ، ففي الوقت الذي صعد فيه المرينيون بقوة على مسرح الأحداث في المغـــرب الأقصـى ازدادت الفتن بين القبائل وتمردت وأشاعت الخوف بين الناس[5].

---

[1] **ابن الأحمر**: روضة ، ص(14-15) ، **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص170 ، **الناصري**: الاستقصا ، ج3 ، ص7.

[2] **ابن أبي زرع**: الذخيرة ، ص(33-34) ، **ابن خلدون**: العبر ، ج 7 ، ص170 .

أنظر أيضاً:- **الغنيمي**: موسوعة ، ج5 ، ص203 ، **القناي**: سقوط ، ص269 .

[3] **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص170 ، **ابن الأحمر**: روضة ، ص16 .

[4] **ابن أبي زرع**: الأنيس ، ص288 ، **الناصري**: الاستقصا ، ج3 ، ص9 .

[5] **ابن أبي زرع**: الذخيرة ، ص36 ، ويشير المصدر نفسه أن قبائل فازاز وغمارة وأوربة وصنهاجة كانت أكثر القبـائل شغباً وقطعاً للطرق والإغارة على القرى، وقد أورد ذلك ابن أبي زرع أيضاً في الأنيس ، ص288.

استغل الأمير أبو سعيد عثمان بن عبد الحق حالة الفوضى والانفلات الأمني والقبلـــي السائدة وضعف السلطة المركزية في المغرب الأقصى من أجل فرض سيطرته علـــى أجزائـــه، فتوجه الأمير المريني على رأس قوة مقاتله إلى القرى والمدن والبوادي ، فمن أطاعه منهم أمنـــه وفرض عليه قدراً معلوماً من الخراج، ومن أبى قاتله، فبايعته كل من قبـــائل هـــوارة وتســـول ومكناسة وبطوية وفشتالة ثم سدراتة وبهلولة ومديونة، وفرض عليهم الخراج وفرق فيهم العمال، كما فرض على فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة *(1) ضريبة معلومة يؤدونها كل سنه مقـــابل كف الغارات عنهم ومقابل اعترافهم بنفوذه السياسي (2).

ونتيجة لهذا النجاح السياسي والعسكري الذي حققه المرينيـــون فـــي مواجهـــة الخليفـــة الموحدي الرشيد فقد سيطروا على سهول شمال مراكش ووادي سبو ، ولم تكـــد تنتـــهي ســـنة 625 هـــ/1228م حتى كانت جميع قبائل وبوادي المغرب قد خضعت لقبيلة بني مرين مـــن وادي ملوية حتى رباط الفتح *(3) (4).

---

*(1) **كتامة:**- مدينة تقع غربي مكناسة بثلاثة مراحل، **الحميري:** الروض، ص476 ، وتسمى قصر عبد الكريم أيضـــاً ، **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص193.

(2) **ابن خلدون:** العبر، ج7 ، ص(170-171) ، **الناصري:** الاستقصا ، ج3 ، ص(9-10) .

أنظر أيضاً:- **الغنيمي:** موسوعة، ج5 ، ص203 ، **الغناي:** سقوط، ص(269 -270).

*(3) **رباط الفتح:**- مدينة كبيرة أسسها يوسف بن تاشفين (453-500هـ/1061-1106م) ، عند مصب نهر أبي رقـــراق على ساحل البحر المحيط ، فهي على النهر من جهة وعلى البحر من جهة أخرى ، **الوزان:** وصـــف ، ج1، ص201.

أنظر خارطة رقم (6) ، ص232.

(4) **ابن أبي زرع:** الذخيرة ، ص37 .

أنظر أيضاً:- **الغنيمي:** موسوعة ، ج5 ، ص(204-205).

وفي سنة 620هـ/1223م هاجم الأمير أبو سعيد عثمان القبائل الزناتية الظاعنة ببلاد تازا وبلاد فازاز ومن بها من قبائل جاناتة واضطرها للانصياع والطاعة والتزام الهدوء[1]، كما غزا في السنة التالية قبائل رياح مرة أخرى وغيرها من القبائل النازلة بأزغار وبلاد الهبط[2] ، وأرغمهم على الدخول في طاعته والتعامل مع عماله ودفع الخراج ، وما لبث أن قتل الأمير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق على يد أحد " العلوج " سنة 637هـ/1240م[3].

بعد مقتل الأمير أبو سعيد عثمان تولى بعده أخوه محمد بن عبد الحق (أبو معرف) (ت 642هـ/1245م) فسار على ذات السيرة التي اختطها أخوه[4] وفي ذات السنة التي ولي بها وفد عليه جرمون بن رياح السفياني (ت 639هـ/1242م) في جماعة من قومه خارجاً عن طاعة الخليفة الرشيد الموحدي وداخلاً في حوزة الأمير المريني[5] وخلال ذلك بعث الرشيد جيشاً من الموحدين بقيادة أبي محمد بن وانودين[6] وأخيه يوسف والقائد أبي ضربة النصراني لمحاربة الأمير محمد بن عبد الحق خلال عودته من مكناسة ، فالتقى جيش الموحدين بأبي معرف الذي لم يكن معه سوى خمسين فارساً من قومه، ورغم ذلك هزم ابن وانودين وقتل مائة رجل من جيشه كما قتل أبو ضربه النصراني ورجع ابن وانودين سنة 638هـ/1241م مهزوماً

---

(1) **ابن خلدون**: العبر ، ج7، ص(170-171) ، **الناصري**: الاستقصا ، ج3، ص10.

(2) **ابن أبي زرع**: الأنيس ، ص289. **أنظر خارطة رقم (2)** ، ص228.

(3) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص171 . أما **ابن أبي زرع**: الأنيس ، ص289 ، **والناصري**: الاستقصا ، ج3 ص10 ، يذكرون تاريخ مقتله سنة 638هـ/1241م . والعلج يعني كل شديد غليظ من الرجال ، والعلج حمار الوحش السمين القوي ، وجمعها علوج وأعلاج ، **مجمع اللغة**: المعجم ، ج2، ص627 .

(4) **ابن الأحمر**: روضة ، ص19.

(5) **ابن أبي زرع**: الذخيرة ، ص60 ، **ابن خلدون**: العبر، ج6 ، ص28.

(6) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص171.

إلى مكناسة (مكناس)[1] ، وهزم الموحدون مرة أخرى سنة 639هـ/1242م في معركة وقعت بينهم وبين المرينيين عند بلدكرت *[2] واحتوت مرين على أموالهم وأسلحتهم [3].

ولما هلك الرشيد بن المأمون سنة 640هـ/1243م وولي بعده أخوه علي الملقب بالسعيد [4] أدرك هذا الأخير مدى خطورة المد المريني في المغرب الأقصى على حساب دولته الآيلة للسقوط والاندحار، فجهز جيشاً مؤلفاً من عشرين ألف رجل وخرج سنة 642هـ/1245م لقتال الأمير أبي معرف [5] ، فتزاحف الفريقان إلى أن وصلا إلى صخرة أبي بياش *[6] ، ودارت بينهما معركة شديدة كانت وبالاً على المرينيين ، إذ قتل قائدهم وأميرهم أبي معرف على يد أحد زعماء الفرنج الذين اشترك عدد كبير منهم إلى جانب الموحدين، فانهزم المرينيون وسار من بقي منهم ليلاً حتى وصلوا إلى نواحي تازا ومن ثم إلى بوادي الصحراء ، فولوا أبا بكر بن عبد الحق *[7] أميراً عليهم سنة

---

(1) ابن أبي زرع: الذخيرة، ص 60.

أنظر أيضاً:- الغناي: سقوط، ص270.

*(2) بلدكرت:- لم أجد لها ذكراً في المصادر الجغرافية .

(3) ابن أبي زرع: الذخيرة، ص60 ، ابن خلدون: العبر، ج7، ص171.

(4) ابن الخطيب: اللمحة ، ص46.

(5) ابن خلدون: العبر، ج7، ص171.

*(6) صخرة أبي بياش:- موضع من أحواز فاس، ابن أبي زرع: الأنيس، ص290.

*(7) الأمير أبو بكر بن عبد الحق:- يسجل له بأنه "هو الذي رفع راية بني مرين وسما بها إلى مرتبة الملك، وهو أول من جند الجنود وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلاد، وأعطى النصر والتمكين، فكان عنوان سعد بني مرين". ابن أبي زرع: الأنيس، ص291، النويري: نهاية ، ج24، ص351.

642هـ/1245م[1] ، وقد وضعت هذه المعركة حداً مؤقتاً لاندفاع بنـــي مريـــن ومحاولاتـــهم للاستيلاء على المدن والتدخل في شؤون الحضر[2] ، وفور تولي الأمـــير الجديـــد مهامـــه قـــام بمجموعة من الإجراءات أهمها:-

أولاً:- في إجراء غير مسبوق يعبر عن بعد نظر سياسي لدى الأمير المريني الجديـــد ، ومن أجل إرضاء قبائل وفروع بني مرين وتحفيزهم على مقارعة الموحدين ومتابعة فتح مدنـــهم وأمصارهم ، قام بجمع شيوخ المرينيين ووزع عليهم أراضي المغرب الأقصى وأنزل كل قبيلـــة منهم بناحية ، وأمرهم بالتأهب والاستعداد الدائم والاستكثار من الفرسان والمقاتلـــة [3] ، وبذلـــك يكون أوجد لهم أملاكاً خاصة سوف يستميتون في الدفاع عنها.

ثانياً:- تأكيداً على شرعية النضال المريني ضد الموحدين فقد دعا الأمير أبو بكر للدولـة الحفصية في إفريقية بزعامة أبي زكريا الحفصي، حتى لا يقوم الأخير بإعاقـــة حركـــة وتقـــدم المرينيين[4] ، وحتى لا يقوم بنو زيان بالهجوم على التخوم الشرقية للمغرب الأقصى ، خاصـــة وأن هؤلاء كانوا يحسبون حساباً للدولة الحفصية ، وبناءً على ذلك قامت مدينة مكناسة – التـــي افتتحها المرينيون سنة 643هـ/1246م – بالدعوة على المنابر لأبي زكريا الحفصـــي بعـــد أن

---

(1) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص(62-63)، الأنيس، ص(289-290)، **ابن الأحمر**: روضة، ص17، **ابن خلدون**: العـــبر، ج7، ص171، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص11.

(2) **الغنيمي**: موسوعة، ج5 ، ص206.

(3) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص171.

أنظر أيضاً:- **الغناي**: سقوط، ص271.

(4) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص172.

استسلم قائدها الموحدي أبو الحسن بن أبي العافية للأمير يعقوب بن عبد الحـــق المرينـــي *[1] (ت 685هـ/1286م)[2].

شعر الموحدون وعلى رأسهم خليفتهم السعيد بالخطر بعد سقوط مكناسة وإعلانها البيعـــة لبني حفص ، فجمع السعيد أعيان القوم وأطلعهم على آخر المستجدات بعد أن اقتطع ابـــن أبـــي حفص إفريقية كما اقتطع بنو عبد الواد تلمسان والمغرب الأوسط[3] ، وحذرهم بأنه لم يبق لـــــهم سوى مراكش وأحوازها ، فخرجوا سنة 645هـ/1247م لمحاربة بني مرين وبني زيان وبنـــي حفص معاً حتى وصلوا إلى وادي بهت ، فرأى الأمير أبو بكر المريني أن لا طاقة له بـــالجيش الموحدي لكثرة عدده وعدته[4] ، فرجع ليتبع خطة تكتيكية تقضـــي بمهادنـــة الموحديـــن مؤقتـــاً لتجنيب جيشه خوض حرب غير متكافئة ، وحتى لا يعرضه لإبادة محتمة نظـــراً لعـــدم وجـــود تكافؤ في موازين القوى ، فرأى أن يتخلى للسعيد عن بعض المناطق والانسحاب مـــن خطـــوط المواجهة إلى مكناسة ومن ثم إلى قلعة تزوطة ببلاد الريف[5].

تقدم السعيد واحتل مكناسة ثم نزل بظاهر فاس فخرج إليه فقهاؤها وفي مقدمتهم الشـــيخ عبد الله الفشتالي وعرضوا عليه دخول مدينتهم فأبى[6] ، فبعث الأمير أبـــو بكـــر إلـــى الســـعيد بالبيعة فقبلها وكتب له ولقومه الأمان ، كما عرض أبو بكر عليه أن يفتح له تلمســـان فاستشـــار

---

*[1] **يعقوب بن عبد الحق المريني**:- يسمى أحياناً بابن تابطويت نسبة إلى قبيلة أمه، **النويري**: نهاية ، ج24 ، ص315.

[2] **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص12.

أنظر أيضاً:- **الغناي**: سقوط، ص272.

[3] **ابن خلدون**: العبر، ج7 ، ص172.

[4] **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(12-13). أنظر **وادي بهت** على خارطة رقم (4) ، ص230.

[5] **ابن أبي زرع**: الأنيس ، ص292. **ابن خلدون**: العبر، ج7 ، ص172.

[6] **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص71.

السعيد خاصته فنصحوه بعدم قبول العرض المريني بحجة أن الزناتيين لا يمكن أن يخذل بعضهم بعضاً وربما يتحدون – رغم خلافاتهم – ضد الموحدين ، فأخذ برأيهم وقال للأمير أبي بكر: " أقم بموضعك وابعث إليَّ عصبة من قومك " فأمده بخمسمائة من بني مرين وعقد عليها لابن عمه أبي عياد بن أبي يحيى بن حمامة[1] ، ومن ثم توجه الجيش الموحدي سنة 646هـ/1249م نحو المغرب الأوسط لقتال بني زيان ولكن الخليفة السعيد قتل في قلعة تامزدكرت *[2][3] .

كان الأمير أبو بكر آنذاك في قلعة تزوطة بين ساكنيها من بني وطاس *[4] الذين اجمعوا على الفتك به، فلجأ إلى قبيلة بني يزناس *[5] وبقي معها حتى رجعت عساكر بني مرين المسرحة من جيش السعيد الموحدي ، وأعلموه بمقتله فانتهز الأمير أبو بكر الفرصة واعترض فلولهم بأكرسيف فاستلبهم وقضى على بقيتهم واهتم أمير بني مرين بالمرتزقة الإسبان وجعلهم

---

(1) ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص173 ، الناصري: الاستقصا، ج3 ، ص13 .

*(2) قلعة تامزدكرت:– تقع بالقرب من تلمسان ، ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص313.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج1 ، ص314، ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص(81–82).

*(4) بنو وطاس:– قبيلة من قبائل مرين، يعود سبب دخولها معهم إلى خروج جدهم وطاس بن المعز بن تاشفين إلى بلاد الزاب لاجئاً إليهم بعد سيطرة الموحدين على أملاك بني وطاس، فأصبح وذريته منهم، وعملوا في كثير من المناصب الرسمية في الدولة المرينية ، ابن أبي زرع: الذخيرة ، ص22، وكان بنو وطاس يتواجدون في قلعة تزوطة ويتحينون الفرص من أجل الرياسة وامتلاك السلطة ، وبسبب ذلك كان المرينيون يولون قلعة تزوطة أهمية خاصة وذلك بوضع حامية مرينية موالية للدولة عليها ، الناصري: الاستقصا، ج3 ، ص72.

*(5) بنو يزناسن:– قبيلة بربرية تسكن في المناطق الجبلية والصحراوية على بعد نحو خمسين ميلاً غربي تلمسان، الوزان: وصف، ج2، ص43.

جنداً في قواته ، وتوجه إلى مكناسة ودخلها واستولى عليها ، ثم سار إلى أعمـــال وطـــاط *[1] وحصون ملوية فافتتحها وذلك في أواخر صفر سنة 646هـ/أيار 1248م[2] .

ولم يتمكن المرينيون من احتلال فاس إلاّ في سنة 646هـ/1249م[3] ، بعد أن اسـتفادوا من الانكسار الكبير الذي أصاب الموحدين بعد مقتل السعيد[4] ، وبعد أن فرغ الأمير أبو بكر مـن فتح حصون ملوية قرر فتح فاس وانتزاعها من يد الموحدين[5] ، فتوجه الجيش المرينـــي إلـــى أحوازها، وبعد مفاوضات سهلة وغير متوقعة نزل أهلها عند طاعته بعد أن أمنهم على أنفســـهم وأموالهم، فنبذوا طاعة الموحدين وانتحلوا الدعوة الحفصية، وبايعوا الأمير أبا بكر وحضر هـــذه البيعة الشيخ أبو محمد الفشتالي[6] .

ولما دخل الأمير أبو بكر مدينة فاس في السادس والعشرين مـــن ربيـــع الآخـــر ســنة 646هـ/تموز 1248م قام من فوره بتطهير المدينة من قادة وعمال الموحديـــن الذيـن كـانوا متواجدين بها ، وبعث معهم سبعين فارساً فأجازوهم إلى ما وراء وادي أم الربيع[7] ، "فاستقامت

---

*[1] وطاط:- منطقة جبلية شرقي المغرب الأقصى عند منابع نهر ملوية، وفيها قصور تسكنها قبائل زناتة ، ابن خلـدون: العبر، ج6، ص102.

[2] ابن أبي زرع: الذخيرة ، ص13، ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص173.

أنظر أيضاً:- الغنيمي: موسوعة ، ج5 ، ص209 ، الغناي: سقوط ، ص272.

[3] ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص174.

[4] ابن الخطيب: اللمحة ، ص46.

أنظر أيضاً:- لاتورنو: فاس ، ص25 .

[5] ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص27.

[6] المصدر نفسه ، ص174.

[7] الناصري: الاستقصا، ج3، ص14.

له الأمور بالمغرب وتمهد له الملك وقدمت عليه الوفود للبيعة والتهنئة، وتهدنت البلاد وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات وتحركت التجارة، وأمر القبائل بسكنى الأوطية وعمارة القرى والاستكثار من الحرث، فرخصت الأسعار وصلح أمر الناس، وأعطى رباط تازا إلى أخيه يعقوب مع جميع ملوية وأقام هو بمدينة فاس سنة كاملة والوفود تقصد إليه من كل ناحية "[1].

حرص الأمير أبو بكر المريني بعد سيطرته على فاس على السيطرة على مدينة معدن العوام*[2] في ربيع الأول من سنة 647هـ/حزيران 1249م[3] وذلك لكي يضمن أمن عاصمته، وحرصاً منه على ضرورة استكمال فتح ما تبقى من قواعد ومدن وقلاع الدولة الموحدية، فاستخلف الأمير أبو بكر على فاس مولاه السعود بن خرباش من جماعة الحشم أحلاف بني مرين[4] ، وما أن وصل إلى معدن عوام حتى تآمر عليه بعض أعيان فاس، وحاول الثائرون إكساب حركتهم شرعية من خلال إقحام القاضي أبي عبد الرحمن المغيلي قاضي فاس في مخططاتهم[5] ، وهدفت هذه الثورة إلى قتل السعود وخلع طاعة المرينيين وإرسال البيعة إلى الخليفة الموحدي المرتضي أبو حفص عمر (646-665هـ/1248-1266م) ، وقد ساعد على ذلك الوضع الداخلي في فاس ، إذ كان مهيأ لذلك بسبب وجود الكثير من العناصر السكانية غير

---

(1) **ابن أبي زرع**: الذخيرة ، ص(72-73).

*(2) **معدن العوام**:- مدينة تقع على بعد عشرة أميال (18,480كم) من الأطلس ، بناها الموحدون على ضفة نهر أبي رقراق، **الوزان**: وصف ، ج1، ص(203-204) ، وكانت تسكنها قبائل جاناتا ، **الناصري**: الاستقصا ، ج3، ص15.

أنظر خارطة رقم (3) ، ص229.

(3) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص15.

أنظر أيضاً:- **جوليان**: تاريخ ، ج2، ص215.

(4) **ابن أبي زرع**: الذخيرة ، ص74 ، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص174.

(5) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص15.

المتجانسة ذات الولاءات والميول السياسية المتعددة ، والسبب في ذلك استبقاء الأمير أبو بكر بعد فتحه مدينة فاس على من كان فيها من عسكر الموحدين ، إضافة إلى عدد لا بأس به من المرتزقة النصارى بقيادة شريد الفرنجي[1].

أعد المتآمرون الخطة والعناصر المنفذة، وأمروا القائد الفرنجي شريد بقتل السعود قائلين له: "تقتل هذا الأسود وتضبط البلد حتى نكتب إلى المرتضى فيبعث إلينا من يقوم بأمرنا " [2].

ولما كانت صبيحة العشرين من شوال سنة 647هـ/كانون ثاني 1250م توجه المتآمرون إلى القصبة للسلام على السعود كعادتهم وحاولوا استفزازه ببعض الكلام فانتهرهم فبادروا إلى قتلة واقتحام القصر ونهبه منادين بالبيعة للمرتضى الموحدي[3] .

علم الأمير أبو بكر بالأمر وشعر بخطورته فتحرك من بلاد فازاز باتجاه فاس لمحاولة تخليصها، فحاصرها وحاول أهلها استصراخ المرتضى للدفاع عن المدينة دون جدوى ، فلجأ الثائرون إلى يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان ، فانتهز هذا الفرصة طمعاً في الاستيلاء على المغرب فلقيه الأمير أبو بكر بوادي ايسلي *[4] فهزمه وفر يغمراسن باتجاه تلمسان[5] ، فكانت هذه المعركة أول لقاء عسكري مباشر مع الزيانيين[6] .

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس المطرب، ص 294، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص 15 .

(2) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص(74-75) ، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص15.

(3) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص175.

*(4) **وادي ايسلي**:- يقع في بسيط وجده وعليه مدينة تعرف باسمه على مقربة من وهران أيضاً، **الحميري**: الروض ، ص58. **أنظر خارطة رقم (1)** ، ص227.

(5) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص295.

(6) **جوليان**: تاريخ ، ج2، ص215.

وعاد الأمير أبو بكر لحصار فاس في جمادى الآخرة من سنة 648هـ/آب 1250م ، فطلب أهلها الأمان ولما دخلها قام بتأمينها وقتل قادة التمرد والمنفذون في حين دفع الباقي قيمة الخسائر المادية التي لحقت بالقصر والمرافق العامة [1].

عمل بنو مرين إضافة إلى قيامهم بحصر سيطرة الموحدين في نطاق ضيق حول عاصمتهم مراكش ، إلى قطع الصلة بين الموحدين وبين شمال المغرب الأقصى حتى لا يكون لهم أي اتصال مع تلك النواحي والبقاء محاصرين في منطقة جنوب المغرب الأقصى حتى يسهل القضاء عليهم ، فقام الأمير أبو بكر بمد سيطرته على مدينتي سلا ورباط الفتح سنة 649هـ/1251م[2].

لم يكن الخليفة المرتضى غافلاً عن هذه الخطط فاستجمع قواه العسكرية والمادية من أجل الدفاع عن ما تبقى من بلاده وخرجت قواته سنة 650هـ/1252م باتجاه سلا فافتتحها ووضع المرتضى عليها والياً من قبله ، ثم قرر النهوض بنفسه لمحاربة بني مرين، في جيش من الموحدين والعرب والمصامدة يقدر بثمانية ألف مقاتل، وخرج من مراكش سنة 653هـ/1255م ودارت معركة بين الجانبين انتهت بهزيمة الموحدين وعودة المرتضى مفلولاً إلى مراكش[3].

---

[1] ابن أبي زرع: الذخيرة، ص(77-78) ، ابن خلدون: العبر، ج7، ص175.

[2] ابن خلدون: العبر، ج7، ص175 ، الناصري: الاستقصا، ج3، ص17.

أنظر أيضاً:- أبو ضيف: أثر ، ص(109-110).

[3] ابن أبي زرع: الذخيرة، ص81.

شكلت هذه الهزيمة ضربة قاضية للموحدين، ممـــا اضطـــر المرتضـــى إلـــى عقـــد هدنة مع المرينين وأرغموه علـــى دفـــع الجزيـــة[1] فـــاكتفى بمـــا لديـــه مـــن منـــاطق نفـــوذ في جنوب المغرب الأقصى، إلاّ أن بني مرين وضعوا نصب أعينـــهم اقتـــلاع الموحديـــن مـــن جذورهم لإقامة دولتهم بالمغرب الأقصى وتحقيق حلمهم البعيد ببسط نفوذهم علـــى كافـــة بـــلاد المغرب الإسلامي، فقام بنو مرين بقيادة الأمير أبي بكر سنة 655هـ/1257م بالاستيلاء علـــى درعة *[2] وسجلماسة جنوباً وسائر بلاد القبلة واستعمل الأمير على ولايتها يوسف بن يزكـــاتن وعلى الجباية عبد السلام الأوربي وعلى قيادة الجند أبا يحيى القطراني[3] .

عمل الزيانيون في المغرب الأوسط جل جهدهم وحتى السنوات الأخيرة من عمر الدولـــة الموحدية التي كانت تحتضر، من أجل الاستئثار ولو بجزء يسير من أراضيها فعمل الأمير أبـــو بكر على تفويت مخططاتهم ، ونهض سنة 655هـ/1257م لمحاربة يغمراسن الزياني ومحاولـــة إضعافه، فهزمه في موضع يقال له أبي سليط، وقاد الجيش المريني وقتئذ يعقوب بن عبد الحـــق أخو الأمير أبي بكر ، ورغم هذه الهزيمة فقد تحرك يغمراسن باتجاه سجلماسة ودرعة للاســتيلاء عليها فسبقه المرينيون، فنزل يغمراسن خارجها ودارت هناك معركـــة تكافـــأ بـــها الفريقـــان،

---

[1] **الغنيمي**: موسوعة، ج5 ، ص211.

*[2] **درعة**:– مدينة صغيرة تقع جنوب المغرب تبعد عن سجلماسة لأربعة فراســخ، **الحمـــوي**: معجـــم ، ج4، ص297.

انظر خارطة رقم (3) ، ص229.

[3] **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص81، الأنيس، ص296، **ابن خلدون**: العبر، ج7 ، ص177، **الناصري**: الاســتقصا، ج3 ، ص(18–19) .

أنظر أيضاً:– **الغناي**: سقوط ، ص273.

وانسحب الجيش الزياني من محيط سجلماسة إلى بلاده[1] وشكلت هذه الأحداث نموذجاً ومثـــالاً واضحاً على التنافس الذي تم بين ورثة الدولة الموحدية على أملاكها .

وبعد أن توطدت سيطرة بني مرين على سجلماسة ودرعة عمل الأمير أبو بكـــر خـــلال سنتي 655 و 656هـ/1257 و 1258م على تثبيت أقدام المرينيين في فاس وسلا رباط الفتـــح ومكناسة[2] ، على اعتبار أن هذه المدن هي أمهات أمصار المغرب[3] ، إلى أن توفيَّ بفاس فـــي جمادى الآخرة من سنة 656هـ/حزيران 1258م[4] ، ليدفن في باب الجيزين من أبواب عـــدوة الأندلس في فاس بازاء قبر الشيخ أبو محمد الفشتالي كما أوصى[5] .

ولما توفي أبو بكر قام عامله على سجلماسة أبو يحيى القطراني بالتمرد والدعوة لنفســـه فبايعه أهلها واستمر ذلك لمدة سنتين إلى أن قتل سنة 658هـ/1260م في عهد السلطان يعقـوب بن عبد الحق (656-685هـ / 1258-1286م) [6]. يتضح خلال هذه المرحلة أن بني مريـــن قد بسطوا نفوذهم على بلاد المغرب ما بين نهر ملوية وأم الربيع وما بيـــن سجلماســـة وقصـــر كتامة في حين انحصر ملك الموحدين في عاصمتهم مراكش ومحيطها[7].

---

(1) ابن أبي زرع: الذخيرة، ص83.

(2) الغنيمي: موسوعة ، ج5 ، ص212. أنظر خارطة رقم (3) ، ص229.

(3) ابن خلدون: العبر، ج7، ص174.

(4) ابن الأحمر: روضة ، ص17.

(5) الناصري: الاستقصا، ج3، ص19.

(6) ابن أبي زرع: الأنيس، ص297.

(7) ابن خلدون: العبر، ج7، ص177. أنظر خارطة رقم (3) ، ص229.

بعد أن مات الأمير أبو بكر عصف بالمرينيين خلاف حاد بين العامة من جهة والخاصة من المشيخة وأهل الحل والعقد من جهة أخرى على ولاية العهد، حيث قام العامة بمبايعة ابنه أبي حفص عمر (ت 658هـ/1260م) ونصبوه أميراً عليهم، أما الخاصة فمالوا لتنصيب عمه يعقوب بن عبد الحق للأمر[1]، ويعكس ذلك التنافس الذي كان يسود الأوساط المرينية من أجل تولي السلطة ، وكادت الأمور تصل إلى حد الحرب الأهلية بين أشياع كل من الطرفين، إلاّ أن حرص يعقوب بن عبد الحق على وحدة الصف دفعه للتنازل عن السلطة لابن أخيه على أن تكون له البلاد التي اقطعها إياه أخوه أبو بكر وهي بلاد تازا وبطوية وملوية[2] وهي خطوة تنم عن رجاحة عقله وإيمانه بوحدة الصف المريني.

لم تستقر الأمور المرينية طوال أربعة شهور ، وظلت حالة الاضطراب واضحة ، ولم تتفق الأمة على عمر بن أبي بكر نظراً لعدم قناعتهم بكفايته وقدرته على السير على نهج من سبقوه من أمراء المرينيين ، مما دفع الأمير يعقوب – وتحت ضغط مؤيديه – للتوجه إلى فاس للسيطرة عليها ، ولما التقى الجمعان بالقرب من وادي مكس من أحواز فاس انفض جنود أبي حفص من حوله واستعصم داخل المدينة، ونزل عن السلطة لصالح عمه يعقوب مقابل أن يعطيه مكناسة، فوافق يعقوب ودخل المدينة فملكها سنة 656هـ/1258م[3] وقيل سنة 657هـ/1259م [4].

---

[1] **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص177.

[2] **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص19.

[3] **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص89 ، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص177 .

[4] **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص20.

واستكمالا للمهمة الشاقة التي اضطلع بها يعقوب بن عبد الحق ، فقد نهض إلى بـــلاد تامسنا واستولى عليها وملك مدنية أنفا (الدار البيضاء)[1] فضبطها وسرح ابنه الأمير أبـا مـالك عبد الواحد (ت 671هـ/1272م) لتملك حصن علودان الذي احتمى به يعقوب بن عبد الله أحـد الثائرين على السلطة المرينية ، ونجح المرينيون بذلك في السيطرة على معظم بـلاد المغـرب الأقصى، فشعر الموحدون بالخوف وتم عقد صلح بين الخليفة المرتضـى والسـلطان يعقـوب اعترف فيه خليفة الموحدين بالوجود المريني ، وما وصـل إليـه مـن سـيطرة علـى المـدن والأراضي التي تحت يديه ، واتجه بعد ذلك يعقوب إلى الشرق فعقد صلحاً مع يغمراسـن بـن زيان وقد شكل ذلك اعتراف من جانب الموحدين وبني زيان ببني مرين[2].

في الوقت الذي عمل فيه السلطان يعقوب بن عبد الحق علـى توسـيع رقعـة نفـوذه ، واجهته بعض القلاقل والثورات الداخلية ، أهمها ثورة أبناء إدريس بن عبد الحق المرينـي *[3] الذين شعروا أنهم أحق بالملك من يعقوب ، فخرجوا على عمهم السلطان سنة 658هـ/1260م واجتمعوا إلى كبيرهم محمد بن إدريس واعتصموا بجبال غمارة شمال المغرب الأقصى ولكـن السلطان عاملهم بلطف واسترضاهم[4] .

---

[1] ابن خلدون: العبر، ج7، ص178.

[2] الناصري: الاستقصا، ج3، ص23.

*[3] كان لعبد الحق المريني ثلاثة أبناء من زوجته سوط النساء (من بني علي الشرفاء الحسنيين) هم عبد الله وإدريـس ورحو ، ابن الأحمر: روضة ، ص16 .

[4] ابن خلدون: العبر، ج7، ص(178-179).

وفي السنة ذاتها ثار أبناء أبي بكر بن عبد الحق: إبراهيم وأبو مظهر ومن شايعهم بغمارة فصالحهم يعقوب بن عبد الحق وأقطعهم بعض الأراضي الصحراوية[1] ، ولما فرغ يعقوب من ذلك عقد العزم على مهاجمة مراكش فاستجمع قواه سنة 660هـ/1262م وسار حتى وصل إلى جبل جليز المشرف على مراكش، وبالمقابل قام الخليفة الموحدي المرتضى بتنصيب أبي دبوس إدريس بن محمد بن عبد المؤمن (ت 668هـ/1269م) قائداً عاماً للجيش الموحدي الذي انضم إليه كبار شيوخ الموحدين وسائر عرب جشم من الخلط والأثبج وسفيان وبني جابر والروم[2] ، فدارت حرب ضروس بين الطرفين على ضفاف وادي أم الربيع كانت الغلبة فيها للمرينيين وسميت هذه الوقعة بأم الرجلين*[3][4] .

تركت هزيمة الموحدين في معركة أم الرجلين آثاراً نفسية وعسكرية عظيمة على سكان العاصمة مراكش، إذ خشي القوم أن يقوم بنو مرين بمهاجمتها، خاصة وأنها تركت دون حماية عسكرية كافية، ولم تكد تمضي سنة على ذلك حتى سعى سماسرة الفتن عند الخليفة المرتضى وأقنعوه بأن ابن عمه وقائد حربه أبي دبوس يطلب الأمر لنفسه ، وخوفاً من عواقب ذلك لحق

---

[1] **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص93.

[2] **المصدر نفسه**، ص(95-96). **أنظر خارطة رقم (3)** ، ص229.

*[3] **أم الرجلين**:- سميت كذلك لخصوصية الموقع الجغرافي الذي دارت فيه، حيث دارت على ضفاف وادي أم الربيع في منطقة تكثر بها الجزر والمفارز ويخترقها الوادي وفروعه الصغيرة فيما يشبه الأرجل، **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص96، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص179.

[4] **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص303، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص179، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص24.

الأخير بالأمير يعقوب في فاس 663هـ/1265م[1] ، وطلب منه إمداده بالمال والسلاح والجند ليقوم بفتح مراكش على أن يشركه في الغنيمة ، فاستجاب السلطان وأمده بخمسة آلاف من بني مرين وأهاب بالقبائل والعرب من أهل مملكته أن يكونوا معه يداً واحدة حتى يبلغ مراده ، وسار أبو دبوس سنة 665هـ/1267م في جيش جرار باتجاه مراكش فوصل إلى أبوابها وحرض اتباعه وأشياعه الموجودون في داخلها للثورة ، فتم له ذلك وهرب المرتضى إلى آزمور نازلاً على صهره ابن عطوش الذي قام بقتله فيما بعد[2]، ودخل أبو دبوس مراكش واستقل بالحكم فيها وتلقب بالواثق بالله[3] .

ولما علم السلطان يعقوب بذلك بعث إليه رسولاً يهنئه بالفتح ويطلب منه الوفاء بالعهد الذي كان بينهما فلما وصل الرسول وقرأ ما في الكتاب " استنكف وعتا ونقض العهد وأساء الخطاب " [4] وقال له: " ما بيني وبينه عهد إلاّ السيف ، ارجع إليه ومره أن يبعث بيعته وأقره على ما بيده من البلاد ، فإن بادر إلى البيعة وسارع إلى الخدمة فهو خير له في الدنيا والآخرة وإن امتنع عن ذلك غزوته بجنود لا قبل له بها " وكتب له بذلك كتاباً يخاطبه فيه مخاطبة الخلفاء إلى عمالهم ، فلما وصل الرسول والكتاب إلى السلطان يعقوب أدرك خبث نوايا أبو دبوس وغدره[5] ، وبعث له طلباً آخر للدخول في طاعته والالتزام بما تم الاتفاق عليه ولكنه أبى ،

---

[1] ابن أبي زرع: الذخيرة، ص109 (وهو الأرجح حسب التسلسل التاريخي للأحداث)، أما الناصري فيذكر تاريخ 661هـ/1263م ، الاستقصا،ج3، ص24 ، أنظر أيضاً، ابن أبي زرع: الأنيس، ص304، ابن خلدون: العبر، ج7، ص179.

[2] ابن خلدون: العبر، ج7 ، ص(179-180) .

[3] الغنيمي: موسوعة، ج5 ، ص 217، الغناي: سقوط، ص273.

[4] ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص 180.

[5] ابن أبي زرع: الذخيرة ، ص111 .

فقرر يعقوب بن عبد الحق خوض الحرب ضد مراكش، وعندما شعر أبو دبوس أنه لا قبل لـــه بالجيش المريني قرر فجأة الدخول في طاعة السلطان يعقوب ، ولكن هذا لم يرق ليغمراسن بـــن زيان الذي كان يراهن على قوة أبي دبوس ، فقرر الطرفان التحالف ضد المرينييـــن بمشـــاركة بعض القبائل وحينها شعر أبو دبوس أن بإمكانه مواجهة بني مرين[1] .

عندما ذهب السلطان يعقوب لحصار مراكش قامت القـــوات الزيانيـــة بالـــهجوم علـــى الأطراف الشرقية للمغرب الأقصى، فقرر يعقوب مواجهة يغمراسن بن زيان والدفاع عن حـــدود دولته ، والتقى الجيشان في معركة عنيفة في وادي تلاغ *[2] هزم فيها الزيانيون هزيمة نكـــراء سنة 666هـ/1267م وقتل أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيان وولي عهده[3] .

وما بين شعبان سنة 666هـ/ نيسان 1268م وآخر ذي القعدة ســـنة 667هـــ/تمـــوز 1268م عبر الجيش المريني وادي أم الربيع وأخذ يشن الغارات ويطلق السرايا ويقـــوم بأعمـــال السلب والسبي ، ثم غزا عرب الخلط من جشم بتادلا وبلاد صنهاجة والأراضي الواقعة ضمـــن أحواز مدينة مراكش[4] ، وعمد إلى تمهيد الطريق نحو غزو مراكش وفتحها من خلال انتهاجـــه سياسة الأرض المحروقة.

---

[1] الغنيمي: موسوعة ، ج5 ، ص217.

*[2] وادي تلاغ:- ملاصق لنهر ملوية من جهة الشرق غير بعيد عن أكرســـيف، ابـــن أبـــي زرع: الأنيـــس، ص282. أنظر خارطة رقم (3) ، ص229.

[3] ابن أبي زرع: الذخيرة، ص(115- 116)، ابن خلدون: العبر، ج7، ص180، ابن الأحمر: روضة، ص(48- 49). أنظر أيضاً:- الغناي: سقوط ، ص273 .

[4] ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص182 ، الناصري: الاستقصا، ج3 ، ص26، يتحدث النويري (ت 733هـ/1333م) عن تاريخ سنة 666هـ/1267م أنه كان عام انقراض دولة الموحدين وربما استند إليه، لأنه العام الـــذي جـــرت فيـــه أول مواجهة مع أبي دبوس للسيطرة على مراكش، نهاية ، ج24، ص348.

وعندما شعر أبو دبوس بالخطر الداهم اجتمع مع أسياد القبائل من العرب والمصـــامدة فأشاروا عليه بالخروج لملاقاة بني مرين ، وأعطوه معلومات مضللة عن حجم القوات المرينية ، وأخبروه أن صفوة الجيش المريني مشغول بحراسة رباط تازا من بني زيان ، فاستعد أبو دبــوس للحرب وخرج بقواته من مراكش ، وتظاهر الأمير يعقوب بن عبد الحق بالانسحاب وتبعه أبـــو دبوس فانقض المرينيون على الجيش المراكشي الذي تراجع باتجاه عاصمتــــه وتبعــه الجيــش المريني بالقتل والأسر ، وقتل خلال ذلك الخليفة الموحدي أبو دبوس ، وجيء برأسه إلى الأمــير يعقوب بن عبد الحق في الثاني من محرم سنة 668هـــ/آب 1269م ، فتقـــدم المرينيـــون نحـــو مراكش وفرَّ من كان بها من الموحدين إلى جبل تينمل ، ثم خرج أعيان مراكش ورجالاتها إلـــى لقاء الأمير المريني مبايعين له ، فدخل مراكش فاتحاً في التاسع من محرم/آب المذكور[1].

وهكذا تم ما شرع به الأمير أبو بكر بن عبد الحق بفضل خليفته يعقوب بن عبد الحـــق ، وسرعان ما تلقب الأخير بلقب أمير المسلمين *[2] على غرار المرابطين[3] غـــير مســـتند إلـــى مذهب ديني خاص[4] بعد ما يقارب ستون عاماً من النضال المرير ، وفي ذلك يقول ابن خلـــدون (ت 808هـــ/1405م): " وكذا بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين فمكثـــوا يطاولونـــهم

---

(1) للاطلاع على تفاصيل معركة دخول مراكش انظر، **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص(306-307)، **ابن خلدون**:العبر، ج7، ص182، **ابن الأحمر**: روضة، ص19، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(26-27)، **ابن خلكـــان**: وفيـــات، ج7، ص18. أنظر أيضاً:- **الغنيمي**: موسوعة ، ج5 ، ص218. **أبو ضيف**: أثر ، ص(166-167).

*(2) **أمير المسلمين**:- لقب ملوكي هو من حيث الترتيب دون لقب أمير المؤمنيـــن ، اتخـــذه بعـــض ســـلاطين شـــمال إفريقيا والأندلس دون إنكار شرعية خلفاء بني العباس في بغداد، **الخطيب**: معجم، ص46.

(3) **جوليان**: تاريخ ، ج2 ، ص 217.

(4) **الغنيمي**: موسوعة ، ج5 ، ص274.

نحواً من ثلاثين سنة ، واستولوا على فاس واقتطعوها وأعمالها من ملكهم ، ثم أقاموا في محاربتهم ثلاثين أخرى حتى استولوا على كرسيهم بمراكش "[1].

[1] ابن خلدون: المقدمة ، ص301.

3- دور السلطان يعقوب بن عبد الحق في استكمال فتح بلاد المغرب الأقصى وتوطيد أركان الدولة المرينية.

بعد أن سقطت مدينة مراكش عاصمة الدولة الموحدية ودانت بلاد المغرب لبني مريـن ، قام السلطان يعقوب بن عبد الحق بمجهود كبير من أجل تثبيت دعائم دولته وفـرض سـيطرتها على كافة الأقاليم ، والتصدي للفتن والثورات التي لم تفتأ تندلع بين الحين والآخر .

مكث السلطان يعقوب في مراكش بعد الفتح حتى رمضان من سنة 669هـ / نيسان 1271م من أجل العمل على استتباب الأمن فيها وإصلاح شؤونها واستقبال التهاني[1]، وأرسـل خلال ذلك ابنه الأمير أبا مالك عبد الواحد إلى بلاد السوس الأقصى لغزو من بها مـن الثـوار والقبائل، فسار إليها في جيش من بني مرين ففتحت تلك البلاد كلها من نهر ماسة إلـى البحـر المحيط وقدم عليه زعماؤها طائعين[2].

وفي أوائل رمضان من سنة 669هـ/نيسان 1271م خرج السلطان يعقوب بنفسـه مـن مراكش لتأديب العرب القاطنين ببلاد درعة ، فحاصرهم وعمل فيهم قتلاً وأسـراً فـأذعنوا لـه وأطاعوه[3] ، وبذلك فرض السلطان سيطرته عل جميع بلاد درعة وملـك حصونـها ومعاقلـها وفرض عليهم عمالاً من طرفه[4] .

---

(1) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص(118-119).

(2) **ابن أبي زرع**: الأنيس ، ص307، الذخيرة ، ص(118-119) ، **ابـن خلـدون**: العـبر، ج7، ص182، **النـاصري**: الاستقصا، ج3، ص27. **أنظر خارطة** رقم (4) ، ص230.

أنظر أيضاً:- **الغنيمي**: موسوعة ، ج5 ، ص219.

(3) **ابن خلدون**: العبر ، ج7، ص182 .

(4) **ابن أبي زرع**: الأنيس ، ص307 .

وفي شوال من تلك السنة 669هـ/ أيار 1271م عاد السلطان يعقوب إلى فاس بعد أن عقد على مراكش لمحمد بن علي بن يحيى من كبار رجالاته ومن طبقه وزرائه[1] ، وكان قبلها قد أخذ البيعة لولده الأمير أبا مالك عبد الواحد (ت 671هـ/1272م) خلال تواجده في رباط الفتح في ذي القعدة من السنة الآنفة الذكر[2] ، فعظم ذلك على أبناء عمه من بني عبد الحق وهم محمد بن إدريس بن عبد الحق وموسى بن رحو بن عبد الحق أولاد سوط النساء وتمردوا على الدولة ، فخرج السلطان يعقوب لقمع هذا التمرد في جيش من خمسة آلاف فارس بقيادة ولده الأمير يوسف (ت 706هـ/1306م) فحاصرهم ، ثم قدم إليه أخوة الأمير عبد الواحد في خمسة آلاف فارس أخرى ، واستمر الحصار إلى أن طلبوا الأمان فعُفيَ عنهم على أن يخرجوا إلى تلمسان ، ومن ثم جازوا إلى الأندلس[3] .

قرر السلطان يعقوب غزو تلمسان بسبب شعوره بأن الجبهة الشرقية في وضع ليس بالآمن من خطر بني زيان ، فبعث في صفر سنة 670هـ/أيلول 1271م ولده الأمير عبد الواحد إلى مراكش لحشد الجيوش من القبائل العربية من مرين والصامدة وغمارة وصنهاجة والجنود الترك والأندلسيين والنصارى[4] .

ولما تكاملت الاستعدادات خرج الجيش المريني من فاس حتى نزلوا بوادي ملوية ثم سار باتجاه تلمسان إلا أن السلطان المريني اضطر إلى طلب الصلح من يغمراسن بن زيان التلمساني للتفرغ لمواجهة الخطر النصراني في الأندلس بعد الاستغاثة العاجلة التي وصلت من هناك ،

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج5 ، ص182 ، الناصري: الاستقصا ، ج3 ، ص27.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس ، ص308.

(3) ابن أبي زرع: الذخيرة، ص125، الناصري: الاستقصا، ج3، ص(29-30).

(4) ابن أبي زرع: الذخيرة ، ص129، ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص184.

ولكن تلمسان رفضت ذلك بشدة[1] ، مما مهد الطريق نحو المواجهة فالتقى الجيشان في وادي إيسلي على مقربة من وجده*[2] ، فقام السلطان يعقوب بتوزيع المهام على قادة الوحدات والقبائل ، وجعل الأمير أبا مالك عبد الواحد على ميمنته وولده الآخر الأمير يوسف على ميسرته[3] ، ووزع الرايات على رؤساء القبائل وجعل حراسته الخاصة لقبيلة بني فودود إضافة إلى الحشم والجنود الأندلسيين – الذين كانوا يخدمون في الجيش المريني – ، فدارت المعركة في رجب سنة 670هـ/شباط 1272م وهزم الجيش الزياني وقتل فارس بن يغمراسن بن زيان ، ولم يكتف المرينيون بهذا الانتصار بل لاحقوا فلول الجيش الزياني المهزوم حتى وصلوا وجده فهدموها، ونزلوا بظاهر تلمسان العاصمة وحاصروها ، وخلال حصارها قاموا بنسف وتخريب أحوازها، وزاد في شدة الحصار وصول أمير بني تجين صاحب بلاد ونشريس محمد بن عبد القوي التجيني في جيش كثيف لحصار تلمسان ، مما أضعفها من جميع النواحي البشرية والعسكرية والاقتصادية ، ولما أيقن السلطان يعقوب ذلك عاد إلى بلاده في المحرم من سنة 671هـ/تموز 1272م بعد تحييد هذا الخطر الزياني[4] .

---

(1) الناصري: الاستقصا ، ج3، ص32.

*(2) وجدة:– مدينة في المغرب الأوسط: الإدريسي: نزهة ، ج1 ، ص222 ، من بناء الأفارقة ، وتقع في سهل فسيح على بعد نحو أربعين ميلاً جنوب البحر المتوسط ، وعلى نفس البعد تقريباً من تلمسان ، وهي محاذية لمفازة أنكاد، الوزان: وصف ، ج2، ص(12–13).

(3) ابن خلدون: العبر ، ج 7 ، ص184.

(4) ابن أبي زرع: الذخيرة ، ص(130–133) ، ابن الأحمر: روضة ، ص49 .

اتجهت أنظار أبو يوسف يعقوب إلى الاستيلاء على طنجة وسبتة نظـــراً لأهميتـــهما الاستراتيجية كونهما يشكلان ثغر العدوة المغربية ومرفأ السفن والأساطيل ، وبهما دور صناعــة السفن ، كما أنهما المعبران الوحيدان إلى الأندلس حيث ميدان الجهاد المريني[1].

في بداية سنة 672هـ/1274م تحرك السلطان يعقوب باتجاه طنجة لسهولة تضاريســها، فحاصرها ثلاثة شهور ولم يستطع فتحها ، وهمَّ بمغادرتها ولكنه فوجئ بجماعـــة مـن رماتـــها وعلى رأسهم القائد المعروف باللجي[2] يستسلمون ويرفعون راية بيضاء علـــى أحـد أبراجـــها منادين بشعار بني مرين، ويعود هذا التغيير المفاجئ إلى خلافات حادة وحركـــة تمـرد داخـل المدينة، وعندما ملك المرينيون البرج أصبح من السهل عليهم اقتحامها وتخليصها من يد زعيمـها الفقيه أبو القاسم محمد بن يحيى العزفي سنة 672هـ/1273م ، ولم يهلك من أهل طنجة ســوى عدد قليل ممن حاول المقاومة [3] .

أما سبتة فقد بعث إليها السلطان يعقوب بن عبد الحق ولده الأمير يوسف لحصارها فسـار إليها وعسكر في منطقة أفراك*[4] ، وأقام هناك أياماً يقاتل المدينة ويقطع خطوط الإمداد الوافـدة

---

[1] ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص185 .

أنظر أيضاً:- الغنيمي: موسوعة ، ج5 ، ص220 .

[2] ابن أبي زرع: الذخيرة ، ص137.

[3] الناصري: الاستقصا ، ج3 ، ص35 ، ويضيف الناصري (ت 1315هـ/1897م) في الصفحة ذاتها أن مدينة طنجـــة كانت منذ مقتل واليها المريني محمد بن الأمير (والي الأمير أبي بكر المريني) سنة 665هـ/1257م قد ملكها الفقيه أبـو القاسم العزفي صاحب سبتة ، أنظر أيضاً المقري: نفح ، ج8 ، ص349.

*[4] أفراك:- تقع على مدخل مدينة سبتة عن اليسار الآتي إليها من تطوان: ابن أبي زرع: الذخـــيرة، ص137 . أنظـر خارطة رقم (6) ، ص232.

عليها من البر ، فاضطر صاحبها الفقيه أبو القاسم العزفي على عقد مصالحة مع الأمير يوسف مقابل ضريبة سنوية معلومة[1] ، وبذلك أصبحت سبتة تحت السيطرة المرينية.

ويصف ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) الوضع فيقول: " ولما فتح السلطان أبو يوسف بلاد المغرب ، وانتظمت أمصاره ومعاقله في طاعته ، وغلب بني عبد المؤمن – الموحدين – على دار خلافتهم ، ومحا رسمهم وافتتح طنجة وطوع سبتة مرفأ الجواز إلى العدوة وثغر المغرب ، سما أمله إلى بلاد القبلة فوجه عزمه إلى افتتاح سجلماسة " [2] التي كانت بيد يغمراسن بن زيان وعرب المنبات من ذوي منصور، وقد خرج السلطان يعقوب باتجاهها في شوال سنة 672هـ/نيسان 1274م [3] .

قامت القوات المرينية بمحاصرة المدينة والشروع في منابذتها القتال ودك حصونها وأسوارها بآلات الحرب مما أدى إلى تهدم معظم أسوارها ، الأمر الذي أتاح عملية اقتحامها وقتل قائدها عبد الملك العبد وادي ومن كان حوله من جماعته ، ولما دخلها يعقوب عفا عن أهلها وأمنهم على ممتلكاتهم ، وقام بتعيين عماله عليها وذلك في ربيع الأول من سنة 673هـ/أيلول 1274م[4] .

---

[1] ابن أبي زرع: الذخيرة ، ص(137–138)، ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص187.

[2] ابن خلدون: العبر ، ج7 ، ص188.

[3] الناصري: الاستقصا ، ج3 ، ص36 ، ابن خلدون، يحيى: بغية ، ج1 ، ص(206–207) .

[4] ابن أبي زرع: الأنيس ، ص312.

أنظر أيضاً:– أبو ضيف: أثر ، ص179.

وبسقوط سجلماسة أكمل يعقوب سيطرته على جميع أراضي المغرب الأقصى من وادي ملوية شرقًا حتى الأطلسي غرباً ، ومن البحر المتوسط شمالاً حتى سجلماسة جنوباً[1]، " فتمشت طاعته في أقطاره ، ولم يبق فيه معقل يدين بغير دعوته ، ولا جماعة تتحيز إلى غير فئته ، ولا أمل ينصرف إلى سواه " [2] .

---

[1] العبادي: دراسات ، ص207.

[2] ابن خلدون: العبر ، ج 7 ، ص189 ، النويري: نهاية ، ج24 ، ص351.

الفصل الثالث

سياسة دولة بني مرين

تجاه مملكة غرناطة الأندلسية

1- سياسة دولـــة بنـــي مـــرين تجـــاه مملكـــة غـــرناطـــة الأنـــدلسـيــة خـــلال العصـــر المرينـــي الأول (656-685هـ/1258-1286م) .

اعتمدت سياسة دولة بني مرين في التعامل مع مملكة غرناطة الأندلسية ، وخاصة خلال العصرين المرينيين الأول والثاني على مجموعة من الثوابت الراسخة أهمها: اســتغلال كافــة الفرص لتوجيه الحملات العسكرية تجاه الأندلس لإنجادها، وحماية مملكة غرناطة الإسلامية من حروب الاسترداد النصرانية ، سواء كان ذلك بسبب الاستغاثات التي كان يوجهها ملــوك بنـــي الأحمر في غرناطة أو تطبيقا لسنة الجهاد في سبيل الله.

ومن ضمن تلك الثوابت أيضاً عدم التدخل في الشؤون الداخلية الغرناطية والحرص على سيادتها سياسياً وجغرافياً ، وأخيراً فقد نظرت الدولة المرينية إلى غرناطة على اعتبار أن كـل من الدولتين هي بمثابة الرئة للأخرى، وأن الاعتداء على الأندلس هو اعتداء علـــى المغـــرب، لقناعتها أن العدو لا يفرق في سياسته العدوانية بين البلدين، إلا أن ذلك لم يلق الصدى المطلوب لدى غرناطة، فتراوحت سياستها في معظم الأحيان ما بين التعاون مع المرينيين للدفاع عن كيان المملكة الغرناطية وما بين التوجس من نواياهم والتدخل في شؤونهم، ومحالفة النصارى ضدهم كما فعل من قبل عبد الرحمن الثالث الذي حكم الأندلس ما بين ســنة (300-350هـــ/912-961م) حين تحالف مع أعداء الدولة الفاطمية من ملوك أوروبا مثل بروفانس ملك إيطاليا[1].

---

[1] ابن عذاري: البيان ، ج2، ص319.

- بعد أن قامت دولة بني مرين سنة 668هـ/1269م على أنقاض دولة الموحـدين، وتم للسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (656-685هـ/1258-1286م) السيطرة على كامل أراضي المغرب الأقصى بفتح مدينة سجلماسة سنة 673هـ/1274م ، نظرت للأندلس بـأعين مليئة بالتوقد ورغبة بالجهاد ضد الممالك النصرانية الإسبانية تلبية لنداء الدين والواجب[1] .

أدرك بنو الأحمر ملوك غرناطة من جانبهم أهمية التحالف مع بني مرين للتعامل مـع الأخطار المحدقة بهم، وكان على رأس هؤلاء محمد بـن يوسـف بـن نصـر بـن الأحمـر (ت 671هـ/1272م) ، حيث وجه قبيل وفاته نداء استغاثة للسلطان المريني يعقوب بـن عبـد الحق من أجل وقف الزحف القشتالي بقيادة الفونسو العاشر*[2] (1262-1284م) على الأراضي الأندلسية[3] ، إلا أن صدى هذه الاستغاثة لم يتحقق إلا بعد وفاته، أي في أيام ولده محمد الثاني الملقب بالفقيه *[4] (671-701هـ/1272-1301م)، الذي كان والده قـد أوصـاه بضـرورة الاستنجاد بالمرينيين كلما لاح شبح الخطر[5] .

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس ، ص312 .

أنظر أيضاً:- **أبو ضيف**: أثر ، ص179 .

*(2) **الفونسو العاشر**:- أبرز ملوك قشتالة في القرن الثالث عشر، سمي العالم والحكيم وذلك لسعة اطلاعـه واشـتهاره بالعلم والشعر والأدب، امتد حكمه من سنة 1262م حتى وفاته وظهور خليفته ابنه سانشو (1284-1295م)، **عاشور**: أوروبا، ج1، ص(542-543) ، **عنان**: دولة ، ع4، ص170 .

(3) **ابن خلدون**: العبر ، ج4 ، ص172 .

*(4) **محمد الثاني الملقب بالفقيه**:- هو محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، ثاني ملوك بني الأحمر بغرناطـة، لمزيـد من التفاصيل عن سيرته أنظر **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص(556-566).

(5) **ابن أبي زرع**: الذخيرة ، ص99 ، الأنيس ، ص313 ، **ابن خلدون**: العبر ، ج4 ص172 .

ونتيجة لذلك فقد تمخض العبور المريني الأول للميدان الأندلسي سنة (673-674هـ/1274-1275م) عن نتائج سياسية كان لها أثرها على الوجود الإسلامي في آخر ما تبقى من الأندلس، إذ تعزز الاستقلال الغرناطي وأصبح في مأمن من الخطر النصراني ولو بشكل مؤقت، وارتفعت الروح المعنوية للغرناطيين والمغاربة على حد سواء وذلك بعد أن تمكنت الجيوش الإسلامية من الوصول حتى إشبيلية حاضرة الفونسو العاشر ملك قشتالة وقتل قائده العسكري (ذنونه) دون نونيو دي لارا (Nunio de Lara)[1] .

وكان لهذه الانتصارات دور في تعزيز تواجد المرينيين في القواعد الأندلسية الجنوبية ، كجبل طارق والجزيرة الخضراء وطريف ورندة، واتخاذها رأس جسر للتدخل المريني وقت الجهاد[2] ، ومن الجدير ذكره أن السلطان المريني أبو يوسف يعقوب قد اشترط على ابن الأحمر حينما استنجد به التنازل عن بعض الثغور والقواعد جنوبي الأندلس[3] .

وللدلالة على صدق التوجه المريني البعيد عن الأنانية وحب الذات اختار السلطان يعقوب بن عبد الحق أحد أبناءه أبا زيان منديل (ت 697هـ/1297م) ليكون على رأس أول حملاته الموجهة إلى الأندلس[4]، فقام بواجبه خير قيام مما حفز ابن هشام وزير ابن الأحمر على

---

(1) **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص57، الإحاطة، ج1، ص565.

أنظر أيضاً:- **الغنيمي**: موسوعة، ج5، ص(223-224) ، **حتاملة**: الأندلس ، ص963 .

(2) **المقري**: نفح ، ج6، ص119.

(3) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص192.

(4) المصدر نفسه، ص191.

مكافأة الأمير أبي زيان بأن قدم له الجزيرة الخضراء في ذي الحجة من سنة 673هـ/أيار 1275م ليمكث بها هو وجنوده خدمة للجهاد المريني في الأندلس[1] .

إلا أن البوادر الحسنة من الجانب المريني والانتصارات الميدانية المدوية لم تلق صدى إيجابيا لدى البلاط الغرناطي ، ذلك لأن محمد الفقيه بن الأحمر توجس خيفة من نوايا بني مرين أن يغلبوه على بلاده كما فعل يوسف بن تاشفين (ت 500هـ/1106م) مع المعتمد بن عباد*[2] (ت 488هـ/1095م) وغيره من ملوك الطوائف[3] .

وتعود جذور هذا التوجس إلى ما يمكن تسميته بأزمة بني أشقيلولة ، وذلك عندما عبر السلطان يعقوب عبوره الأول إلى الأندلس ونزل برندة والتقى هناك بالملك الغرناطي والأمير أبي محمد بن أشقيلولة لتنسيق المواقف[4] ، إلاّ أن ابن الأحمر ما لبث أن غادر غاضبا بسبب ما اعتبره تحالفا بين المرينيين وبني أشقيلولة[5] ، ورغم محاولة السلطان المريني إصلاح ذات البين إلا أنه فشل وبقي ابن الأحمر غاضباً من هذه

---

(1) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص144، **ابن خلدون**: العبر، ج4، ص172، ج7، ص192 .

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4، ص99 ، **جوليان**: تاريخ، ج2، ص219 .

*(2) **المعتمد ابن عباد**:- أمير إشبيلية ومن أعظم شعراء الأندلس في عصره، أقصاه المرابطون عن الحكم سنة 484هـ/1091م وتوفي منفيا بمدينة أغمات بالمغرب سنة 488هـ/1095م ، **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص149، لمعرفة أخباره كاملة أنظر المصدر نفسه، ج2، ص(108-120).

(3) **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص(148-149) ، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص49 .

أنظر أيضاً:- **العبادي**: دراسات، ص(403-404) ، **زمامه**: أبو الوليد، ص61.

(4) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص146، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص317، **القبتوري**: رسائل ، ص56.

(5) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص(192-193).

العلاقة[1] ، وكردّ فعل من جانب الملك الغرناطي على عدم رضاه من تلك العلاقة قام الأخير بالتودد لملك قشتالة الفونسو العاشر، وأظهر رغبته في التعاون معه لمواجهة بني مرين وبني أشقيلولة معاً، فأرسل له في نهاية ربيع الأول من سنة 674هـ/آب 1275م رأس القائد القشتالي دون نونيو دي لارا مضمخاً بالطيب[2] ، وقد عبر ابن الأحمر عن عدم رضاه من هذه العلاقة مع المرينيين في قصيدة أرسلها للسلطان يعقوب[3] .

ازدادت العلاقة بين السلطان يعقوب ومحمد الفقيه سوءاً بسبب قيام محمد بن أشقيلولة بالعبور إلى المغرب بعد وفاة والده عبد الله سنة 676هـ/1277م ، والنزول عن مالقة للسلطان المريني[4] ، وقال له "إنني عجزت عن ضبطهما فإن لم تصل إليها وتقبضها من يدي أعطيتها الروم ولا يتملكها ابن الأحمر" [5] ، فبعث السلطان يعقوب له ولده الأمير أبا زيان واستلمها منه، رغم محاولة محمد الفقيه بن الأحمر استعادتها، إلا أنه فشل في تحقيق ذلك[6] .

ووصل سوء العلاقة مداه عندما عبر السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق إلى الأندلس للمرة الثانية سنة 676هـ/1277م ، ونزل بمالقة واحتفل به أهلها من بني أشقيلولة، واشتركوا معه في التوغل في الأراضي القشتالية ، ولم يحرز اللقاء الذي تم بين السلطان المريني يعقوب

---

(1) الناصري: الاستقصا، ج3، ص40.

أنظر أيضاً:- عنان: دولة ، ع4، ص99.

(2) ابن أبي زرع: الذخيرة، ج7، ص151.

(3) ابن خلدون: العبر، ج7، ص198.

(4) المصدر نفسه، ص(197-198).

أنظر أيضاً:- العبادي: دراسات، ص(403-404).

(5) ابن أبي زرع: الأنيس، ص328.

(6) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص565، الناصري: الاستقصا، ج3، ص68 .

ابن عبد الحق ومحمد الفقيه ملك غرناطة عند أحواز قرطبة عن تقارب في العلاقـات، وإنما غلب عليه طابع اللوم والمعاتبة وانفض اللقاء دون أن تُصَفَّى القلوب بين الطرفين[1] .

وبعد انتهاء العمليات العسكرية المرينية ضد الإسبان بادر السلطان يعقوب بن عبد الحق بالقيام بخطوات من شأنها تحسين أجواء العلاقة مع غرناطة، أهمها قيـام السـلطان المرينـي برفض التوقيع على طلب الصلح المقدم من ملك قشتالة في رمضان من سنة 776هـ/ كـانون ثاني 1278م وترك الأمر للفقيه حفاظا على سيادة المملكة الأندلسية[2] ، كما تنازل السلطان عن جميع غنائم هذه الحملة العسكرية لمحمد الفقيه بن الأحمر قائلاً له " يكون حظ بني مرين من هذه الغزاة الأجر والثواب "[3] .

إلا أن محمد الفقيه قرر القيام بعدة إجراءات معادية للمرينيين، حيث قام بالاتصال مـع الفونسو العاشر ملك قشتالة وبيدرو الثالث*[4] (1276-1283م) ملك أراجون، وعقـد معهمـا اتفاقيات دفاعية ضد السلطان المغربي تقضي بمنع المغاربة من الجواز إلـى الأنـدلس، وقـام الإسبان لذلك بإنزال أساطيلهم بمياه مضيق الزقاق ضاربين بعرض الحائط الاتفاقات والمعاهدات

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج7، ص198.

(2) المصدر نفسه، ص(196-197) .

أنظر أيضاً:- الغنيمي: موسوعة، ج5، ص227

(3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص328 .

*(4) بيدرو الثالث:- أحد ملوك مملكة أراجون الأقوياء، تزوج من ابنة ملك صقلية وأصبح من حقه أن يرث عرشها في الوقت الذي اعتبرت البابوية أن من حقها السيطرة على كل أملاك الدولة الرومانية المقدسة، فحصلت أزمة سياسية بين البابوية وصقلية، ووقف بيدرو الثالث إلى جانب صقلية فغزاها وملكها مما حدا بالبابا مارتن الرابع (1281-1285م) أن يصدر ضده قرارا بالحرمان سنة 1283م وعين مكانه شارل فالو من أبناء ملوك فرنسا، وتوفي بيدرو الثالث سنة 1285م، عاشور: أوروبا، ج1، ص(547-548).

السابقة، وقام الجيش النصراني أيضا بالاعتداء على القوات المرينية المتواجـدة علـى أرض الجزيرة الخضراء بالاتفاق المبيت مع ابن الأحمر[1] .

أما الإجراء العدائي الثاني فتمثل في قيام محمد الفقيه بن الأحمر سنة 677هـ/1278م بالاستيلاء على مالقة التي ضمت ألف فارس من بني مرين ، من خلال شـرائها مـن عاملهـا المريني عمر بن يحيى بن محلي ، بمبلغ خمسين ألف دينار وتعويضه عنها بإعطائـه المنكـب وشلوبانيه[2] ، وأعادت بذلك غرناطة سيطرتها على مالقة بعدما بقيت ثلاث عشرة سنة خـارج نفوذها[3] .

وأخيرا أوعز الملك الغرناطي في السنة آنفة الذكر ليغمراسـن بـن زيـان التلمسـاني بالإغارة على الحدود الشرقية للدولة المرينية، من أجل إشغال بني مرين عن إرسال الجيـوش للأندلس، وبذل ابن الأحمر الكثير من أجل تحقيق ذلك فأرسل العديد من الهدايا لتلمسان ، مـن ضمنها ثلاثين من الخيول العربية والثياب والأموال وذلك بالتنسيق مع ملوك قشتالة وأراجون[4]، ويأتي هذا التوجه الغرناطي في إطار استثمار التناقضات المرينية الزيانية، والمرينية النصرانية لتحقيق الأهداف السياسية .

---

[1] **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص49 .

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4، ص102، **أبو ضيف**: أثر ، ص107.

[2] **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص329 ، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص201، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص50 .

أنظر أيضاً:- **الغنيمي**: كيف ، ص350 ، **جوليان**: تاريخ، ج2، ص222.

[3] **فرحات**: غرناطة، ص27.

[4] **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص50 .

أنظر أيضاً:- **التواتي**: مأساة ، ص413.

حاول الأمير يوسف بن يعقوب أن يرتكب خطأ فادحاً والتحالف مع الممالك النصرانية لتأديب غرناطة، وذلك عقاباً لها على تحالفها مع قشتالة وأراجون وبني زيان ضد بني مرين، فعقد العزم سنة 678هـ/1279م على الاستعانة بقشتالة لاحتلال غرناطة العاصمة، إلاّ أن السلطان يعقوب استنكر هذه النية وزجر ولده عن هذه الفعلة، ودفعه للاشتباك مع الأسطول القشتالي والأراجوني المرابط شرقي المضيق(1) .

وخلال العبور المريني الثالث للأندلس سنة 681هـ/1282م والهادف إلى مناصرة الفونسو العاشر ملك قشتالة ضد ولده سانشو الثائر عليه، فقد استمر الجفاء في العلاقات المرينية الغرناطية لاعتقاد محمد الفقيه أن هذه العملية وهذا التحالف المريني القشتالي موجه أيضا ضد غرناطة، فجنح إلى التحالف مع سانشو ضد كل من السلطان المريني والفونسو ملك قشتالة، إلا أن ذلك لم يفده شيئا إذ انتصر الأب على الابن(2) .

وتميز العبور الرابع للسلطان يعقوب بن عبد الحق إلى بلاد الأندلس سنة 684هـ/1285م بالقوة والتأثير ، حيث وصلت القوات المرينية إلى تخوم إشبيلية وشريش ، وحاول السلطان المريني تلطيف الأجواء مع غرناطة، وذلك بتكليف ولده الأمير أبي زيان بالوقوف في جيش على الحدود ما بين المناطق الواقعة تحت السيادة المرينية وباقي الأراضي الغرناطية، وأمره أن لا يتدخل في شؤون ابن الأحمر كما جرت العادة، وأن لا يتسبب له بأية أذية(3) .

---

(1) عنان : دولة ، ع4، ص103.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس، ص338 ، ابن خلدون: العبر ، ج7، ص(205-206).

أنظر أيضاً:- عنان: دولة ، ع4، ص105.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص273.

وتدعيماً للتوجهات الجهادية الممزوجة بحسب النوايا التي انتهجها السلطان المريني، وخدمة للعلاقات المرينية الغرناطية المشتركة، فقد وظف العوامل الداخلية المرينية لخدمة حركة الجهاد الإسلامي في الأندلس، من خلال إبعاد منافسيه من المرشحين للرياسة إلى الأندلس، للمشاركة في العمليات الحربية ضد النصارى مستغلاً قوة الوازع الديني لديهم ، بسبب ما كانت تثيره حوادث الأندلس من أصداء عميقة ، إذ كان علماء بلاد المغرب وخطباؤها يبثون من على المنابر دعوات الغوث والإنجاد[1] .

وشكل السلطان يعقوب من خلال هؤلاء وغيرهم من المجاهدين ما عرف بالخطط الغرناطية باسم مشيخة الغزاة، وهي عبارة عن قوات مرينية تواجدت بشكل دائم على الأراضي الأندلسية مهمتها جهاد النصارى، وقد تولى بنو العلاء من بني مرين قيادة مشيخة الغزاة لفترة طويلة من الزمن[2] ، ويقول المقري (ت 1042هـ/1632م) " ولم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الأندلس بالمال والرجال وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب السلطان بالأندلس غزاة فكانت لهم وقائع مع العدو مذكورة، وكان عند ابن الأحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة " [3] ، إلا أن ابن خلدون (ت 808 هـ/1405م) يرى أن بني الأحمر كانوا يهدفون من وراء احتضانهم لشيوخ الغزاة إلى استغلالهم لمناهضة سلاطين بني مرين ولجم أطماعهم في الأراضي الأندلسية[4] .

---

(1) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص99، الأنيس، ص303 .

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4، ص(45-49) ، **الغنيمي**: كيف ، ص(344-345).

(2) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص366 ، أنظر أخبار بني العلاء لدى **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج4، ص77 .

(3) **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص136، **المقري**: نفح ، ج6، ص(119-120).

(4) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص377 .

2- سياسة دولة بني مرين تجاه مملكة غرناطة الأندلسية خلال العصر المريني الثاني (685-731هـ/1286-1331م).

بعد وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق في المحرم من 685هـ/شباط 1286م تولى الأمر من بعده ابنه يوسف[1] ، وكان أول قرار اتخذه فيما يتعلق بسياسته الخارجية تجاه مملكة غرناطة، أن قام بالاجتماع مع ملك غرناطة محمد الفقيه بن الأحمر في مربلة[2] ، وتصدر جدول أعمال الاجتماع بحث العلاقات المرينية الغرناطية وسبل تدعيمها وتقويتها لمواجهة العدو الإسباني المشترك، وتقرر في نهاية الاجتماع أن يتنازل السلطان عن جميع الثغور والقواعد الفرعية التي كانت تحت السيادة المرينية والاكتفاء بالاحتفاظ بالجزيرة الخضراء وطريف ورنده ووادي آش لضرورات جهادية وعملياتية محضة[3] .

ومن أجل تدعيم الوجود المريني في القواعد المرينية الأخرى، قام السلطان يوسف بن يعقوب في ربيع الثاني من سنة 685هـ/أيار 1286م بتعيين أخيه الأمير أبي عطية العباس حاكماً على ممتلكات بني مرين، وأسند قيادة الجيش المريني في الأندلس والمكون من اثني عشر ألف مقاتل لأبي الحسن علي بن يوسف[4] ، وضمن الخط السياسي الذي انتهجه السلطان يوسف في سعيه لتهدئة الأوضاع على الجبهة الغرناطية والأندلسية خدمة لمصلحة مسلمي الأندلس وسعياً منه للتفرغ لتوطيد الوضع الداخلي، فقد اتفق مع محمد الفقيه بن الأحمر على إزالة آخر

---

(1) **ابن الأحمر**: روضة ، ص18 .

(2) **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص55 . لمعرفة موقع مدينة مربلة أنظر خارطة رقم (5) ، ص231.

(3) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص378 ، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص211، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص66.

(4) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص376.

أنظر أيضاً:- **الغنيمي**: موسوعة، ج5، ص233.

العقبات التي اعترضت العلاقات المرينية الغرناطية وهي مشكلة بني أشقيلولة ، ودعت المبادرة المرينية أن يتنازل ابن الأحمر عن وادي آش للمغاربة، وبالمقابل يتم ترحيل بني أشقيلولة إلى مدينة القصر الكبير في شمال المغرب الأقصى، فطلب السلطان يوسف سنة 687هـ/1288م من بني أشقيلولة ترك الأندلس والانتقال إلى مدينة القصر الكبير في المغرب، فنزلوا واستقروا فيها إلى أن انقرضت أيامهم في أواخر دولة بني مرين[1] .

وعلى الرغم من هذه التنازلات الكبيرة من جانب المرينيين ، إلا أن التفاهمات المرينية الغرناطية والعلاقات الطيبة لم تصمد طويلا ، إذ عاد محمد الفقيه بن الأحمر إلى سياسته في التشكك والريبة من نوايا بني مرين رغم كل تلك المبادرات الحسنة ، ففي سنة 690هـ/1291م نقض ملك قشتالة سانشو الرابع الاتفاقية المبرمة مع السلطان يعقوب سنة 684هـ/1285م وقام بالإغارة على التخوم الأندلسية، عند ذلك أعلن السلطان يوسف بن يعقوب الجهاد فأوعز إلى قائد المسالح المرينية في الأندلس بالهجوم على مدينة شريش *[2] الواقعة تحت السيادة الإسبانية محققا بعض الانتصارات الجزئية، وبالمقابل قام الفقيه بن الأحمر وبدعم من القشتاليين بمهاجمة أسطبونه وتمكن من الاستيلاء عليها بعد التغلب على حاميتها المرينية بقيادة عياد العاصمي، وتفاهم الغرناطيون والقشتاليون على انتزاع طريف من أيدي المرينيين فقام سانشو بتسيير أسطوله إلى مياه الزقاق بمعاونة من الاراجونيين، فحاصر طريف ليحول دون وصول الإمدادات المرينية إليها ، وتكفل محمد الفقيه بإمداد الإسبان بالدعم اللوجستي ، إلى أن سقطت طريف بيد

---

[1] ابن الخطيب: اللمحة، ص57 . ابن خلدون: العبر، ج7، ص(212-213) ، الناصري: الاستقصا، ج3، ص68.

أنظر أيضاً:- عنان: دولة ، ع4، ص(108-109)، العبادي: دراسات، ص(404-405)، الغنيمي: كيف، ص355.

أنظر موقع القصر الكبير على خارطة رقم (3) ، ص229.

*[2] شريش:- تسمى أيضا شرش، وهي مدينة كبيرة من كورة شذونه بالأندلس، الحموي: معجم ، ج5، ص138.

الإسبان والغرناطيين في آخر شوال سنة 691هـ/أيلول 1291م بعد حصار دام خمسة شهور[1].

وعندما طلب ابن الأحمر من سانشو تسليمه طريف رفض ونكث بوعوده مع أن الأول تنازل له عن مجموعة من الثغور والحصون الإسلامية مثل طلبيره *[2] والحصون القريبة منها مثل: نقله وبليس وقشتل والمسجير مقابل انتزاع طريف من أيدي القوات المرينية[3] .

أدت السياسة المتذبذبة التي انتهجها صناع القرار في دولة ابن الأحمر ، والناتجة عن توجسهم مما يعتقدونه أطماعا مرينية في دولتهم ، إلى تحالفهم مع الأسبان ضد المرينيين ، وما تمخض عن ذلك من ازدياد الخطر الأسباني وسقوط طريف بأيدي النصارى[4] .

إلا أن السياسة المرينية سرعان ما تجاوزت كافة الجراح التي تسببت بها غرناطة، والدليل على ذلك موافقة المرينيين سنة 691هـ/1292م على استقبال وفد غرناطي برئاسة أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن الأحمر*[5] (ت 720هـ/1320م)، ووزيره أبا سلطان عزيز الداني، وقبول وساطة الغرناطيين للثائرين على السلطة المرينية بحصن تزوطة بقيادة الوزير عمر

---

[1] **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص(380-381)، **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص58، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص(315-316)، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(71-72).

أنظر أيضاً:- **التواتي**: مأساة ، ص417، **الحجي**: التاريخ، ص541 ، **جوليان**: تاريخ ، ج21، ص225، **أبو ضيف**: أثر، ص175، **العبادي**: دراسات، ص405. **عنان**: دولة ، ع4، ص109.

*[2] **طلبيرة**:- مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة تقع على نهر تاجه ولها عدة حصون ، **الحموي**: معجم ، ج6، ص263.

[3] **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص381.

[4] **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص563.

*[5] **أبو سعيد ، فرج بن إسماعيل بن الأحمر**:- أنظر سيرته لدى ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص(241-246) .

الوطاسي[1] ، وكان قبول هذه الوساطة يدخل ضمن القواعد الأدبية في احترام وفــود الــدول الشقيقة.

وكان الوفد الغرناطي المذكور قد وصل إلى المغرب بهدف الاعتذار عن حادثة طريف وتجديد الصلح مع السلطان يوسف بن يعقوب الذي استقبله وأكرم وفادته واجتمع معه في طنجة وأجابه إلى الصلح[2] ، وربما كانت هذه السفارة الغرناطية من قبيل الاستكشاف لمعرفة الموقف المريني بعد حادثة طريف بعد أن تبين لغرناطة عقم سياسة التحالف مع قشتالة وأراجون ضــد دولة بني مرين، وبناءاً على ذلك فقد عزم محمد الفقيه الرحلة بنفســه فــي ذي القعــدة ســنة 692هـ/تشرين أول 1293م للقاء سلطان المغرب وتأكيد المودة والاعتذار. وقد تمخض اللقــاء عن تنازل ابن الأحمر لسلطان المغرب عن الجزيرة ورندة والعرسية وعشرين حصنا آخر، وفي نهاية الاجتماع قدم الوفد الغرناطي جملة من الهدايا للسلطان المريني من ضمنها مصحف عثمان ابن عفان الذي كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة[3] .

في السنة الأولى من القرن الثامن الهجري أي ســنة 701هـــ/1301م تــوفي ملــك غرناطة محمد الفقيه ليتولى بعده الحكم ولده أبو عبد الله محمد الثالث الملقــب بــالمخلوع *[4]

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس، ص(381-382) ، ابــن خلــدون: العبــر، ج7 ، ص218، الناصــري: الاستقصــا ، ج3، ص(72-73).

(2) ابن خلدون : العبر، ج7، ص216.

أنظر أيضاً:- التواتي: مأساة ، ص417.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس، ص(383- 384) ، ابــن خلــدون: العبــر، ج7، ص217، الناصــري: الاستقصــا ، ج3 ، ص(74-75) .

أنظر أيضاً:- عنان: دولة ، ع4، ص(109-110) ، التواتي: مأساة ، ص417، جوليان: تاريخ، ج2، ص225.

*(4) أبو عبد الله محمد الثالث:- أنظر ترجمته عند ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص(544-555).

(701-708هـ/1301-1308م)[1] ، فحاول الملك الجديد الاستمرار في آخر ما توصل إليه أبوه من تفاهمات مع المرينيين ، وإحكام عرى العلاقة بين الطرفين فأرسل وزيره أبا سلطان عزيز الداني وكاتبه محمد بن الحكم الرندي إلى بلاط فاس وأكرمت وفادتهما ، وطلب منهما السلطان المريني أن تقوم غرناطة بإمداده بالجند والقوات المتخصصة في منازلة الحصون بالإضافة إلى الناشبة للاستعانة بهم على حصار تلمسان ، فقامت غرناطة بتلبية طلبه ، ولكن سرعان ما انقلب الموقف الغرناطي سنة 703هـ/1303م إذ قرر المخلوع مناهضة السلطان المريني والتحالف مع ملك قشتالة هرانده بن سانشو*[2] ، مما أغضب المرينيين ودعاهم لطرد القوة العسكرية الأندلسية وإعادتها إلى غرناطة[3] .

أوعز المخلوع إلى ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل (ت 720هـ/1320م) بالاستيلاء على مدينة سبته المغربية[4] ، فقام بدوره بالاتصال مع بعض ضعيفي النفوس من بني العزفي ملاّك سبتة ، واتفق معهم على إفساح المجال للقوات الأندلسية بقيادة عثمان بن

---

(1) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص136، الأنيس، ص387، **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص142، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص228.

أنظر أيضاً:- **فرحات**: غرناطة، ص31.

*(2) **هرانده بن سانشو**:- هو الملك القشتالي فرناندو الرابع (1295-1312م)، **عاشور**: أوروبا، ج1، ص543 ، استولى على جبل طارق سنة 709هـ/1309م وعندما توفي خلفه ولده الطفل الفونسو الحادي عشر 1312م، **عنان**: دولة، ع4، ص171.

(3) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص228. **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص82.

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4، ص(112-113).

(4) **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص552.

إدريس بن أبي العلاء *[1] (ت 730هـ/1330م) الدخول إلى سبتة سنة 705هـ/1305م ، وقبض على أبى طالب عبد الله بن أبى القاسم العزفي *[2] (ت 731هـ/1331م) ، فرحّل وحاشيته إلى غرناطة ، وباشر الأندلسيون في فرض سيادتهم على المدينة من خلال القيام بأمرها وتحصينها[3] ، ومن أجل استعادتها أرسل السلطان يوسف سنة 706هـ/1306م ولده الأمير أبا سالم إبراهيم *[4] فامتنعت عليه، في حين أمعن ابن أبي العلاء في إعاثة الفساد في أحوازها[5] ، إلا أن السلطان المريني ما لبث أن قتل في العام المذكور[6] .

تولى الحكم بعد السلطان يوسف بن يعقوب سنة 706هـ/1306م حفيده السلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب (706-708هـ/1306-1308م) على أثر أزمة سياسية داخلية مرجعها الخلاف على تولي الحكم [7] ، وبقيت العلاقة متوترة مع مملكة غرناطة على خلفية إجراءاتها العدوانية ضد المرينيين، وحاول هذا السلطان استعادة سبته فأسس مدينة

*[1] **عثمان بن إدريس بن أبي العلاء:**- انظر سيرته لدى ابن خلدون: الإحاطة ، ج4 ، ص(77-80) ، أنظر أيضاً:- **الزركلي:** الأعلام ، ج4 ، ص203 .

*[2] **أبو طالب عبد الله بن أبي القاسم لعزفي:**- انظر سيرته لدى **الزركلي:** الأعلام ، ج4 ، ص125 .

[3] **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص(228-229) ، **ابن الخطيب:** الإحاطة ، ج4 ، ص245 ، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص82. **الوزان:** وصف ، ج1، ص(317-318).

*[4] **أبو سالم إبراهيم:**- قتل سنة 706هـ/1306م ، في أول حكم السلطان عامر بن عبد الله بن يوسف المريني (706-708هـ/1306-1308م) خلال نزاع داخل البيت المريني ، **ابن الخطيب:** الإحاطة ، ج1 ، ص505 .

[5] **ابن الخطيب:** اللمحة ، ص66. **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص229.

[6] **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص388، **ابن الأحمر:** روضة ، ص21 .

[7] **ابن الخطيب:** الإحاطة، ج5، ص55 ، **ابن الأحمر:** روضة ، ص22 ، أنظر تفاصيل هذه الأزمة لدى **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص(233-235).

تطوان*[(1)] لتكون قاعدة عسكرية للانطلاق منها لتخليصها من السيطرة الغرناطية[(2)] ، ولكنه فشل في استعادتها، ولم تتحرر هذه المدينة إلا في عهد ابنه السلطان أبي الربيع سليمان (708-710هـ/1308-1310م) وتحديداً سنة 709هـ/1309م عندما بلغ السلطان أبا الربيع أن أهل سبتة قد سئموا ملكة أهل الأندلس لهم ، فاستغل السلطان المريني ذلك وجرد جيشا إلى سبتة بقيادة تاشفين بن يعقوب الوطاسي في ذي الحجة من سنة 708هـ/ أيار 1309م وتمكن من فتحها ودخولها في صفر من 709هـ/تموز 1309م[(3)] .

لقد أثار هذا الفتح فزعاً لدى سلطان غرناطة الجديد أبي الجيوش نصر (708-713هـ/1308-1313م) ، وجعله يجنح لخطب ود بني مرين ، فأرسل رسله إلى السلطان المريني أبي الربيع وتنازل له عن الجزيرة الخضراء ورنده وحصونهما ترغيباً له في الجهاد ، فقبل السلطان المريني ذلك ، وإمعاناً في توثيق العلاقة زوجه السلطان أخته وبعث إليه بالمدد والأموال والخيول مع عثمان بن عيسى اليرياني ، وبقيت العلاقات ودية حتى موت السلطان أبي الربيع سنة 710هـ/1310م[(4)] واقتصرت على العون المادي والعيني[(5)] .

---

*[(1)] **تطوان**:- كانت مدينة تطوان عبارة عن حصن يقع جنوب شرق سبتة على بعد خمسة أميال من المتوسط ، وكانت تسكنه قبيلة بربرية يقال لها مجسكة، **الإدريسي**: نزهة ، ج2، ص531. **أنظر خارطة** رقم (6) ، ص232.

[(2)] **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص237.

أنظر أيضاً:- **العبادي**: دراسات، ص(407-408).

[(3)] **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص393.

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4، ص115. **فرحات**: غرناطة، ص32.

[(4)] **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص394. **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص240.

أنظر أيضاً:- **الحجي**: تاريخ ، ص541.

[(5)] **الغنيمي**: موسوعة، ج5، ص297.

ولم يكدر صفو العلاقة المرينية الغرناطية في عهد السلطان أبي الربيع سوى حادثة تسبب بها أحد رسل ابن الأحمر الذي قدم إلى البلاط المغربي في حالة سكر شديد ، فأقيم عليه الحد بأمر من القاضي أبي الحسن الزرويلي ، وعند ذلك استغل الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي ذلك وحاصر القاضي في مسجده ، فعمد السلطان المريني إلى فك الحصار عن القاضي وقتل جميع أصحاب الوزير الذين اشتركوا في العملية ، فخلع الوطاسي طاعة السلطان أبي الربيع في ربيع الآخر سنة 710هـ/آب 1310م ، وبايع عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق ، وحاول الاستنجاد بأبي حمو موسى بن عثمان الزياني *[1] (707-718هـ/1307-1318م) الذي رفض مساعدته ، مما مكن السلطان المريني من القضاء على الثورة[2] ، ولكنه ما لبث أن توفي مسموماً في نفس العام[3] .

خلال عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الحق المريني (710-731هـ/1310-1331م) اعترى سياسة دولة بني مرين تجاه مملكة غرناطة شيء من الجمود بسبب موقف المرينيين من بني الأحمر على خلفية مشاكل شيوخ الغزاة من بني العلاء[4] ، ففي المحرم من سنة 727هـ/تشرين ثاني 1326م نشب خلاف بين شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء والوزير

---

*[1] **أبو حمو ، موسى بن عثمان الزياني**:- رابع سلاطين بني عبد الواد من آل زيان ، تولى الحكم بعد أخيه السلطان أبي زيان سنة 707هـ/1307م ، شغل بالدفاع عن حدود بلاده من هجمات المرينيين والقبائل البدوية ، قتل سنة 718هـ/1318م بتدبير من ابنه أبي تاشفين ، **الزركلي**: الأعلام ، ج7 ، ص325 .

[2] **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص240-241. **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(101-102).

[3] **ابن الأحمر**: روضة ، ص23.

[4] **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص249.

أنظر أيضاً:- **الغنيمي**: موسوعة، ج5، 297.

محمد بن أحمد المحروق*[1] (ت 729هـ/1328م) المستبد بالملـك الغرنـاطي محمـد بـن إسماعيل ابن فرج بن الأحمر*[2] (725-733هـ/1324-1333م) ، فلحق عثمان بالمرية وهمَّ بالانصراف عن الأندلس ودخل أهل حصن أندرش في طاعته ، إلى أن تمت تسوية بين الطرفين وأعيدت الأمور إلى نصابها[3] ، ويكشف ذلك النزعة المستحكمة لدى أبناء أبي العلاء في الثورة والتمرد على كل من غرناطة وفاس بشكل دائم.

*[1] **محمد بن أحمد المحروق:**- انظر سيرته لدى **الزركلي:** الأعلام ، ج5 ، ص325 .

*[2] **محمد بن إسماعيل بن فرج بن الأحمر:**- انظر سيرته لدى **ابن الخطيب:** الإحاطة ، ج1 ، ص532 .

[3] **ابن الخطيب:** اللمحة ، ص(93-94)، الإحاطة ، ج1 ، ص(535-537) .

3- سياسة دولة بني مرين تجاه مملكة غرناطة خلال العصر المريني الثالث (731-759هـ/1331-1358م) .

إن نظرة متفحصة لجوانب شخصية السلطان أبي الحسن علي بن عثمان المريني *(1) (ت 752هـ/1351م) الذي حكم المغرب خلال الفترة (731-749هـ/1331-1348م) يلاحظ مدى غيرته على الإسلام والمسلمين، وحرصه على ممارسة النشاط الجهادي في الأندلس، وإدراكه لأهمية الحفاظ على العلاقات مع غرناطة، وعملاً بذلك فقد استقبل وفداً غرناطياً رفيع المستوى وعلى رأسه ملك غرناطة محمد بن إسماعيل بن فرج بن الأحمر سنة 732هـ/1332م، فأكرم وفادته(2) ، وأنزل الناس للقائه واستضافه في روض المصارة *(3)، وما أن اجتمع السلطان المريني بالملك الغرناطي حتى استمع منه لشرح عن الأوضاع في الأندلس وما يعانيه أهلها من البطش الأسباني واستعرض الجانبان أحوال جبل الفتح ، وقد تمخض اللقاء عن إجراءات عملية أهمها الفتح الكبير الذي تمثل بانتزاع جبل طارق من يد الممالك النصرانية الإسبانية في ذي الحجة من سنة 733هـ/1333م (4) .

---

*(1) **أبو الحسن علي بن عثمان المريني**:- يقول الناصري فيه: "هذا السلطان هو أفخم ملوك بني مرين دولة وأضخمهم ملكاً وأبعدهم صيتا وأعظمهم أبهة، ويعرف عند العامة بالسلطان الأكحل لأن أمه كانت حبشية فكان أسمر اللون" **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص118.

(2) **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص94.

*(3) **روض المصارة** :- بستان كبير مزدان بالأشجار وتخترقه الجداول المائية، يقع في مدينة فاس الجديد، وأول من أمر بإنشائه بالقرب من قصره السلطان يوسف بن يعقوب (685-706هـ/1286-1306م) في رجب من سنة 685هـ/آب 1286م ويستخدم لعقد الاجتماعات واستقبال الزوار، **المنوني**: ورقات، ص(62-63).

(4) **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص94 ، **ابن خلدون** : العبر، ج7، ص255.

إلا أن محمد بن إسماعيل بن الأحمر ما لبث أن قتل في تلك السنة أي سنة 733هـ/1333م خلال عودته من معركة فتح جبل طارق بتدبير من أبناء عثمان بن أبي العلاء شيوخ الغزاة من بني مرين بالأندلس لاتهامهم إياه بالتآمر ضدهم مع السلطان أبي الحسن خلال زيارة ابن الأحمر له في فاس سنة 732هـ/1332م [1]، وتم تنصيب أخيه أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن الأحمر*[2] (733-755هـ/1333-1354م) مكانه ، وقام فور استقرار حكمه بالثأر لأخيه فنكب شيوخ الغزاة من بني العلاء وغربهم إلى تونس وقدم على الغزاة يحيى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق *[3][4] .

وعلى الرغم من النكبات التي حلت بالسلطان المريني أبي الحسن على الصعيدين الشخصي والعام ، وذلك بمقتل ولده أبا مالك سنة 740هـ/1339م في الأندلس خلال قتاله القشتاليين[5] ، وهزيمته في واقعة طريف *[6] سنة 741هـ/1340م[7] ، فقد استمرت مظاهر العلاقة الحسنة بين فاس وغرناطة حتى أواخر عهده، وكان أهم حدث أدى إلى توثيق تلك العلاقة نزول الملك الغرناطي أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (733-755هـ/1333-1354م)

---

[1] **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص(96-97)، وكناسة ، ص(23-24)، **ابن خلدون**: العبر ، ج4، ص174، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص123.

أنظر أيضاً:- العبادي: دراسات ص416.

*[2] **أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن الأحمر**:- انظر سيرته لدى ابن الخطيب: الإحاطة ، ج4 ، ص(318-338) .

*[3] **يحيى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق**:- انظر ترجمته لدى ابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص(365-371).

[4] **ابن خلدون**: العبر ، ج4، ص174.

[5] المصدر نفسه، ج7، ص260.

*[6] انظر الفصل الرابع من هذا البحث.

[7] **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(136-137).

عند رغبة السلطان المريني في أن يقوم الأول بالقبض على أبناء أبي العلاء شيوخ الغزاة في الأندلس وأبناء عمومة السلطان المريني وتسليمه إياهم، فقبض عليهم أبو الحجاج وأودعهم السجن ومن ثم قام بتغريبهم إلى إفريقية حيث أبو يحيى ابن الأمير أبي زكريا الحفصي (ت 747هـ/1346م) الذي قام بدوره بإرسالهم إلى السلطان أبي الحسن المريني سنة 742هـ/1341م[1].

وفي أواخر عهد السلطان المريني ثارت القبائل عليه في إفريقية ، وتمرد عليه ابنه أبي عنان فارس (ت 759هـ/1358م) ، فساءت أحواله وهمّ بالعودة إلى المغرب[2] ، فكتب إليه الملك الغرناطي أبي الحجاج يوسف كتاباً قبيل عيد الفطر من سنة 749هـ/1348م من إنشاء وزيره لسان الدين بن الخطيب يسأله فيه عن أحواله ويعزيه عما أصابه ويدعو له بالسلامة، ويعتذر له عن انتفاء إمكانية مساعدته بسبب تكالب النصارى على مملكته ، ويبلغه أنه قد أعطى أوامره لكافة العاملين على السواحل الأندلسية بتوفير كل أسباب الأمن والمساعدة لكافة الوافدين من طرفه[3] ، خاصة أن السلطان المريني خاض في سنة 750هـ/1349م بعد نكبته مع القبائل في القيروان أهوالا عظيمة تمثلت بضياع أسطوله في البحر على مقربة من الجزائر، وغرق معظم من كانوا فيه فوصل إلى المغرب وقد وهنت قواه[4] ، وهزم أخيراً عند مراكش على يد

---

(1) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص264.

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4 ، ص125.

(2) **ابن الخطيب**: كناسة ، ص25. وللإطلاع على تفاصيل ثورة القبائل على أبي الحسن في القيروان، أنظر **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص(273-276).

(3) **ابن الخطيب**: كناسة ، ص25، شبانة: يوسف الأول، ص126. للإطلاع على النص الكامل للرسالة أنظر **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(166-168).

(4) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص(283-285).

ابنه أبي عنان الذي استلم الحكم سنة 749هـ/1348م[1] ، وما لبث أن توفي أبو الحسن طريداً في جبل هنتاته (من جبال درن) في ربيع الأول سنة 752هـ/نيسان 1351م[2] بعد أن بذل جهده في محاولة توحيد المغرب تحت السلطة المرينية والدفاع عن الأندلس ، لدرجة أنه استنجد سنة 745هـ/1344م بالسلطان المصري الصالح بن الناصر محمد بن قلاوون (743-746هـ/1342-1345م) طالباً منه غوث الأندلس وخاصة بعد استيلاء الأسبان على طريف والجزيرة إلا أن هذه الاستغاثة لم تلق الصدى المطلوب[3] .

أما في عهد السلطان أبي عنان فارس (749-759هـ/ 1348-1358م) فقد استمرت العلاقات الطبيعية مع بلاط غرناطة كما كانت في عهد أبيه وتبودلت خلالها الرسائل والسفارات[4] ، كان أولاها سفارة خاصة عقدها ملك غرناطة أبو الحجاج يوسف لوزيره لسان الدين بن الخطيب سنة 752هـ/1351م وحمله فيها رسالة إلى نظيره أبي عنان يعزيه فيها عن مصابه بوفاة والده ويهنئه فيها باعتلاء عرش الدولة المرينية ، ويخبره بأحوال المسلمين في الأندلس، وما يعانونه جراء الإعتداءات الأسبانية وحاجة الأندلسيين إلى عون إخوانهم المغاربة[5].

---

(1) **ابن الخطيب**: كناسة ، ص25.

(2) **ابن الأحمر**: روضة ، ص25، **ابن العماد**: شذرات ، ج8 ، ص293 .

(3) **حتاملة**: الأندلس ، ص(964-965)، انظر نص الرسالة والرسالة الجوابية لدى **المقري**: نفح ، ج6، ص(120-135).

(4) **ابن الخطيب**: كناسة ، ص26.

(5) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص191. أنظر نص الرسالة لدى **ابن الخطيب**: كناسة ، ص(57-62).

ومن خلال الرسائل المتبادلة يمكن الإطلاع على موضوع تلك السفارات وغرضـــها، فمنها ما تضمن إبداء الشكر على هدايا متبادلة من كلا الطرفين[1] ، أو رسائل تضمنت تهـــاني بالفتوح والانتصارات[2] ، وبعضها كان لإطلاع سلطان المغرب على الأوضاع الداخلية للممالك النصرانية[3] . ولم يكدر صفو هذه العلاقات سوى مسألة أبي الفضل محمد شقيق السلطان أبي عنان فارس، الذي لحق وأخيه أبي سالم إبراهيم (ت 762هـ/1361م) بأخيهما الســـلطان أبـــي عنان بعد مقتل والدهما أبي الحسن سنة 752هــ/1351م ، إلا أن أبا عنان خشي من انقلابهمـــا عليه فأرسلهما إلى الأندلس ونزلا بمدينة مربلة[4] ، واستقرا في إيالة الملـــك الغرنـــاطي أبـــي الحجاج يوسف بن الأحمر الذي استقبلهما وأكرم وفادتهما[5]، وأنزلهما قصر الســـيد *[6] مـــن غرناطة، وعندما تم لأبي عنان السيطرة على زمام الأمور وضم المغرب الأوسط إلى مملكتـــه سنة 753هــ/1352م ، بعث رسله إلى أبي الحجاج طالباً إرجاع أخويه ، إلا أن الأخير رفض إرجاعهما[7] ، وأجاب الرسل " أنه لا يخفر ذمته ولا يسيء جوار المجاهدين لديه "[8] .

---

(1) **ابن الخطيب**: كناسة ، ص(57-61) ، ص(75-77).

(2) المصدر نفسه، ص(64-73) ، ص(88-92).

(3) المصدر نفسه، ص(94-96).

(4) **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص305.

(5) المصدر نفسه، ص350 ، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص293.

*(6) **قصر السيد**:- أحد القصور الملكية التي بنيت خارج غرناطة أيام الموحدين سنة 615هـــ/1218م وقـــد خصـــص للضيافة، **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص119.

(7) **ابن الخطيب**: كناسة ، ص26، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(186-187) .

(8) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص187.

أنظر أيضاً:- **جوليان**: تاريخ ، ج2، ص234.

فغضب أبو عنان لذلك وأمر حاجبه ابن أبي عمرو أن يكتب إليه كتابا مليئا بعبـــارات التوبيخ واللوم، ففعل الحاجب المذكر ووصل الكتاب أبي الحجاج لكنه أصر علـــى موقفـــه ورد الرسل خائبين ، وقيل أنه أوعز إلى أبي الفضل محمد اللجوء إلى ملك قشتالة بيدرو الأول *[1] الملقب بالقاسي (1350-1369م)، فقام من جانبه باستغلال هذه الحادثة للإيقاع بين الأخوين[2] .

أرسل أبو الحجاج يوسف بن الأحمر سنة 753هـ/1352م كتاباً من إنشاء لسان الـــدين ابن الخطيب إلى أبي عنان يعتذر فيه عن أمر أبي الفضل ويعلمه أن هروبه تم على حين غفلـــة من الحرس[3] ، واتبع ابن الأحمر كتابه لأبن عنان بثلاثة كتب أخرى حول نفس الموضوع[4] .

وفي موضوع آخر فقد بعث الوزير ابن الخطيب سنة 755هـــ/1354م رســـالة إلـــى السلطان أبي عنان فارس يشرح له فيها ظروف مقتل الملك الغرناطي أبي الحجاج يوسف يـــوم عيد الفطر من سنة 755هـ/أيلول 1354م يصف بها هول ما جرى[5] .

واستقبل السلطان أبو عنان فارس في ذي القعدة / تشرين ثاني من السنة المذكورة وفداً أندلسياً برئاسة الوزير لسان الدين بن الخطيب، جاء في سفارة خاصة بهدف حـــث المـــرينيين

---

*[1] **بيدرو الأول:**- يسمى أيضا بطرس الأول، تولى الحكم سنة 1350م بعد والده الفونسو الحادي عشر سمي بالقاســـي لقسوته في التعامل مع النبلاء فنكبهم سنة 1356م وتولى عرش قشتالة بعد الملك هنـــري الثـــاني (1369-1379م)، **عاشور:** أوروبا، ج1 ، ص544.

[2] **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص293.

[3] **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص(187-190) ، أنظر نص هذا الكتاب لدى **ابن الخطيب:** كناسة ، ص(133-135).

[4] انظر نص هذه الكتب لدى **ابن الخطيب:** كناسة ، ص(137-148).

[5] **عنان:** دولة ، ع4، ص134.

للدفاع عن غرناطة من خلال كتاب رسمي صادر عن الملك الغرناطي الجديد الغني بالله محمد الخامس بن يوسف بن إسماعيل بـــن الأحمـــر*[1] (دولتـــه الأولـــى 755-760هـــ/1354-1359م)[2]، وعندما مثل ابن الخطيب بين يدي سلطان المغرب دفع إليه بكتاب ابـــن الأحمـــر وأنشده قصيدة شعرية منها:

خليفـــة الله ساعــــد القـــدر ... عـــلاك ما لاح في الدجى قَمـــرُ

وجهك في النائبات بدر دجـــى ... لنـــا وفـــي المحل كفـــك المطر

والناس طـــرّاً بأرض أندلـــس ... لـــولاك مـــا أوطنوا ولا عمروا

وقـــــد أهمتـــهـــم نفـــوسهـــم ... فـــوجهونـــي إليـــك وانتظروا [3]

تأثر السلطان أبو عنان من هذه الأبيات وأذن لابن الخطيب بالجلوس بعد أن وافق على تلبية مطالبه قائلا: " ما ترجع إليهم إلاّ بجميع طلباتهم " [4] ، "وتعقيبا على ذلك قال القاضي أبو القاسم الشريف الذي كان ضمن الوفد الغرناطي أنه لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يســـلم على السلطان إلا هذا " [5] .

*[1] **الغني بالله ، محمد الخامس بن يوسف بن إسماعيل بن الأحمر**:- أنظر ترجمته عند **ابن الخطيب**: الإحاطـــة، ج2، ص(13-91).

[2] للإطلاع على نص الكتاب أنظر **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(195-199).

[3] **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص7، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص333.

[4] **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(194-195).

أنظر أيضاً:- **العبادي**: دراسات، ص423.

[5] **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص333.

4- سياسة دولة بني مرين تجاه مملكة غرناطة الأندلسية خلال عصر نفوذ الوزراء (759-869هـ/1358-1465م) .

بعد وفاة السلطان أبو عنان سنة 759هـ/1358م اتخذت العلاقة بين الدولة المرينية وغرناطة أشكالا لم تكن قد عهدتها من قبل، فقد غلب عليها طابع علاقات البلاط ودسائس القصور والتدخل في الشؤون الداخلية لكلا البلدين، وبروز ظاهرة اللجوء السياسي، إضافة لذلك فقد أصبحت غرناطة قاعدة لانطلاق المطالبين بالعرش المريني من المبعدين عن السلطة في فاس.

وتمثلت باكورة ذلك في انطلاق المستعين بالله أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن (760-762هـ/1359-1362م) من مستقره في الأندلس ، من أجل القيام بانقلاب على السلطة الجديدة التي تولت الأمور في فاس بقيادة السعيد بن أبي عنان ، ونجح في ذلك سنة 760هـ/1359م[1]، وكان السلطان أبو سالم سنة 760هـ/1359م قد قبض قبل مغادرته الأندلس على أبناء البيت المريني المرشحين للحكم والرياسة، وحبسهم في مدينة رندة – إحدى المعاقل المرينية في الأندلس- ووكل بهم من يحرسهم، ما عدا محمد بن أخيه عبد الرحمن الذي لجأ إلى البلاط القشتالي[2] ، وقد هدف السلطان أبو سالم من وراء هذا الإجراء إلى منعهم من العودة إلى المغرب والتشغيب عليه .

لقد استفاد الملك الغرناطي الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل من وجود السلطان أبي سالم إبراهيم على رئاسة الدولة في المغرب ، وذلك عندما خُلع الغني بالله في رمضان سنة 760هـ/تموز 1359م على يد أخيه أبي الوليد إسماعيل بن يوسف (760-763هـ/1359-

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص(305-308) ، الناصري: الاستقصا، ج4، ص(7-8).

[2] ابن خلدون: العبر، ج7، ص306.

1362م) وجماعة آخرون، إذ انتهز الثائرون ابتعاد الغني بالله عن قصره فقاموا بمهاجمة مقر الحمراء وقتل الحاجب رضوان النصري *[1] ، ومبايعة إسماعيل وسجن الوزير ابن الخطيب بينما فر الغني بالله إلى وادي آش[2] .

ولما كان الملك المخلوع يحتفظ بعلاقات ود وصداقة مع سلطان المغرب أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني منذ أن كان الأخير منفيا من قبل أخيه أبي عنان فارس في الفترة الواقعة بين 752-760هـ/1351-1359م إلى بلاط الغني بالله، فقد حفظ له السلطان أبو سالم عهد الوفاء، وأرسل إلى غرناطة سفيره أبا القاسم الشريف بغرض إجازة السلطان ووزيره المعتقل في المغرب، فعاد الوفد المريني في المحرم من سنة 761هـ/تشرين ثاني 1359م ومعه الغني بالله والوزير ابن الخطيب والشاعر عبد الله بن زمرك لاجئين إلى البلاط الفاسي ، فاستقبلهم السلطان أبو سالم في فاس واحتفل بقدومهم ، فأنشده ابن الخطيب قصيدة يدعوه فيها للوقوف إلى جانب سلطانه المخلوع والعمل على غوثه[3] ، "ومن ثم انفض المجلس ، فانصرف ابن الأحمر إلى منزله المعد له ، وقد فرشت له القصور ، وقربت له الجياد بالمراكب المذهبة، وبعث إليه الكسي الفاخرة ، ورتبت الجرايات له ولمواليه من المعلوجي وبطانته من الصنائع،

---

*[1] **رضوان النصري**:- ينحدر من أصل رومي، كبير حجاب المملكة الغرناطية، أنظر ترجمته لدى **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص(506-513).

[2] **ابن خلدون**: العبر، ج4، ص(174-175)، ج7، ص306، **الناصري**: الاستقصا، ج4، ص(8-9).

[3] **الناصري**: الاستقصا، ج4، ص(8-9)، أنظر نص القصيدة في هذا المصدر ص(9-12)، ولدى **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص(307-309) ، وعند **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص(122-125) .

للإطلاع على تفاصيل الموضوع **(موضوع اللجوء)** أنظر أيضا **العبادي**: دراسات، ص427 ، **عنان**: دولة، ع4 ، ص140.

واتحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والراجل ، ولم يفقد من ألقاب ملكه إلاّ الأداة (الآلة: من شارات الملك) أدباً مع السلطان" [1].

يتضح أن السلطان المريني من خلال تقبله هذا اللجوء قد هدف إلى ممارسة سياسة التعامل بالمثل والضغط سياسياً على حكومة غرناطة وأفراد بني مرين المرشحين للرياسة في الأندلس ، بهدف لجمهم عن التدخل في الشؤون المرينية، وعندما أدرك الملك الغرناطي أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر خطورة ذلك قام بإجراءات أحدثت أزمة سياسية في العلاقة مع فاس ، منها تنحية شيخ الغزاة يحيى بن عمر رحو وتعيين إدريس بن عثمان بن أبي العلاء*[2] (ت 763هـ/1362م) مكانه وذلك سنة 761هـ/1360م[3] .

وعندما طلب الملك الغرناطي إسماعيل بن الأحمر من السلطان أبو سالم إبراهيم تسليمه الوزير بن الخطيب رفض المرينيون ذلك، فقام ملك غرناطة بإطلاق سراح المرينيين المحجور عليهم في رنده ، ومن ضمن هؤلاء ابن عم السلطان المريني الأمير عبد الحليم بن عمر بن عثمان المريني*[4] الذي أجازه الغرناطيون من الأندلس سنة 762هـ/1361م بهدف الثورة على سلطان المغرب ولكنه فشل في ذلك[5] .

---

[1] الناصري: الاستقصا، ج4، ص12.

*[2] إدريس بن عثمان:- أنظر ترجمته لدى ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص(529-531).

[3] ابن خلدون: العبر، ج7، ص355.

أنظر أيضاً:- العبادي: دراسات، ص427، عنان: دولة ، ع4، ص140.

*[4] الأمير عبد الحليم بن عمر بن عثمان المريني:- أنظر ترجمته لدى ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص(529-533).

[5] ابن الخطيب: اللمحة، ص118، ابن خلدون: العبر، ج7، ص(316-317)، ابن خلدون ، يحيى: بغية، ج2 ، ص(90-91) .

أنظر أيضاً:- العبادي: دراسات، ص434.

مكث الغني بالله ووزيره وحاشيته ضيوفاً لدى المرينيين حتى مصرع السلطان المريني أبي سالم سنة 763هـ/1362م ، وعندها استبد الوزير عمر بن عبد الله (ت 768هـ/1366م) بالدولة المرينية، فعرض الغني بالله عليه أن يعاونه على استرداد ملكه فوافق الوزير على ذلك ، وساعده في العودة إلى الأندلس فلجأ إلى قشتالة ومن ثم إلى رنده، وما أن تغيرت الظروف السياسية في غرناطة بمقتل أخيه الملك إسماعيل بن يوسف حتى تحرك الغني من رنده إلى غرناطة واسترد ملكه سنة 763هـ/1362م[1].

وقام الغني بالله بن الأحمر خلال تواجده لدى البلاط القشتالي بقبول طلب الوزير عمر ابن عبد الله السعي لدى بلاط قشتالة من أجل تسريح أبا زيان محمد بن عبد الرحمن إلى المغرب (763-767هـ/1362-1365م)[2] لتنصيبه سلطاناً بدلاً من أبي عمر تاشفين بن أبي الحسن الملقب بالموسوس*[3] (762-763هـ/1361-1362م) ، فوافق ابن الأحمر على ذلك مقابل أن ينزل له المرينيون عن مدينة رنده، فتم ذلك فاتح سنة 763هـ/1362م[4] .

وقد استمرت العلاقات الجيدة بين الطرفين المريني والغرناطي خلال عهد السلطان أبي زيان محمد الذي حاول توطيد هذه العلاقات من خلال إيفاد أبي زيد عبد الرحمن

[1] **الناصري**: الاستقصا، ج4، ص12.

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4، ص141.

[2] **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج2، ص(40-41).

*[3] **أبو عمر ، تاشفين بن أبي الحسن**:- سمي كذلك لإصابته بالجنون منذ كان أسيراً لدى القشتاليين خلال وقعة طريف سنة 741هـ/1341م ، **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص118 ، **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص277 .

[4] **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص(317-318).

ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) سفيراً لهذا الغرض فحظي باحترام بالغ في البلاط الغرناطي[1] .

اتسمت العلاقات بين غرناطة وفاس في عهد السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن المريني (767-774هـ/1365-1372م) بالتوتر خاصة بعد لجوء الوزير لسان الدين بن الخطيب مرة أخرى إلى فاس بعد أن كثرت في حقه السعاية واتهم بالزندقة [2] .

وبعد إحساس ابن الخطيب الكبير بأن الغني بالله يُبيت له أمراً غير محمود ، فقد آثر مغادرة الأندلس والعودة إلى المغرب الذي أحب العيش في ظل سلاطينه المرينيين[3] ، فسار إلى الثغور الغربية بصحبة ابنه علي وعدد من الفرسان بحجة تفقدها ، ولما وصل إلى جبل الفتح (جبل طارق) خرج قائد الجبل لاستقباله بأمر من السلطان المريني عبد العزيز بن أبي الحسن ، ثم سار حتى جاز البحر وقدم على السلطان عبد العزيز بتلمسان سنة 773هـ/1371م[4] ، "فاهتزت له الدولة ، وأركب له السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه كل الأمن والغبطة من دولته بمكان الشرف والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين سفيراً إلى الأندلس في مطلب أهله وولده فجاء بهم على أكمل الحالات من الأمن والتكرمة، ثم نزل بعد ذلك مدينة فاس القديمة فاستكثر بها شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظت عليه

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج7، ص(410-411) .

أنظر أيضاً:- العبادي: دراسات، ص439.

(2) ابن الخطيب: اللمحة، ص(8-9) .

(3) الناصري: الاستقصا، ج4، ص58.

أنظر أيضاً:- عنان: دولة ، ع4، ص(145-146) .

(4) ابن خلدون: العبر، ج7، ص335.

رسومه وتوقيراته ، وأقام مطمئنا بخير دار عند أعز جار" [1] ، إلا أن الغني بالله ابن الأحمـر أصر على ملاحقة ابن الخطيب وخاصة بعدما بلغه أنه يغري السلطان المريني عبـد العزيـز بتملك أرض الأندلس، فبعث الغني بالله من جانبه الهدايا والسفراء طالباً إلقاء القبض على ابـن الخطيب وإقامة الحد عليه بتهمة الزندقة، فرفض السلطان عبد العزيز قائلا للوفد "هـلا انتقمـتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد مـا كـان فـي جواري"[2]، وبعدما توفي السلطان عبد العزيز وتولى ابنه أبو زيـان الملقـب بالسـعيد سـنة 774هـ/1372م ، استوزر وزير أبيه أبو بكر بن غازي بن الكاس*[3] [4] .

عاشت العلاقات المرينية الغرناطية أزمة حقيقية فقد عاود الغنـي بـالله ابـن الأحمـر المطالبة بابن الخطيب ، وبعث بهدية إلى الوزير المذكور يطالبه بتسليمه إياه ، إلا أن الـوزير أبى وأساء الرد [5] ، فقام الغني بالله محمد بإطلاق سراح عبـد الـرحمن بـن أبـي يفلوسـن (ت 784هـ/1382م) أحد المرشحين للحكم من المحجور عليهم لديه وأرسله إلى المغرب لإثارة القلاقل والفتنة هناك، فعزم الوزير أبو بكر بن غازي محاربة ابن الأحمر ، إلا أن الأخير هاجم

---

[1] الناصري: الاستقصا، ج4، ص(58-59).

[2] ابن خلدون: العبر، ج7، ص(335-336) ، الناصري: الاستقصا، ج4، ص(62-63).

*[3] أبو بكر بن غازي بن الكاس:- ينحدر هذا الوزير من إحدى بطون بني ورتاجين الذين لهم باع طويل فـي تـولي منصب الوزارة بالدولة المرينية، ابن خلدون:- العبر، ج7، ص351.

[4] ابن خلدون: العبر ج7، ص336، ابن العماد: شذرات ، ج8 ، ص400 .

[5] ابن خلدون: العبر، ج7، ص338. الناصري: الاستقصا، ج4، ص(60-61).

أنظر أيضاً:- العبادي: دراسات، ص450.

الحامية المرينية على جبل الفتح فاستولى عليها بتدبير ومشاركة ابن أبي يفلوسن ومسعود بن ماساي (ت 789هـ/1387م) الذي كان محجورا عليه أيضا وأطلقه ابن الأحمر[1] .

ولم تتوقف الإجراءات الغرناطية المعادية للدولة المرينية ضمن حدود المملكة الأندلسية، بل قام الغرناطيون بالتدخل سياسياً وعسكرياً في الشؤون المرينية ، فراسلوا الوالي المريني على سبتة محمد بن عثمان بن الكاس صهر الوزير أبي بكر بن غازي وحرضوه على خلع طاعة السلطان المريني السعيد لصغر سنه، ووعدوه بالدعم المالي والعسكري ، ووقع اختيار الملك الغرناطي الغني بالله على أبي العباس أحمد بن أبي سالم (دولته الأولى 776-786هـ/1374-1384م) ليكون بديلاً عن السعيد ، وتم ذلك في المحرم من سنة 776هـ/حزيران 1374م ، واستوزر ابن الأحمر له محمد بن عثمان بن الكاس[2] .

واشترط ابن الأحمر على السلطان أبي العباس أحمد مقابل توليه الحكم في المغرب أن يقوم الأخير بإطلاق سراح كافة المعتقلين من المحجور عليهم في طنجة والمرشحين لتولي الحكم وإرسالهم للأندلس، وأن يقتسم المغرب بينه وبين عبد الرحمن بن أبي يفلوسن – صنيعة غرناطة– ، وأن ينزل له عن جبل الفتح ، وأن يسلمه لسان الدين بن الخطيب[3] .

فأوفى السلطان المريني بهذه المطالب وقدم ابن الخطيب بعد أن تم إلقاء القبض عليه لمحكمة صورية في مجلس السلطان أبي العباس بحضور عدد من أهل الشورى والفقهاء الذين أفتوا بقتله بمقتضى المقالات المسجلة عليه فقتل خنقا وأحرق بعد موته في أوائل سنة

---

(1) **ابن خلدون**: العبر، ج4، ص176.

(2) المصدر نفسه.

(3) **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص10، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص339، **الناصري**: الاستقصا، ج4، ص63.

أنظر أيضاً:- **العبادي**: دراسات، ص451.

776هـ/1374م[1]، وتنفيذاً للشروط الغرناطية قام السلطان المريني أبي العباس أحمد بتولية ابن أبي يفلوسن ولاية مراكش وما وراءها ، بينما استقل السلطان بحكم فاس وأعمالها فقط ، فأصبحت دولة بني مرين دولتان الحد بينهما ثغر أزمور[2] .

وعندما ساءت العلاقات بين الغني بالله والسلطان أبي العباس أحمد ، قام الغني بالله بخلعه في السنة المذكورة ، وسرح من عنده موسى بن أبي عنان (786-788هـ/1384-1386م) ، واستوزر له مسعود بن ماساي وأرسل أبو العباس إلى الأندلس، وعندما حاول ابن ماساي تحريض أهل سبته على الثورة ضد غرناطة ، نقم ابن الأحمر على الوزير وسلطانه وتم خلعهم واستبدل بهم الواثق بالله محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن الذي حكم لعشرة أشهر وتمت الإطاحة به ليتولى السلطان أبي العباس أحمد ولاية حكم ثانية من سنة (789-796هـ/1387-1394م) بقيت خلالها العلاقات ودية مع الغني بالله ابن الأحمر الذي هلك سنة 793هـ/1390م[3].

يتضح بعد وفاة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن سنة 774هـ/1372م أن دولة بني مرين أصبحت تابعة من الناحية السياسية لبني الأحمر في غرناطة[4]، فقد استفاد الغني بالله ابن الأحمر بعد عودته إلى سدة الحكم للمرة الثانية من إقامته في كنف دولة بني مرين

---

(1) **الناصري**: الاستقصا ، ج4 ، ص(63-64) ، **ابن الخطيب**: اللمحة، ص10، **ابن العماد**: شذرات ، ج8 ، ص(424-425) .

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4، ص146.

(2) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص(344-345)، **الناصري**: الاستقصا ، ج4 ، ص65. **أنظر خارطة رقم (4)**، ص230.

(3) **ابن خلدون**: العبر: ج4، ص(177-178)، **الناصري**: الاستقصا، ج4، ص(354-355).

أنظر أيضاً:- **العبادي**: دراسات، ص454.

(4) **العبادي**: دراسات، ص452.

حيث عرف مواطن ضعفها وخاصة فيما يتعلق بنفوذ الوزراء وسوء إدارتهم ، وفي ذلك يقول الناصري (ت 1315هـ/1897م) : " فصار له بذلك تحكم في الدولة المرينية وأصبح المغرب كأنه من أعمال الأندلس "[1] ، وصار الغني بالله هو الآمر الناهي في كل ما يتعلق بالسياسة الداخلية للدولة المرينية حتى وفاته سنة 793هـ/1391م[2]، فاستمر ذلك على مدار تسعة عشر عاماً كانت فيها دولة بني مرين وسلاطينها ألعوبة بيد رجالات البلاط الغرناطي .

وبعد انقضاء هذه المدة لا يمكن للباحث أن يسجل إلاّ أحداثاً قليلة تدخل في إطار العلاقات المرينية الغرناطية ، مثل وفاة الملك الغرناطي يوسف أبو الحجاج بن الغني بالله سنة 795هـ/1393م بسبب ما قيل أنها مكيدة دبرها السلطان المريني أبو العباس أحمد ، عندما أرسل إليه هدايا من ضمنها معطف مسموم فلبسه ابن الأحمر فسرى السم إليه وتوفي[3] .

والحادثة الثانية تتمثل في ثورة أهل جبل الفتح في عهد الملك الغرناطي يوسف الثالث ابن الأحمر (810- 820هـ/1408- 1417م) ، حيث دعوا أبا سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد المريني (800-823هـ/1398-1420م) لتملك الثغر لقناعتهم أنه الأقدر على حمايتهم من الأسبان ، فبعث إليهم السلطان أبو سعيد أخاه عبد الله المعروف بسيدي عبو (ت 823هـ/1420م) في سنة 823هـ/1420م جيش مريني ما لبث أن هُزم وأسر قائده عبد الله لدى غرناطة ، وذلك في عهد الملك الغرناطي أبو عبد الله محمد بن الأحمر الملقب بالأيسر

---

(1) الناصري: الاستقصا، ج4، ص62.

أنظر أيضاً:- الغنيمي: موسوعة، ج5، ص(399-400).

(2) ابن خلدون: العبر، ج7، ص346.

(3) عنان: دولة ، ع4، ص150.

(820-858هـ/1417-1454م) فقام ابن الأحمر برده إلى المغرب في السنة المذكورة ، مزوداً إياه بالمال والجند ليناهض أخاه فأيدته القبائل واغتصب الملك من يد أخيه السلطان أبي سعيد[1] .

---

(1) الناصري: الاستقصا، ج4، ص(93-94).

أنظر أيضاً:- عنان: دولة ، ع4 ، ص(153-154).

الفصل الرابع

سياسة دولة بني مرين

تجاه الممالك النصرانية في إسبانيا

1- نبذه عن الممالك النصرانية الإسبانية.

في الوقت الذي نشأت فيه دول الطوائف في الأندلس في القرن الحادي عشر الميــلادي، كانت إسبانيا النصرانية تتعرض لنفس المصير، حتى أصبحت خلال القرن الثاني عشر الميــلادي خمس ممالك هي:- قشتالة وأراجون القويتان وليون ونافار والبرتغال[1] .

ولم تلبث مملكة ليون أن اندمجت مع قشتالة سنة 1230م بعدما اعتلى الفونســو التاســع ملك ليون عرش قشتالة باسم فرناندو الثالث – القديس – (1230–1250م)[2]، أما مملكة نافــار فقد اختفت سنة 1234م لتنضم إلى قشتالة وأراجون وحكام فرنسا الجنوبيين[3]، وهكذا أصبحــت الممالك النصرانية ثلاثاً فقط : قشتالة وأراجون والبرتغال .

مملكة قشتالة: ومن أبرز ملوكها ، الفونسو العاشر (الحكيــم) (1252–1284م)، وتمــيز عهده بالاستقرار الداخلي والإصلاحات التشريعية ، ومارس سياسة الحد من صلاحيات الأشراف والنبلاء سعياً لإعادة مجد الإمبراطورية الرومانية المقدسة[4]، وفي أواخر عهده ثار عليــه ابنــه سانشو الذي استلم الحكم بعد وفاته سنة 1284م[5]، إلاّ أن الملك الجديد لم يسلم أيضاً من ثــورات النبلاء ، فلجأ إلى عقد صلح مؤقت مع مملكة غرناطة بهدف التفرغ لحل مشــاكله الداخليــة، إلاّ أنه توفي سنة 1296م[6].

---

(1) **عنان:** دولة ، ع4 ، ص(85–86) .

(2) **أشباخ:** تاريخ ، ج2 ، ص(149–150) .

(3) **عنان:** دولة ، ع4 ، ص87 .

(4) **عاشور:** أوروبا ، ج1، ص543 .

(5) **ابن أبي زرع:** الأنيس ، ص337 ، **ابن الخطيب:** اللمحة ، ص56 ، **القلقشندي:** صبح ، ج5 ، ص268 .

(6) **عنان:** دولة ، ع4 ، ص171 .

لم تتوقف الفوضى في عهد خليفته الطفل فرناندو الرابع ، مما اضطره إلى الفرار مع أمه إلى إشبيلية ، وعندما عاد ثانية أبدى قصوراً في تسيير شؤون الدولة وساءت علاقاته مع غرناطة(1) ، ولما توفي خلفه على العرش القشتالي ولده الفونسو الحادي عشر (ت 1350م) ، فتولى الوصاية عليه الدون بيدرو والدون خوان من النبلاء(2) ، وعندما كبر الملك الطفل قام بقمع النبلاء والأشراف بالقوة ، فعاشت قشتالة أجواءً من القمع والانحلال السياسي والاجتماعي(3) .

سار بيدرو الثاني (1350–1368م) – ابن الفونسو الحادي عشر – على خطى والده في التعامل مع الأشراف والرعية على حدّ سواء ، واستعان باليهود لتحقيق ذلك(4) ، ولكنه ما لبث أن خلع عن عرشه سنة 1368م على يد الكونت هنري (ت 1379م) –أحد اخوته اللاشرعيين– فعاد للأشراف كيانهم واستقرت أحوال البلاد القشتالية(5) .

يعدّ خوان الثاني (1406–1454م) من معمري ملوك قشتالة حكماً ، إذ حكم ما يقارب نصف قرن ، حيث بدأ حياته الملكية طفلاً تحت وصاية عمه فرناندو ، وعندما كبر خاض نضالاً مريراً ضد الأشراف والنبلاء وتمكن من توطيد حكمه وساد فترة حكمه جوّ من الهدوء

---

(1) **عنان:** دولة ، ع4 ، ص171.

(2) **القلقشندي:** صبح ، ج5 ، ص268 .

انظر أيضاً:– **جوليان:** تاريخ ، ج2 ، ص288 .

(3) **عنان:** دولة ، ع4 ، ص172 .

(4) المرجع نفسه ، ص174 .

(5) **العبادي:** دراسات ، ص446 ، **عاشور:** أوروبا ، ج1، ص544 ، **غريمال:** موسوعة ، ج2 ، ص134 .

والاستقرار[1] ، وعمت الفوضى مجدداً مملكة قشتالة في عهد الملـــك هــنري الرابـــع (1454–1474م) وعجز عن الإمساك بزمام الأمور ولذلك لقب (بالعاجز)[2] .

مملكة أراجون: يعد الملك بيدرو الثاني (1196–1224م) أحد أهم ملوكها فـــي الربـــع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي ، وقد عني خلال فترة حكمـــه بتنظيـــم شـــؤون مملكتـــه ومحاربة الأشراف والملاحدة[3] ، وبعد أن قتل خلفه ابنه خايمي (1224–1274م) فتمكـــن مـــن توسيع نفوذ مملكته من خلال احتلاله لجزيرتي ميورقة ومنورقة الإســــلاميتين ســـنة 1223م ، وبلنسية سنة 1238م[4] ، ثم دانية ولقنت وشاطبة وأريولة خــــلال ســـنوات (1244–1246م) ، وعلى اثر ذلك سميّ (بالفاتح)[5] .

تبوأ بيدرو الثالث عرش أراجون من سنة (1274–1285م) ، وخــــلال عـــهده امتـــدت السلطة الاراجونية إلى صقلية وجنوبي إيطاليا (مملكة نابل) وأنحاء بروفانس جنوبي فرنســـا[6] ، ولكن ما لبثت أراجون أن تعرضت لموجة عنيفة من الثورات من جانب الأشراف والنبلاء وذلـــك بعد وفاة بيدرو الثالث وصعود الفونسو الثالث (ت 1291م) إلى ســـدة الحكـــم ، إلا أن خليفتـــه

---

(1) **عنان:** دولة ، ع4 ، ص175 .

(2) **عاشور:** أوروبا ، ج1، ص(545–546) ، **اليوسف:** العصور ، ص340 .

(3) **عنان:** دولة ، ع4 ، ص91 .

(4) **اليوسف:** العصور ، ص337 .

(5) **عنان:** دولة ، ع4 ، ص92 .

(6) المرجع نفسه، ص176 ، **عاشور:** أوروبا ، ج1 ، ص548 ، **غريمال:** موسوعة، ج2 ، ص133 .

خايمي الثاني (1291م – 1327م) استطاع إعادة الأمور الداخلية إلى نصابها وتحسين العلاقات مع فرنسا[1].

اصطدمت مملكة أراجون مرة أخرى بالخلافات والثورات من جانب النبلاء في عهد الملك بيدرو الرابع (1336– 1387م) ، إلاّ أن الملك الاراجوني استطاع سحقهم في موقعة آبلة سنة 1349م ، مما مكنه من توطيد أركان الدولة وتعزيز سلطة القانون فعمل على إشاعة الديمقراطية وعمل على استقلال القضاء عن السلطة التنفيذية[2] ، وعلى الصعيد الخارجي تمكن بيدرو الرابع من انتزاع صقلية من أيدي القشتاليين سنة 1377م[3] .

تولى الفونسو الخامس سنة 1416م حكم مملكة أراجون إلا أنه لم يحكم فعلياً سوى صقلية ونابل بينما أوعز لأخيه خوان الثاني (1416–1458م) حكم أراجون بشكل فعلي فحكمها بالحديد والنار[4] ، ومن أهم أعماله ضم جزيرة سردينيا إلى مملكته[5] ، وقيامه بتزويج ولده فرناندو بالأميرة إيزابيلا مما مهد لتوحيد قشتالة وأراجون ضمن إطار إسبانيا النصرانية المتحدة سنة 1479م فكان لذلك أثر كبير على تاريخ إسبانيا[6] .

---

(1) **عاشور**: أوروبا ، ج1، ص549 .

(2) **عنان**: دولة ، ع4 ، ص177 .

(3) **عاشور**: أوروبا ، ج1، ص550 ، **البستاني**: دائرة ، ج2 ، ص756 .

(4) **عنان**: دولة ، ع4 ، ص180 .

(5) **غريمال**: موسوعة ، ج2 ، ص134 .

(6) **عنان**: دولة ، ع4 ، ص180 ، **البستاني**: دائرة ، ج2 ، ص756 .

مملكة البرتغال: ظلت مملكة البرتغال تحتفظ بحدودها الثابتة منذ القـرن الثـالث عشـر الميلادي ورفض نبلاؤها التبعية لقشتالة[1] ، ومن أبرز ملوكها إضافة للملك المؤسس الفونسـو الأول (1112–1185م) ، الملك الفونسو الثالث (1248–1279م) الذي سار على نـهج أسـلافه فتمكن من المحافظة على الوجود السياسي للبرتغال في شبه الجزيرة الايبيرية وخاصة في ظـل الخطر القشتالي ، كما صب الكثير من اهتماماته على المسائل الحضارية[2] .

وميز عهد الملك دينيز (1279–1325م) احتفاظه بعلاقات جيدة مع قشتالة مما مكنه مـن التفرغ لإعمار البلاد وتنشيط الحركة التجارية فلقبه شعبه بالكامل[3] .

انقلبت أجواء الهدوء الذي ساد العلاقات البرتغالية القشتالية إلـى أجـواء مـن العـداء والحروب على مدار ما يقارب ثلاثون عامـاً (1357–1383م) ، إلا أن البرتغـال اسـتطاعت الخروج من هذه الأزمات في علاقاتها الخارجية مع بداية القرن الخـامس عشـر الميـلادي ، فوجهت جل طاقاتها وإمكاناتها لمحاربة المسلمين وخاصة في عهدي جون (حنا) الأول (1383–1433م) وإدوارد الأول (1433–1438م)[4] .

ففي عهد جون الأول بدأ الإعداد لحركة الكشوف الجغرافية ، على يد هـنري المـلاح (1394–1460م) الذي آمن بإمكانية الطواف حول إفريقيا والوصول إلى الهند بحراً[5] .

---

(1) **غريمال:** موسوعة ، ج2 ، ص134 . **أنظر خارطة رقم (1)** ، ص227.

(2) **عاشور:** أوروبا ، ج1، ص558 .

(3) **اليوسف:** العصور ، ص342 .

(4) المرجع نفسه .

(5) **العبادي:** دراسات ، ص455 ، **عاشور:** أوروبا ، ج1، ص558 .

ووضع الملاح خطة عسكرية بحرية بهدف الاستيلاء على سواحل إفريقيا الشمالية والوصول حتى غانة ونشر المسيحية في المناطق المحتلة ومن ثم الانطلاق نحو الشرق والسيطرة على خطوط التجارة الإسلامية[1]، فأصدر الملك البرتغالي جون الأول مرسوماً يقضي بمنح أكبر وسام في بلاده (وسام السيد الأعظم) لكل قائد برتغالي يتمكن من احتلال أي أرض إسلامية[2] .

ففي سنة 1415م/818هـ تحرك الأسطول البرتغالي من ميناء لشبونة وقام باحتلال مدينة سبتة المغربية[3] ، دون أن يستطيع السلطان المريني أبو سعيد عثمان (800-823هـ/1398-1420م) من الدفاع عنها[4] ، وفرَّ حاكمها المغربي صلاح بن صلاح وحلَّ محله بيدرو منسيس البرتغالي حاكماً عليها[5] ، ونظراً لجسامة هذا الحدث فقد قال الضابط البرتغالي فاسكودي كرافللو بعد سقوط سبتة: " إن هذا الحدث العظيم أجدر أن يعتبر بداية للعصور الحديثة من أن يتخذ سقوط القسطنطينية في يد المسلمين سنة 1453م بداية لها "[6] ، ولم يكتف البرتغاليون بالاستيلاء على سبتة فوجهوا أنظارهم نحو طنجة التي كانت تعيش مع باقي مدن المغرب الأقصى ظروفاً حرجة تحت حكم حجاب وزراء الدولة ، إلاّ أنها استعصت

---

(1) **الجمل:** المغرب ، ص43 .

(2) **الجمل:** المغرب ، ص42.

(3) **الناصري:** الاستقصا ، ج4 ، ص93 .

أنظر أيضاً:- **القنيمي:** موسوعة ، ج5 ، ص242 ، **أبو ضيف:** أثر ، ص178 .

(4) **الجمل:** المغرب ، ص44 .

(5) **العبادي:** دراسات ، ص456 .

(6) **الجمل:** المغرب ، ص44 .

على الغزاة وتمكن المدافعون عنها من أسر الأمير فرناندو شقيق ملك البرتغال فمات فـــي فـــاس سنة 1443م[1] .

وفي عهد الملك البرتغالي الفونسو الخامس الذي اعتلى العرش سنة 1438م تم احتـــلال مدينة القصر الصغير (قصر المجاز) الواقعة بين سبتة وطنجة[2] ، وهوجمت مدينة أنفــا ســنة 1469م وتم الاستيلاء عليها ، ولم تأتِ نهاية سنة 1471م إلا وكانت أصيلا والعرائش وطنجـــة تحت السيطرة البرتغالية ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح حاكم البرتغال يلقب بملك البرتغال والأقـــاليم البرتغالية فيما وراء البحار[3] ، خاصة وأن الأساطيل البرتغاليــة كــانت قــد وصلــت حتــى سيراليون[4] .

---

(1) **الوزان:** وصف ، ج1 ، ص(314-315) .

الجمل: المغرب ، ص44 .

(2) **الناصري:** الاستقصا ، ج4 ، ص(96-97) .

(3) **الجمل:** المغرب ، ص49 .

(4) **غريمال:** موسوعة ، ج2 ، ص135 .

2- سياسة دولة بني مرين تجاه الممالك النصرانية في إسبانيا خلال عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (656-685هـ/1258-1286م) .

ملأت دولة بني مرين في نظر كل من الأندلسيين ونصارى إسبانيا الفراغ الذي تركته دولتي المرابطين والموحدين، وأدت الدور نفسه الذي لعبته الدولتان السابقتان في ميدان السياسة والحرب وذلك من خلال رفعها لواء الجهاد ضد الممالك النصرانية في إسبانيا، وذلك بهدف:

أولاً: المحافظة على الوجود الإسلامي في الأندلس من خلال الوقوف في وجهه حركة الاسترداد الإسباني التي سعت إلى إنهاء هذا الوجود.

ثانياً: الدفاع عن النفوذ الإقليمي للدولة المرينية على أراضيها وفي حوض البحر المتوسط .

وقد تمثلت حركة الجهاد المريني ضد الممالك النصرانية الإسبانية بسلسلة من المعارك والحروب والإجراءات العسكرية ، رافقها عقد العديد من اتفاقات الصلح والهدن على مدار أكثر من تسعة عقود من الزمن (668-759هـ/1269-1358م) بوتيرة ارتبطت في معظم الأحيان بالأوضاع الداخلية للدولة المرينية ، ولعل ذلك ما ميّز المرينيين عن معاصريهم بني حفص وبني زيان الذين اقتصر جهادهم في معظم الأحيان على العون المادي فقط كقيام أبو حمو موسى الزياني سنة 763هـ/1362م بإرسال كميات كبيرة من الحبوب وثلاثة آلاف دينار مساعدة لأهل الأندلس[1] .

---

(1) ابن خلدون، يحيى: بغية ، ج2، ص114.

ومنذ سنة 759هـ/1358م حتى نهاية دولة بني مرين سنة 869هـ/1465م أخذت العلاقة مع الممالك النصرانية شكلاً آخر اتسمت بالهدوء أحياناً والتدخل في الشؤون الداخلية أحياناً أخرى، ورافقها أيضاً إبرام العديد من الاتفاقات المشتركة على أكثر من صعيد.

– استؤنف الجهاد الحقيقي والفاعل فور عودة السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق من فتح سجلماسة إثر استغاثة الملك الغرناطي محمد الفقيه بن الأحمر به سنة 672هـ/1273م[1] ، وسبق ذلك محاولات مرينية لممارسة فريضة الجهاد قبل قيام دولتهم، ففي سنة 643هـ/1245م هاجم النصارى الإسبان إشبيلية وحينها قرر الأمير يعقوب بن عبد الحق العبور إلى الأندلس للمشاركة في الدفاع عنها ، إلا أن الشيخ الصالح يعقوب بن هارون زجره عن ذلك ونصحه بعدم الجواز حتى تفتح مراكش وتقام الدولة[2].

وفي سنة 660هـ/1262م[3] انطلق مجاهدو بني مرين والمتطوعة منهم من أهل المغرب إلى الأندلس بقيادة محمد بن إدريس بن عبد الحق وأخوه الفارس عامر بن إدريس في جيش مكوّن من ثلاثة آلاف فارس وراجل ، مجهزين من قبل الأمير يعقوب بن عبد الحق بالخيل والسلاح والعدة ، بعد أن كتب إلى الفقيه أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله العزفي *[4]

---

(1) الغنيمي: كيف ، ص344.

(2) ابن خلدون: العبر، ج7، ص191.

(3) المصدر نفسه، ص179، ابن أبي زرع: الأنيس، ص303 يذكر سنة 661هـ ، وفي الذخيرة: ص99 ، يذكر سنة 662هـ.

*(4) عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي طالب العزفي اللخمي، من المشتغلين بالحديث من أهل المغرب، أصله من سبتة، الزركلي: الأعلام، ج3، ص313.

(ت 717هـ/1317م) صاحب سبتة للعمل على إجازتهم[1] ، وقد عُدَّ ذلك أول جيش مريني يعبر الأندلس[2] ، واستطاع الفارس عامر بن إدريس خلال هذا العبور انتزاع مدينة شريش من يد الإسبان لمدة قصيرة فشكل ذلك بارقة أمل لدى كل من المغاربة والغرناطيين[3] .

بيد أن الطبيعة العدائية التي طغت على سياسة بني مرين تجاه الممالك النصرانية، لم تمنع السلطان يعقوب بن عبد الحق من استقبال قادة النصارى كلاجئين سياسيين إلى بلاطه، بل كان يرى في ذلك مصلحة إسلامية بحتة ، تصب في خدمة الجهاد المريني ضد النصارى الإسبان، وذلك عندما استقبل سنة 669هـ/1270م جماعة من نبلاء قشتالة وعلى رأسهم الإنفانت فيليب حينما ثار على أخيه الفونسو العاشر[4].

وضمن إطار جهود السلطان يعقوب بن عبد الحق في توطيد أركان حكمه وإحكام سيطرته على الأراضي المرينية والدفاع عن حدودها الإقليمية ، فقد وجد نفسه مضطراً في الرابع من شوال سنة 670هـ/أيار 1272م لاسترداد مدينة سلا من أيدي القشتاليين الذين اجتاحوها بأسطولهم فسيطروا عليها وقتلوا العديد من رجالها، ولم يخرجوا منها إلاّ بعد أن حاصرتهم القوات المرينية أربعة عشر يوماً ، وبعد فتحها قام السلطان يعقوب بتحصينها وبناء السور الغربي الذي نفذ منه الإسبان[5] .

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص303 ، **ابن خلدون**: العبر، ج4، ص171 ، **المقري**: نفح ، ج1، ص423.

أنظر أيضا: **زمامة**: أبو الوليد، ص61.

(2) **ابن خلدون**: العبر، ج7 ، ص179.

(3) المصدر نفسه، ج4 ، ص172.

(4) **عنان**: دولة ، ع4، ص81.

(5) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص301 ، **الوزان**: وصف ، ج1، ص208.

أنظر أيضاً:- **جوليان**: تاريخ، ج2، ص216.

نشط أثناء ذلك ملك قشتالة الفونسو العاشر الملقب بالحكيم أو العالم في محاربة المسلمين على غرار ما كان يقوم به والده فرناندو الثالث[1] ، فوصل أول نداء استغاثة من الملك الغرناطي محمد الشيخ المؤسس سنة 670هـ/1271م في الوقت الذي كان فيه السلطان يوسف في طريقه لغزو تلمسان ، فأشار عليه شيوخ القبائل وقادة الجند بمصالحة يغمراسن بن زيان ملك تلمسان ، إلاّ أن الأخير رفض ذلك فاضطر السلطان المريني إلى مقاتلته وهزيمته على مقربة من وجدة في رجب من سنة 670هـ/شباط 1272م[2] .

ظل محمد الفقيه بن الأحمر وبنو اشقيلولة في الأندلس يراسلون السلطان يعقوب ويدعونه لطرفهم فوعدهم بإنجادهم[3] ، فخرج من فاس في رمضان سنة 673هـ/شباط 1275م حتى وصل مدينة طنجة، ومن أجل تأمين حدود بلاده الشرقية عقد الصلح مع دولة تلمسان[4] ، وكتب من طنجة إلى أبى القاسم العزفي صاحب سبتة يأمره بعمارة الأجفان وتجهيز السفن ، وعقد لولده الأمير أبى زيان منديل*[5] (ت 697هـ/1297م) على خمسة آلاف فارس من مرين وقبائل المغرب وعبروا من قصر المجاز (مصمودة) إلى الأندلس ، وكان نزولهم بطريف في ذي الحجة سنة 673هـ/أيار 1275م ، ومن ثم سار الجيش الإسلامي إلى الجزيرة الخضراء

---

(1) **ابن خلدون:** العبر، ج4، ص172 ، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص38.

(2) **ابن أبي زرع:** الذخيرة، ص129 ، **الناصري:** الاستقصا، ج3 ، ص32.

(3) للاطلاع على نص هذه الكتب والرسائل المتبادلة ، انظر ابن **أبي زرع:** الذخيرة، ص(141-143).

(4) **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص39.

*(5) **أبو زيان منديل:-** أنظر سيرته لدى ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص(276-278).

حتـى شـريش وهـو يقتـل ويسـبي ويخـرب زروع الإسـبان دون مقاومـة ، مما شكل مصدر فرح وسرور وارتفاع عزيمة لدى الأندلسيين[1] .

شكلت نتائج الحملة العسكرية التي قادها الأمير أبو زيان حافزاً للسلطان المريني أبـي يوسف يعقوب للعبور بنفسه في صفر من سنة 674هـ/تموز 1275م إلـى ميـدان الجـهاد الأندلسي ، مستفيداً من أجواء الاستقرار في المغرب ومستغلاً قدرات القبائل العربيـة كسـفيان والخلط والعاصم وبنو جابر وجشم والأثبج وحسان وريـاح[2] ، ووصـف صـاحب الذخـيرة الأوضاع في الأندلس آنذاك بقوله: "وكانت الروم قبل جوازه إلى الأندلس تستطيل على المسـلمين وملكوا قواعد الأندلس وأكثر مدنها " [3] .

وبعد وصول السلطان يعقوب إلى الأندلس توغل في الأراضي القشتالية حتى بلـغ نـهر الوادي الكبير، وعقد هناك لولده الأمير يوسف على قوة عسكرية قوامها خمسة آلاف فـارس[4] ، فسيطر على بسائط الفرنتيرة جنوب غرب مملكة غرناطة وأراضي نهر الوادي الكبير، وعـاث فيها ووصل إلى حصن المدور من أحواز قرطبة، وامتلأت أيدي المرينيين بالغنائم والأسرى[5] .

---

(1) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص(143-144)، **الأنيس**: ص(313-314) ، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(38-39).

أنظر أيضاً:- **أبو ضيف**: أثر ، ص168. **جوليان**: تاريخ، ج2، ص219.

(2) **الغنيمي**: كيف ، ص346.

(3) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص(90-91).

(4) المصدر نفسه، ص146، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص193.

(5) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص40.

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4 ، ص(99-100).

ومع اقتراب الجيش المريني من مدينة أستجة علم السلطان يعقوب أن القشتاليين جمعـــوا له جيشاً مكوناً من تسعين ألف مقاتل بقيادة الدون نونيو دي لارا صهر الملك القشتالي[1] والـــذي عادة ما تسميه الرواية الإسلامية دونونة أو ذننه[2] .

استشعر المرينيون بالخطر الداهم، فعقد مجلسهم الحربي المكوّن من أشياخ بني مريـــن وزعماء القبائل وقادة الجيش اجتماعاً تشاورياً طارئاً لمواجهة القائد العســـكري القشـــتالي الـــذي عرف عنه شدة الوطأة على المسلمين حتى قيل أنه لم يهزم في معركة قط[3] ، وعند ذلك اتخـــذ المرينيون مجموعة من الإجراءات العسكرية تقضي بوضع كافة الأسرى والغنائم داخل منـــاطق الخطوط الخلفية عند مدينة أستجة حتى لا تقع في قبضة النصارى أو تعيق حركـــة الجيـــش[4] ، وعقد السلطان يعقوب لولده الأمير يوسف على مقدمة الجيش وخطب في الجنـــد وحثـــهم علـــى القتال[5] ، وتقدم الجيش المريني وبرفقته بني أشقيلولة وأعداد من الجيش الأندلســـي النظـــامي ، فالتقى الجيشان المريني والقشتالي وتلاحما بالقرب من أستجة في الخامس عشر مـــن ربيـــع أول

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص316.

أنظر أيضا:- **الحجي**: التاريخ ، ص537.

(2) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص(148-156).

عنان: دولة ، ع4، ص100.

(3) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص148. الأنيس، ص316.

(4) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(40-41).

أنظر أيضا:- **عنان**: دولة ، ع4 ، ص100.

(5) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص149

أنظر أيضا:- **الحجي**: التاريخ ، ص537.

سنة 674هـ/آب 1275م[1] ، وهزم الجيش القشتالي وقتل قائده دون نونيو دي لارا[2] إضافة إلى ثمانية عشر ألفاً من فرسانه وجنده ، وبالمقابل خسر المرينيون اثنين وثلاثين شهيداً فقط[3] ، وهي أرقام متواضعة ترددها الروايات الإسلامية إذا ما قورنت بضخامة الحدث وخطورته.

عاد السلطان يعقوب بعد ذلك إلى الجزيرة الخضراء متقلاً بالغنائم والأسرى والسبي فدخلها في الخامس والعشرين من ربيع أول سنة 674هـ/آب 1275م في احتفال عظيم أعاد إلى أذهان الأندلسيين والمغاربة ذكريات انتصارات الارك والزلاقة سنة 479هـ/1086م[4]، وكتب أبو يوسف إلى بلاد العدوة رسائل شرح فيها ظروف هذه الغزوة ونتائجها فقرئت على المنابر[5]، ومن جانبه أرسل الفقيه أبو القاسم العزفي كتاباً إلى يغمراسن بن زيان التلمساني اخبره فيه بظروف المعركة ونتائجها الباهرة[6] .

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص318 .

أنظر أيضاً:- **زبيب**: الموسوعة، ج3، ص62 ، **أبو ضيف**: أثر ، ص(168-169).

(2) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص193، **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص57 .

(3) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص318 ، **الناصري**: الاستقصا، ج3 ، ص(40-41).

(4) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص318 ، لمعرفة تفاصيل أحداث **الزلاقة** أنظر:- **ابن خلدون**: العبر، ج6، ص(186-187)، **الحميري**: الروض ، ص(287-293) . وهذه المعركة وقعت في بطحاء الزلاقة من إقليم بطليوس غرب الأندلس، **الحميري**: الروض ، ص287،

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة، ع4، ص100، **حسن**: تاريخ، ج4، ص(119-122)، **أشباخ**: تاريخ ، ج1، ص(82-92).

(5) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص151.

(6) أنظر رسالة العزفي إلى يغمراسن بن زيان لدى **القبتوري**: رسائل، ص(54-63).

وفي جمادى الأولى من سنة 674هـ/تشرين أول 1275م عاد السلطان يعقوب ليقوم بغزوته الثانية انطلاقاً من الجزيرة الخضراء[1] ، وسار حتى وصل إشبيلية حاضرة القشتاليين " ودار ملكهم ومجمع زعماء مملكتهم الذين يتعاورون الحل والعقد "[2] ، ونزل في مكان قريب منها يعرف بماء المفروش[3] ، وأخذ يشن الغارات في أحوازها في حين تحصن أهلها داخل الأسوار[4] ، ثم سار حتى وصل إلى شريش وفعل بها الشيء ذاته لمدة ثلاثة أيام حتى خرج إليه زعماؤها ورهبانها وطالبوه بالصلح فأجيبوا إليه، وعاد السلطان قافلاً إلى الجزيرة الخضراء فقسم الغنائم على المقاتلة، وعندما دخل فصل الشتاء مكث في محلته في وادي النساء هناك[5] ومن ثم قرر العودة إلى بلاد المغرب فوصل قصر المجاز في آخر رجب من سنة 674هـ/كانون أول 1275م بعد أن ترك في الجزيرة الخضراء ثلاثة آلاف فارس من بني مرين[6] .

واستمرارا لنهج السلطان يعقوب الجهادي قرر الجواز إلى الأندلس للمرة الثانية فوصل قصر المجاز في محرم من سنة 676هـ/حزيران 1277م[7] ، وتلاحق به الجند من مرين

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص319 ، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص42 .

(2) **القبتوري**: رسائل، ص5.

(3) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص158 ، الأنيس، ص321 .

(4) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص42.

(5) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص321، الذخيرة، 159 .

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4، ص101 ، **الحجي**: التاريخ ، ص538.

(6) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص194 .

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4، ص101 ، **الغنيمي**: كيف ، 347 ، **الحجي**: التاريخ ، ص538 .

(7) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص45.

وقبائل المغرب من المصامدة وصنهاجة وأوربة وغمارة ومكناسة وغيرها[1] ، ولم يقتصر عمل القبائل العربية على العمليات القتالية وما يصدر لها من أوامر عسكرية، بل شارك شيوخها كمستشارين في المجلس الحربي للسلطان المريني[2] .

وعندما تكاملت الحشود عبر السلطان البحر إلى الأندلس فنزل بساحل طريف في الثامن والعشرين من المحرم من سنة 676هـ/حزيران 1277م[3] ، وارتحل إلى الجزيرة الخضراء فأقام بها أياماً ثم ارتحل عنها إلى رندة فنزل بخارجها، وهناك توافدت إليه القوات التابعة لبني أشقيلولة وسار الجيش الإسلامي حتى وصل بالقرب من إشبيلية فخرج الفونسو العاشر (1252-1284م) بقواته فاصطف بها على ضفة الوادي الكبير[4] ، فتقدم الجيش الإسلامي المكون من ألف فارس مما اضطر القشتاليين للهروب مندفعين باتجاه الوادي الكبير ، فسقط في النهر عدد كبير منهم قتيلاً فصار لون الماء أحمراً [5].

وفي الوقت الذي تحصن أهل إشبيلية داخل الأسوار كان الجيش الإسلامي يحطم أملاك الإسبان، وقيل أن السلطان المريني قطع الأشجار بنفسه ليقتدي به غيره ، كما قام باستعراض قواته أمام إشبيلية على ضوء الحرائق المشتعلة[6] .

---

(1) **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص323.

(2) **أبو ضيف:** أثر ، ص169.

(3) **ابن الخطيب:** اللمحة ، ص57.

(4) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص196.

(5) **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص(324-325)، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص(45-46)، **القبتوري:** رسائل، ص61.

(6) **جوليان:** تاريخ ، ج2 ، ص(221-222).

وقد يتبادر إلى الذهن هنا عدم اقتداء السلطان المريني والتزامه بالوصايا الإسلامية في الحروب ومن ضمنها وصايا الرسول عليه السلام وخلفائه من بعده ، حيث قال عليه السلام: " من انتهب نهبة فليس منا " ، وقول أبي بكر رضي الله عنه: "ولا تقطعوا شجرة مثمرة "[1] ، ولكن خلال الحروب التي سادت العصور الوسطى لم يكن ليتم الالتزام بهذه القواعد الأدبية والأخلاقية، خاصة أن الحرب هي جزء من السياسة.

وارتحل الجيش الإسلامي بعد ذلك إلى جبل الشرف *[2] فبث السرايا في نواحيه ودخل حصن قطنيانة وجليانة والقليعة الواقعة في المنطقة نفسها[3] .

وفي الخامس والعشرين من ربيع الآخر/أيلول من السنة ذاتها اتجه السلطان يعقوب إلى شريش مُثخناً في أحوازها، في حين سرح ولده الأمير يوسف مع ثلاثة آلاف فارس للإغارة على حصون إشبيلية وحصون الوادي الكبير كشلوقة *[4] وروطة*[5] وغليانة*[6] ، ثم قفل راجعاً إلى الجزيرة الخضراء [7] .

---

[1] **الرفاعي:** الإسلام، ص181.

*[2] **جبل الشرف:**– نسبة إلى إقليم الشرف الواقع بين إشبيلية ولبله والمحيط الأطلسي، **الإدريسي:** نزهة، ج2، ص537.

[3] **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص325 ، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص46. لمعرفة مواقع حصني **القليعة وقطنيانة** ، أنظر **الإدريسي:** نزهة ، ج2، ص561، أما **جليانة** انظر **الحموي:** معجم ، ج3، ص71.

*[4] **شلوقة:**– أحد حصون الوادي الكبير بالقرب من سرقسطة ، **الحموي:** معجم ، ج5، ص152.

*[5] **روطة:**– أحد حصون سرقسطة ، **الحموي:** معجم ، ج6، ص442.

*[6] **غليانة:**– من أعمال سرقسطة شرقي نهر جرامي على بعد ميل ونصف منه، **الإدريسي:** نزهة، ج2 ، ص(617–618).

[7] **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص196.

شعر السلطان يعقوب بعد هذه الغارات أن طاقات الإسبان قد استنزفت ، فوجه قادة الجند إلى غزو قرطبة ومحاصرة أهلها اقتصادياً وقطع المؤونة عنها لدفعها للاستسلام[1] ، ومن أجل استنهاض كافة القوى لتحقيق هذا الهدف ، دعا السلطان المريني نظيره الغرناطي محمد الفقيه للاشتراك معه في هذه الغزوة مرغباً إياه بقوله: " إن خروجك معي إلى قرطبة يكون لك مهابة في قلوب الفرنج ما عشت سوى ما تستوجبه من الله تعالى من الثواب في ذلك " [2] .

خرج السلطان يعقوب من الجزيرة الخضراء في الفاتح من جمادى الأولى نهاية شهر أيلول من السنة المذكورة ، ووافاه ابن الأحمر في موضع يقال له خمار الورد بناحية شذونة*[3][4]، واستولت القوات الإسلامية المشتركة عنوة على حصن بني بشير ، وأرسل السلطان المريني السرايا إلى سهول قرطبة وحاصروا المدينة نفسها، وأوكل إلى المعسكر الغرناطي حراسة محلة المسلمين، ودخل الجيش الإسلامي حصون بركونة وأرجونة *[5] ومدينة جيان القشتالية[6] ، مما اضطر الفونسو العاشر إلى طلب الصلح من السلطان يعقوب فأوكل

---

(1) **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص(325-326).

(2) **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص47 ، **الفرنج:** مصطلح أطلق على النصارى من الرومان والإسبان والفرنسيين الذين حاربوا المسلمين وخاصة خلال الفترة الصليبية ، **البستاني:** دائرة ، ج9 ، ص49 .

*(3) **شذونة:**- مدينة من أعمال إشبيلية في الجنوب الغربي من الأندلس ، **الحموي:** معجم ، ج5، ص130.

(4) **ابن خلدون:** العبر، ج7، 196، **الناصري:** الاستقصا ، ج3، ص47 .

*(5) **بركونة وأرجونة:**- قلاع بالأندلس في ناحية جيان، **الحموي:** معجم ، ج1، ص121، **الحميري:** الروض، ص26.

(6) **ابن خلدون:** العبر، ج7، 196 ، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص47.

الأخير مهمة إتمامه إلى سلطان غرناطة في رمضان سنة 676هـ/كانون ثاني 1278م ، وقد عاد السلطان المريني إلى المغرب فوصلها في محرم من سنة 677هـ/أيار 1278م[1] .

وفي الثالث من شوال سنة 677هـ/شباط 1278م نزل السلطان يعقوب بجيشه في قرية مكول*[2] من أعمال مراكش بهدف التوجه شمالاً والعبور نحو الأندلس، إلا إن شدة الأمطار إضافة إلى ظروف داخلية تمثلت في ثورة مسعود بن كانون السفياني في بلاد نفيس من أحواز مراكش قد منعته من مواصلة التقدم ، وفي بداية سنة 678هـ/1279م تحرك الأمير يوسف بن يعقوب إلى طنجة وأمر بعمارة الأسطول في سبتة وطنجة وبادس وسلا[3] ، وأعلن حالة الاستنفار القصوى فجهز السبتيون خمسة وأربعين أسطولاً، وأعدوا أنفسهم للجهاد ولم يبق بسبتة سوى النساء والشيوخ والصبيان[4] ، وأقلعت الأساطيل من طنجة حتى وصلت جبل الفتح فتلاحمت مع أساطيل قشتالة وأراجون البالغة أربعمائة قطعة، وهُزم الأسطول النصراني وأسر قائده[5] .

استغل السلطان يعقوب بن عبد الحق كافة الظروف والعوامل لدعم حركة الجهاد في الأندلس ضد الممالك النصرانية، ووظف الخلافات الداخلية القشتالية خدمة لهذا الهدف ،

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص(327-328) ، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص(196-197).

*(2) **مكول**: قرية تقع في منطقة سهلية ضمن أعمال مراكش، ويتصل بها فحص يدعى فحص خراز، **الإدريسي**: نزهة ، ج1، ص238.

(3) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص(329-330).

انظر أيضاً:- **أبو ضيف**: أثر ، ص170.

(4) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(51-52).

(5) للإطلاع على كافة التفاصيل انظر، ابن أبي زرع: الأنيس، ص(331-334).

وانطلاقاً من ذلك وافق السلطان يعقوب على مناصرة ملك قشتالة الفونسو العاشر ضد ولده سانشو (ت 1296م) الثائر عليه ، فعبر في قواته وأساطيله البحر في ربيع الأول من سنة 681هـ/1282م[1] ، وعند وصوله الأندلس وفد عليه الملك القشتالي بصخرة عباد على مقربة من رندة[2] ، وقدم إليه تاجه الملكي رهناً " فلم يزل بدار بني عبد الحق لهذا العهد "، وأمدّه السلطان المريني بالمال اللازم لمواجهة ابنه المتمرد[3] .

انتهز السلطان يعقوب فرصة وجوده على الأراضي الأندلسية ، فتوغل في الأراضي القشتالية وحاصر قرطبة ، وكان بها سانشو ثم تقدم حتى وصل إلى حصن مجريط *[4] ومن ثم عاد إلى المغرب[5] ، وتجدر الإشارة هنا أن الحرب الأهلية قد استمرت في قشتالة حتى وفاة الملك القشتالي الفونسو العاشر سنة 683هـ/1284م وصعود ولده سانشو إلى سده الحكم ، فكان لوفاته وقع عميق في نفوس كل من الغرناطيين والمغاربة ، إذ توالت على بلاط قشتالة كتب التعزية بهذا المصاب[6] .

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس ، ص(337-338) ، **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص56 ، **القلقشندي**: صبح ، ج5، ص268.

(2) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص205

أنظر أيضاً:- **الحجي**: التاريخ ، ص539

(3) **ابن خلدون**: العبر ، ج4، ص183.

*(4) **مجريط**:- حصن يقع على مقربة من طليطلة في إقليم الشارات ببلاد الأندلس ، **الإدريسي**: نزهة ، ج2، ص538 ، ومجريط هو الاسم الذي أطلقه العرب على مدريد وسط إسبانيا ، **خوند**: الموسوعة، ج2، ص312 .

(5) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(55-56) .

أنظر أيضاً:- **التواتي**: مأساة، ص415 ، **عنان**: دولة ، ع4 ، ص105 .

(6) **عنان**: دولة ، ع4، ص105.

تهيأت منذ عودة السلطان يعقوب عبد الحق من عبوره الثالث إلى الأندلس وحتى سنة 684هـ/1285م الظروف الداخلية والخارجية للعبور لمقارعة الإسبان على الأراضي الأندلسية للمرة الرابعة، فنزل بطريف في صفر سنة 684هـ/نيسان 1285م ومن ثم اتجه بجيشه نحو وادي لكة*[1] ، ومن هناك قام ببث السرايا في كل الاتجاهات، وفي العشرين من صفر/نيسان نازل شريش وأفسد زروعها وقطائعها[2] ، ويلاحظ هنا من خلال الوقائع العسكرية على الأرض تركيز المرينيين على الحرب الاقتصادية كوسيلة للضغط على الطرف المعادي ، وقد استخدم الأيوبيون –على سبيل المثال–هذا الأسلوب في معظم حروبهم ومعاركهم ضد الصليبيين ، كما حدث في معركة بيت الأحزان سنة 575هـ/1179م ، حيث قام الجيش الأيوبي بقطع كروم ضياع صفد وحصاد غلاتها بهدف صناعة الآلات العسكرية الخاصة بدك الأسوار[3] .

توافد الجند من الثغور المغربية إلى الأندلس تعزيزاً للقوات المرينية فيها، وكان على رأسهم حفيد السلطان المريني الأمير عمر بن عبد الواحد الذي تزعم قوات من فرسان المغرب ومجاهديها، في حين ساهم أبناء العزفي أصحاب سبتة بخمسمائة من فرسانهم[4] .

وفي الخامس والعشرين من صفر/نيسان هاجم القائد عياد العاصمي حصن شالوقة ، وتلا ذلك اتخاذ إجراءات عسكرية تتمثل في تأمين خطوط الإمداد البحرية من بر العدوة إلى

---

*[1] **وادي لكة:**– موضع من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الأندلس الجنوبي ، وعنده كانت هزيمة لونريق ملك القوط على يد طارق بن زياد سنة 92هـ/710م، **الحميري:** الروض ، ص(605–606).

[2] **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص341 ، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص207 .

[3] **بيت الأحزان:** حصن منيع من بناء الصليبيين بالقرب من بانياس ، وتعرف أيضاً **بمخاضة الأحزان** ، **ابن الأثير:** الكامل ، ج11 ، ص(455–456) ، **حسين:** الجيش ، ص387 .

[4] **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص207.

الأندلس، والقيام بجولات استطلاعية على بعض الحصون القشتالية كالقناطر وروطـــة، ورافــق ذلك القيام بحصاد زروع بسائط شريش وإشبيلية ومصادرة حيواناتها المتواجدة بالسهول[1] .

وابتداءً من أواخر صفر/أيار عقد السلطان لحفيده الأمير منصور بن عبد الواحــد علــى جيش مكون من ألف فارس من مرين والقبائل بهدف مهاجمة إشبيلية واستدراج جيشها للتعـــامل معه[2]، وحدثت معركة بين الطرفين المريني والقشتالي فكانت الغلبة للجيش الإسلامي الذي ســار باتجاه قرمونة*[3] فعاث فيها ، ثم غزا مدينة استجة وقلعة جابر ومرشانة*[4] ، واســـتمر ذلــك حتى ربيع أول من سنة 684هـ/حزيران 1285م[5] .

عاد الجيش المريني بقيادة الأمير يوسف بن يعقوب في عشرين ألــف مقــاتل لمهاجمـــة إشبيلية من جديد فوصل إلى محيطها وأباد كل ما صادفه وعاد إلى السلطان وهو على حصـــاره لشريش[6] .

وابتداءً من ربيع الثاني/حزيران حتى رمضان /نهاية تشرين أول من السنة المذكـــورة ، هــاجم الأمـــير أبـــو زيـــان بـــن الســـلطان يعقـــوب منطقـــــة الـــــوادي الكبـــــير فـــــي جيش مكون من خمسة آلاف من بني جابر أهل تادلا بقيـــادة كبـــيرهم يوســـف بـــن قيطـــون،

---

(1) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص342.

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4، ص106.

(2) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص59.

*(3) **قرمونة**:- مدينة في الأندلس تقع ضمن أقليم شذونة وهي على بعد خمس وأربعون ميلاً من استجة وثلاث مراحل من شريش ، **الإدريسي**: نزهة ، ج2، ص(537-572).

*(4) **مرشانة**:- مدينة من أعمال قرمونة ، **الحموي**: معجم ، ج8، ص249.

(5) **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص207.

(6) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص(350-351).

وتم اقتحام جزيرة كبتور وفك الحصار عن شريش بسبب دخول فصل الشتاء*[1][2] ، ولما رأى الملك القشتالي سانشو أن لا قِبَلَ له بتلك الجيوش الإسلامية جنح إلى السلم فوافق السلطان على ذلك بشروط[3] .

انتهت العمليات العسكرية خلال هذه المرحلة وعمل السلطان المريني على ترتيب وضع الثغور وتنظيم المسالح والأجناد قبل العودة إلى المغرب، فعقد لولده أبا زيان على الثغور الحدودية مع بني الأحمر ، وأنزله بحصن ذكوان قرب مالقة وعقد لعياد العاصمي على مسلحة أخرى وأنزله بأسطبونة[4] ، وعقد لأخيه أبا عطية العباس بن يعقوب على الثغور الغربية وجعل للشيخ على بن يزكاتن قيادة الجند فيها ، وأبقى في الأندلس ثلاثة آلاف مقاتل[5] ، خاتماً بذلك آخر فصل من فصول مسيرته الجهادية ، ليتوفاه الله في آخر المحرم من سنة 685هـ/شباط 1286م[6] .

---

*[1] كانت العمليات الحربية في العصور الوسطى تتقلص في فصل الشتاء لتقتصر على المناوشات القصيرة ووضع الكمائن وإرسال فرق الاستطلاع، وكان القادة العسكريون يستغلون فصل الصيف بشكل خاص للقيام بعملياتهم كما حدث في حطين سنة 583هـ/1187م ، وقد ساعدت الأحوال الجوية السائدة حينذاك إلى انتصار الجيش الأيوبي، **حسين:** الجيش، ص218.

[2] **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص62.

[3] **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص(208-209).

أنظر أيضاً:- **الغنيمي:** كيف ، ص353.

[4] **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص210.

[5] **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص(66-67).

[6] **ابن الأحمر:** روضة ، ص18.

تمخضت العمليات العسكرية خلال عبور السلطان الرابع إلى الأندلس عن نتائج كبيرة ، وخاصة الخسائر الجسيمة التي تكبدها القشتاليون والنصارى في مناطق وأحواز إشبيلية وشريش، الأمر الذي دفع ملك قشتالة سانشو بن الفونسو العاشر إلى الجنوح نحو السلم ، فبعث إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق وفداً نصرانياً لهذا الغرض تشكل معظمه من الرهبان والقساوسة ، نظراً ما لهؤلاء من احترام لدى المسلمين[1].

حاول الجانب المريني ابتزاز الوفد النصراني لتحقيق أكبر قدر من المكاسب على الأرض وتمخض اللقاء عن الاتفاق على أن يلتزم الجانب النصراني بعدم الاعتداء على الأراضي الخاضعة للسيطرة الإسلامية، وأن لا يتدخل في الشؤون الداخلية في كل من غرناطة وفاس، وأن يحافظ على حرية الملاحة للسفن الإسلامية، وأن يضمن حرية التجارة الإسلامية في البلاد الواقعة تحت السيطرة النصرانية وإعفائها من الضرائب والمكوس ، وأن يكون الملك القشتالي تحت إمرة سلطان المغرب، وأن يعيد القشتاليون الكتب والمخطوطات التي كان النصارى قد غنموها من المسلمين في المعارك السابقة[2] .

وإمعاناً في التوكيد سار وفد إسلامي برئاسة عبد الحق الترجمان إلى إشبيلية للقاء سانشو للمصادقة على هذه البنود، وطالبه بقطع كافة العلاقات الدبلوماسية مع غرناطة، فلاقى ذلك موافقة فورية من جانب الملك القشتالي الذي رغب أيضاً في لقاء السلطان يعقوب ، فتم اللقاء

---

(1) **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص62.

(2) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص359 .

أنظر أيضاً:- **جوليان**: تاريخ، ج2، ص223، زبيب: الموسوعة، ج3، ص(65-66)، **الغنيمي**: موسوعة، ج5، ص231.

أولاً مع الأمير يوسف بن يعقوب على بعد عدة أميال من مدينة شـريش، وتخلـل هـذا اللقـاء احتفالات بروتوكولية من خلال عروض الخيالة ولعب بالسلاح اشترك فيها كلا الزعيمين[1].

وفي اليوم العشرين من شعبان سنة 684هـ/بداية تشرين أول 1285م اجتمع السـلطان المريني مع سانشو في حصن عين الصخرة على مقربة من وادي لكة وقاما بـإقرار وتوكيـد شروط الصلح بين الطرفين وتبادلا الهدايا التذكارية[2] .

وتنفيذاً لهذا الاتفاق قام سانشو برد جميع الكتب والمصاحف والمخطوطـات الإسـلامية التي استولت عليها قواته إلى الجانب المريني ، وبلغت ثلاثة عشر حملاً من ضمنها كتـب فـي التفسير لابن عطية الثعالبي، وكتب في الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار ، وفي الأصـول والفروع واللغة والأدب وغيرهما[3] .

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس، ص362.

(2) الناصري: الاستقصا، ج3، ص(62-63).

(3) المصدر نفسه، ص64.

3- سياسة دولة بني مرين تجاه الممالك النصرانية في إسبانيا خلال الفترة ما بين (685-759هـ/1286-1358م) .

بعد وفاة السلطان يعقوب سنة 685هـ/1286م جدد سانشو الصلح في الجزيرة الخضراء مع خليفته السلطان يوسف بن يعقوب (685-706هـ/1286-1306م)[1] ، إلا أن هذه الاتفاقية لم تصمد طويلاً، حيث قام سانشو سنة 690هـ/1291م بالإغارة على الأراضي الأندلسية ، مما اضطر السلطان يوسف إلى العبور للأندلس لمواجهة هذه الاعتداءات محققاً بعض الانتصارات الجزئية[2]، وأرسل السلطان يوسف إلى قائده على الثغور علي بن يوسف بن يزكاتن يدعوه لغزو شريش وما يليها من الأراضي النصرانية فزحف إليها وعاث فيها[3] .

استكمالاً للمسيرة الجهادية التي سار عليها السلطان يعقوب بن عبد الحق، فقد عزم ابنه السلطان يوسف على مواصلة الجهاد ضد الممالك النصرانية الإسبانية، ففي جمادى الأولى من سنة 690هـ/أيار 1291م وصل إلى قصر المجاز واستنفر أهل المغرب فتقاطرت إليه بعوث المجاهدين[4] ، فقام سانشو ملك قشتالة بإنزال أساطيله في مياه المضيق ونشبت بين الطرفين معركة هُزم فيها الأسطول المريني ، إلاّ أنه عاد ليفرض سيطرته على المضيق بعد انسحاب القوات القشتالية منه[5] .

---

(1) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص211 ، **القلقشندي:** صبح ، ج5، ص268 ، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص66 .

أنظر أيضاً:- **جوليان:** تاريخ، ج2، ص225.

(2) **عنان:** دولة ، ع4، ص109.

(3) **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص70

(4) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص215.

(5) **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص70 .

وفي رمضان/آب من السنة المذكورة عبر السلطان يوسف بن يعقوب بنفسه إلى الأندلس فغزا شريش وعاث في أحواز إشبيلية ورجع إلى المغرب في أوائل سنة 691هـ/كانون أول 1291م[1].

ولم تسجل سيرة السلطان يوسف عبوراً إلى الأندلس غير هذا بسبب الأوضاع الداخلية للدولة المرينية ، وساد لذلك السلم والحياد على علاقات الدولة المرينية مع الممالك النصرانية طوال عهده ، عدا عن حادثة بسيطة تمثلت بقيام قوة مرينية بقيادة الوزير أبي علي عمر بن السعود بالعبور إلى الأندلس سنة 693هـ/1294م فحاصر طريف مدة ثم انسحب[2] .

أدى انقطاع الجهاد المغربي لفترة من الزمن حتى قبل وفاة السلطان يوسف بن يعقوب سنة 706هـ/1306م إلى تطاول النصارى على الأراضي الأندلسية ، وبعد ذلك قام القشتاليون سنة 709هـ/1309 م بمهاجمة جبل الفتح (جبل طارق) والاستيلاء عليه ، وحاولوا السيطرة على الجزيرة الخضراء فحاصروها إلا انهم فشلوا في اقتحامها ، وفي الوقت نفسه حاصر ملك أراجون خايمي الثاني ثغر المرية ولم يستطع اقتحامه ، وانتهى ذلك بعقد صلح بين المغرب وغرناطة من جهة وقشتالة وأراجون من جهة أخرى ، تبعه مجموعة من المراسلات المحفوظة الآن في أرشيف تاج أراجون بمدينة برشلونة[3] .

---

[1] **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص380 ، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص215 .

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4، ص109.

[2] **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص384.

[3] **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص75 .

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4، ص(115-116) ، **العبادي**: دراسات، ص(409-410).

بسبب استشراس الممالك النصرانية في الاعتداء على الأراضي الإسلامية توجه ملك غرناطة أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (713-727هـ/1313-1327م) بصريخه إلى سلطان بني مرين أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (710-731هـ/1310-1331م)[1] ، ولم يكن الأخير غافلا عن أمر الجهاد في الأندلس حيث اهتم بصناعة السفن ، وخرج في ذي القعدة من سنة 710هـ/آذار 1311م إلى رباط الفتح لتفقد الجبهة المتقدمة، وأمر بإنشاء المزيد من السفن والأدوات القتالية البحرية[2] ، وفي سنة 711هـ/1311م عقد السلطان أبو سعيد لأخيه الأمير أبو البقاء يعيش على ثغور الجزيرة ورندة وما إليهما من الحصون على الساحل الجنوبي لبلاد الأندلس[3] .

وفي إطار الاعتداءات النصرانية على الأراضي الأندلسية ، قامت القوات القشتالية بالزحف باتجاه غرناطة سنة 718هـ/1318م بقيادة الدون بيدرو والدون خوان الوصيان على عرش الفونسو الحادي عشر (1312-1350م) ملك قشتالة ، بمشاركة فرقة من المتطوعين الإنجليز وبمباركة البابا الذي كان مقيما في طليطلة *[4][5] ، وفي معركة حامية الوطيس دارت رحاها في هضبة البيرة قرب غرناطة استطاعت القوات الأندلسية والمرينية

---

[1] **فرحات:** غرناطة، ص33 ، **عنان:** دولة ، ع4، ص117.

[2] **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص398.

[3] **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص242.

*[4] **طليطلة:**- مدينة كبيرة في أواسط إسبانيا قرب مدريد تمتد حتى تصل وادي الحجارة في الأندلس، وتقع على نهر تاجه، سقطت بيد الإسبان سنة 477هـ/1084م، **الحموي:** معجم ، ج6، ص265 .

أنظر أيضا:- **خوند:** الموسوعة، ج1، ص306.

[5] **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص108، **المقري:** نفح ، ج1، ص423 .

أنظر أيضا:- **الحجي:** التاريخ: ص(541-542).

بقيادة شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء تحقيق الانتصار على القوات النصرانية فقتل خمسون ألفاً منهم ، وكان من ضمن الأسرى زوجة الدون بيدرو[1] ، ويعود معظم الفضل في هـذا النصـر للجند المغاربة وخاصة شيوخ الغزاة من بني مرين[2].

أدى سقوط جبل الفتح – بوابة العدوة الأندلسية وثغرها الاستراتيجي الهام – فـي أيـدي الإسبان سنة 709هـ/1309م إلى إحداث وقع كبير في نفوس كل من بني مرين وبني الأحمـر على حد سواء ، وقد استمرت سيطرة الإسبان عليه إلى أن بويع السـلطان أبـو الحسـن علـي المريني سنة 731هـ/1331م، الذي كان يحاول الاقتداء بالنشاط الجهادي للسلطان يعقوب بـن عبد الحق[3].

وصل الملك الغرناطي محمد بن إسماعيل بن الأحمر إلى فاس سـنة 732هـ/1332م طالباً غوث السلطان المريني ، فأرسل قوات عسكرية مكونة من خمسة آلاف مقاتل بقيادة ولـده الأمير أبي مالك، فوصل إلى الجزيرة الخضراء وحاصر جبل الفتـح بـراً، فـي حيـن رابـط الأسطول المغربي في مياه المضيق ، وتمكن المرينيون والغرناطيون مـن هزيمـة الحاميـة

---

(1) **المقري:** نفح ، ج1، ص425 .

أنظر أيضاً:- **عنان:** دولة ، ع4، ص171.

(2) **ابن خلدون:** العبر ، ج4 ، ص173 ، ج7 ، ص249 .

(3) المصدر نفسه ، ج7، ص255 .

الإسبانية والاستيلاء على الجبل في أواخر سنة 733هـ/1333م[1]، ثم قام المرينيون بتخزين الأقوات بالجبل وتحصينه وتسليم قيادته للوزير يحيى بن طلحة بن محلي[2] .

وأعقب ذلك توقيع معاهدة سلمية بين الأمير أبي مالك وغرناطة من جهة ، وبين مملكتي قشتالة وأراجون من جهة أخرى مدتها أربع سنوات ، وجددت هذه المعاهدة سنة 734هـ/1334م وسنة 735هـ/1335م ، خاضت خلالها كافة الأطراف سباقاً للتسلح وتعزيز الجبهات العسكرية[3] .

وفي سنة 740هـ/1339م أصدر السلطان أبو الحسن علي المريني تعليماته إلى ولده الأمير بمهاجمة الأراضي القشتالية المتاخمة للجزيرة الخضراء ، وتوجس الفونسو الحادي عشر شراً من ذلك ، فحشد أسطولاً بحرياً في مياه المضيق شاركت فيه كل من أراجون والبرتغال، بقيادة الدون جوفري تنوريو وباركه الحبر الأعظم[4] ، في حين واصل أبو مالك توغله في الأراضي القشتالية مجتاحاً سهل مدينة بجانة *[5] فهاجمه الإسبان قبل أن يرتد إلى الأراضي

---

(1) **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص255 .

أنظر أيضاً:- **عنان:** دولة ، ع4، ص124.

(2) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص(255-256).

(3) **ابن الخطيب:** كناسة ، ص(162، 163).

أنظر أيضاً:- **شبانة:** يوسف ، ص(121-122).

(4) **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص134.

أنظر أيضاً:- **عنان:** دولة ، ع4، ص127.

*(5) **بجانة:**- تقع على الخط الواصل بين المرية وغرناطة وتبعد عن المرية ستة أميال، **الإدريسي:** نزهة، ج2، ص566.

الواقعة تحت السيادة الإسلامية وقتلوه وألحقوا بجيشه هزيمة كبيرة[1] ، وقد عرفت هذه المعركة في المصادر الأجنبية باسم معركة أستريتشو[2] .

عندما علم السلطان أبو الحسن المريني بهزيمة الجيش الإسلامي في المعركة البرية ومقتل ولده فيها قرر الاستعانة بملوك تونس من أجل إمداده بالقطع البحرية، فوافاه الخليفة المتوكل الحفصي أبا يحيى بست عشرة قطعة بحرية قادها زيد بن فرحون قائد أسطول بجاية، وحشد السلطان أبي الحسن المريني القطع البحرية حتى بلغ مجموعها ما يناهز المائة ، وعقد عليها لمحمد بن على العزفي حاكم سبتة[3] .

توحدت الأساطيل القشتالية والأراجونية، وبدأت معركة بحرية بين الطرفين في شوال سنة 740هـ/آذار 1340م بعدما حاول القائد الأراجوني جيلافيرت غرويلس عبور بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) للاتصال بقائد الأسطول القشتالي الفونسو جفري في مياه إشبيلية، وقد تصدى الجيش الإسلامي له في معركة عنيفة انتهت بغرق الأسطول الأراجوني ومقتل قائده وانسحاب فلوله إلى برشلونة، ومكن هذا النصر السلطان أبي الحسن المريني من السيطرة على بحر الزقاق الاستراتيجي[4] .

---

(1) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص260.

(2) **شبانة:** يوسف ، ص123.

(3) **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص135.

أنظر أيضاً:- **العبادي:** دراسات، ص416.

(4) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص261

أنظر أيضاً:- **جوليان:** تاريخ ، ج2، ص23.

عبر السلطان أبي الحسن المريني أواخر سنة 740هـ/1340م إلى ميدان الجهاد الأندلسي في أساطيل بلغ مجموعها مائة وأربعون قطعة بحرية ما بين سفن حربية وناقلات للجند والمؤن والسلاح ، ووضع نصب عينه تحرير مدينة طريف وتأمين طريق إشبيلية وقادس[1] ، حيث بلغ عدد الجيش المريني ستون ألفاً[2] نزلوا بسهل طريف[3] ، ووافاه الملك أبو الحجاج يوسف بن الأحمر ملك غرناطة على رأس قوات من فرسان الأندلس ، وبدأت القوات الإسلامية في حصار طريف من البر والبحر في المحرم من سنة 741هـ/حزيران 1340م وشرعت في قتالها ومنازلتها[4] .

وعندما شعر ملك قشتالة الفونسو الحادي عشر (ت 1350م) بخطورة الموقف استنجد بملك أراجون بيدرو الرابع (ت 1387م) كما استنجد بصهره الفونسو الرابع ملك البرتغال، وهرع الجميع إلى إنقاذها[5] .

وفي جمادى الأولى/تشرين أول من السنة المذكورة دارت بين الجيشين معركة ضروس على ضفاف نهر سالادو*[6] ، وتولى السلطان أبو الحسن قيادة جيشه بنفسه في حين تولى الملك

---

[1] ابن الخطيب: اللمحة ، ص105.

أنظر أيضاً:- عنان: دولة ، ع4، ص127.

[2] أبو ضيف: أثر ، ص176.

[3] ابن الخطيب: اللمحة ، ص106.

[4] ابن خلدون: العبر، ج7، ص261.

[5] الناصري: الاستقصا، ج3، ص136.

العبادي: دراسات، ص418.

*[6] نهر سالادو:- نهر صغير يصب في المحيط الأطلسي شمال مدينة طريف، وسميت موقعة طريف بالإسبانية بموقعة سالادو لوقوعها على ضفافه، ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص21 .

وسميت أيضاً بموقعة الملوك الأربعة، العبادي: دراسات، ص(418-419) .

الغرناطي أبو الحجاج يوسف (733-755هـ/1333-1354) قيادة فرقة فرسان الأندلس، ويقال أن الأندلسيين امتلكوا في تلك الموقعة آلات تشبه المدفع تسمى الأنفاط *[1][2] .

استطاع الجيش المغربي في البداية صد الفونسو الحادي عشر ، واشتبك فرسان الأندلس مع الجيش البرتغالي، بينما تمكنت أعداد من جند النصارى من التوغل ليلاً إلى طريف ودخلوا سراً إلى فسطاط السلطان وعاثوا فيه ، ولم تسلم نساء وحظايا السلطان من القتل، وقاموا بإضرام النار في المعسكر، كما قامت حامية طريف النصرانية الجنوبية بالانقضاض على مؤخرة الجيش الإسلامي فقتل عدد هائل من المسلمين مما أدى إلى هزيمة الجيش الإسلامي في معركة طريف في السابع من جمادى الآخرة سنة 741هـ/تشرين ثاني 1340م[3].

أدت هذه الهزيمة إلى تكثيف هجمات الأسبان على الأراضي الإسلامية ، فغزا ملك قشتالة قلعة يحصب (بني سعيد) التي تعتبر ثغر غرناطة وعلى بعد مرحلة منها[4] ، واستولى عليها بعد حصارها سنة 742هـ/1341م إثر تعرض أهلها لخطر الموت جوعاً وعطشاً[5].

عاد السلطان أبو الحسن المريني إلى المغرب وأصدر أوامره بحشد الأساطيل ودفعها إلى بحر الزقاق ، وعقد على الأسطول وعلى ثغر الجزيرة لمحمد بن العباس بن تاحضريت ،

---

*(1) **الأنفاط**:- آلات شبيهة بالمجانيق تحمل قوارير نفطية يرمى بها على الحصون والقلاع، للإطلاع بالتفصيل على هذا النمط من الأسلحة وتطوره واستعمالاته أنظر **حسين**: الجيش ، ص(290-299) .

(2) **عنان**: دولة ، ع4، ص127.

(3) **الناصري**: الاستقصا ، ج3 ، ص(136-137) .

أنظر أيضاً:- **جوليان**: تاريخ ، ج2 ، ص23 ، **العبادي**: دراسات ، ص(418-419) ، **شبانة**: يوسف ، ص124.

(4) **ابن الخطيب**: كناسة ، ص(34-35) ، **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص262 .

(5) **الناصري**: الاستقصا ، ج3 ، ص137 .

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4 ، ص129 .

وعززه بمزيد من العسكر بقيادة موسى بن إبراهيم اليرياني ، وأثناء ذلك سيطر الأسطول الإسباني على بحر الزقاق سنة 743هـ/1342م[1] ، وحاصرت القوات البرية الإسبانية الجزيرة الخضراء ، إلا أنها اضطرت للاستسلام سنة 744هـ/1343م ، وعقدت إثر ذلك معاهدة سلمية بين أبي الحجاج يوسف بن الأحمر وبيدرو الرابع ملك أراجون لمدة عشر سنوات سنة 745هـ/1344م ، ثم طلب من السلطان أبي الحسن المريني الموافقة على الصلح فأبرمه من جانبه بنفس الشروط[2] .

وساد السلم حتى نهاية دولة السلطان أبي الحسن ، وتبودلت خلال هذه الفترة المراسلات والسفارات بين الطرفين ، ومن أهمها وصول وفد قشتالي في أواخر عهد أبي الحسن للتهنئة بفتح تونس ، ورافقه في سفارته تاشفين ابن السلطان المريني أبي الحسن[3] (ت 763هـ/1361م) الذي كان قد أسر في طريف[4] .

لم تسجل خلال عهد السلطان أبي عنان فارس بن أبي الحسن المريني (749-759هـ/1348-1358م) أية أحداث عسكرية كبيرة كالتي حدثت في عهد سابقيه ، إلا انه حاول المحافظة على صلة الربط بين دولته والأندلس من خلال إيلائه جبل الفتح (جبل طارق) عناية خاصة ، لدرجة أنه أمر بعمل مجسم للجبل ووضعه في قصره أمام ناظريه[5] .

---

(1) **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص262 ، **الناصري**: الاستقصا ، ج3 ، ص(137-138) .

(2) **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص(262-263) .

أنظر أيضاً:- **العبادي**: دراسات، ص(420-421)، **أبو ضيف**: أثر، ص177، **عنان**: دولة، ع4 ، ص(128-130).

(3) أنظر سيرته لدى **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1، ص(446-450).

(4) **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص277 .

(5) **المنوني**: ورقات ، ص59 .

كان السلطان المريني يؤمل نفسه في ضم البلاد الأندلسية إلى دولته، ولتحقيق ذلك حاول إنهاء الحلف القائم بين الغني بالله محمد الخامس (755-760هـ/1354-1359م) ملك غرناطة والملك القشتالي بيدرو الثاني (1350-1368م) ، وذلك من خلال إقناع الملك الغرناطي بالتخلي عن دفع الضرائب لقشتالة إلا أنه فشل في ذلك ، فتحالف السلطان أبو عنان المريني مع أراجون بقيادة بيدرو الرابع ووقع معه اتفاق بذلك في سرقسطة سنة 758هـ/1357م ، ولكن مشروع التحالف الجديد انتهى بمقتل أبو عنان فارس سنة 759هـ/1358م[1] .

ومن الجدير ذكره أن الدولة المرينية في عهد أبي عنان فارس قد احتفظت بعلاقات متينة مع الدول الأوروبية المسيحية ، اتسمت بالود والصداقة ، ويرجع ذلك النميري *[2] (ت 768هـ/1366م) إلى ثقافة وأخلاق وشجاعة ودهاء أبي عنان ، بالإضافة إلى ما تمتعت به الدولة من قوة برية وبحرية ومن استقرار سياسي، مما دعا الممالك النصرانية إضافة إلى إيطالية وصقلية وميورقة إلى خطب ودّ المرينيين وعقد الاتفاقات التجارية مع دولتهم[3] .

ولم يكدر صفو العلاقات بين الدولة المرينية والممالك النصرانية في إسبانيا سوى بعض المكائد كنزوع الأمير أبي الفضل محمد بن أبي الحسن شقيق السلطان أبي عنان فارس المريني

---

[1] **العبادي**: دراسات ، ص424-425 .

*[2] **إبراهيم بن عبد الله بن محمد النميري** ، يعرف بابن الحاج وهو من أهل غرناطة ، ولد سنة 713هـ/1313م ، وله كثير من المصنفات ، وتوفي سنة 768هـ/1366م ، انظر الترجمة الكاملة لسيرة النميري عند **ابن الخطيب**: الإحاطة، ج1 ، ص(342-363) .

[3] **النميري**: فيض ، ص99 ، وللاطلاع على تواريخ المراسلات التي تمت بين أبي عنان والدول المذكورة ، انظر ص(100-104) و (181-184) .

إلى ملك قشتالة لمساعدته على منازعة أخيه الملك في المغرب، فجهز القشتاليون أسطولاً للأمـير المريني أبي الفضل وساروا به إلى مراسي المغرب ، وأنزلوه ساحل السوس ، ولحـــق الأمـير الثائر بجبل سكسيوة *(1) حيث عبد الله السكسيوي وثار هناك ، إلا أن محاولته باءت بالفشل وتـم القبض عليه وقتله سنة 755هـ/1354م(2) .

*(1) **جبل سكسيوة**:- هذا الجبل من أعلى وأمنع معاقل جبال درن في القسم الغربي من جبال مراكش ، تعلوه الغابـــات وتسكنه قبيلة سكسيوة، ومن موقعهم يطلون على ساحل البحر المحيط من الغرب وبسيط السوس من الجنـــوب: **ابـــن خلدون**: العبر ، ج6 ، ص224 ، **الوزان**: وصف ، ج1 ، ص140 .

(2) **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص(293-294) .

4- سياسة دولة بني مرين تجاه الممالك النصرانية في إسبانيا خلال فترة نفوذ الوزراء (759-869هـ/1358-1465م) .

بعد مقتل السلطان أبو عنان فارس المريني (759هـ/1358م) أخذت العلاقات المرينية النصرانية شكلاً آخر غلب عليه الهدوء أحياناً والتدخل النصراني في الشؤون المرينية الداخلية أحياناً أخرى ، ومن ذلك قيام ملك قشتالة بيدرو الأول بالتدخل للإطاحة بالسعيد بالله بن أبي عنان (ذو الحجة سنة 759هـ/تشرين ثاني 1359م- شعبان سنة 760هـ/حزيران 1359م) ، وتنصيب أبا سالم إبراهيم بن أبي الحسن (شعبان سنة 760هـ/حزيران 1359م – ذو القعدة سنة 762هـ/أيلول 1360م) مكانه[1] ، بعد أن أخذت إشبيلية من الأخير ضمانات بالوقوف إلى جانبهم ضد مملكة أراجون النصرانية[2].

وخلال فترة حكم السلطان أبي سالم إبراهيم حصلت أزمة سياسية بينه وبين البلاط القشتالي بسبب لجوء الملك الغرناطي المخلوع الغني بالله محمد الخامس إلى البلاط المريني في محرم من سنة 761هـ/تشرين ثاني 1359م ، ونصّب ملك قشتالة بيدرو الأول نفسه مدافعاً عن شرعية الملك المخلوع، وطلب من السلطان المريني أبا سالم إسلامه إياه لمساعدته في استرداد عرشه ، ولكن أبا سالم تلكأ في رده مما أغضب ملك قشتالة وهدد بالحرب والاستيلاء على

---

(1) **ابن الخطيب**: اللمحة ، ص117 ، **الإحاطة**: ج1 ص306 ، **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص(304-305) .

أنظر أيضاً:- **زبيب**: الموسوعة ، ج3 ص92 .

(2) **الناصري**: الاستقصا ، ج4 ، ص(7-8) .

أنظر أيضاً:- **العبادي**: دراسات ، ص425 .

جميع القواعد المغربية في الأندلس ، الأمر الذي اضطر السلطان أبو سالم إبراهيم إلى إجازة الملك المخلوع بمساعدة من الأسطول القشتالي[1].

وفي إطار التدخل القشتالي في الشؤون المرينية ، قام القشتاليون سنة 763هـ/1362م بمساعدة أبي زيان محمد بن عبد الرحمن بن أبي الحسن على تولي الحكم المريني بعد أن كان لاجئاً لدى البلاط القشتالي[2] ، وبعد أن تولى زمام الأمور وطد علاقاته مع بيدرو الأول ملك قشتالة ، وأوفد إليه المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1405م) سفيراً ، فأحسن الملك القشتالي وفادته وطلب منه البقاء في إشبيلية ووعده أن يعيد إليه أملاك أجداده هناك ، إلا أن ابن خلدون اعتذر وعاد إلى فاس[3] .

وخلال فترة حكم السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني (767-774هـ/1365-1372م) عقدت في رجب سنة 768هـ/آذار 1367م معاهدة صلح وصداقة بين السلطان المريني والغرناطي الغني بالله محمد بن الأحمر من جهة ، وملك أراجون بيدرو الرابع من جهة أخرى مدتها ثلاث سنوات ، تعهدت فيها كافة الأطراف بعدم الإضرار بالطرف الآخر في البر والبحر، وأن يكون لكل طرف حق التجول والمتاجرة بأراضي ومياه الآخر دون مضايقة أو مغارم غير عادية ، وأن تطلق أراجون حرية الهجرة للمدجنين، وأن يمتنع كل طرف عن معاونة أعداء الطرف الآخر[4] .

---

(1) **ابن الخطيب:** اللمحة ، ص126 ، **ابن خلدون:** العبر ، ج4 ، ص175 .

(2) **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص(317-318) ، **المقري:** نفح ، ج8 ، ص119 .

(3) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص(411-412) .

أنظر أيضاً: **العبادي:** دراسات ، ص440 .

(4) **عنان:** دولة ، ع4 ، ص(147-148) .

لم تقف هذه المعاهدة التي أخذت الطابع التجاري والاقتصادي عائقاً أمام جهود السلطان عبد العزيز في استعادة الجزيرة الخضراء التي احتلت زمن والده سنة 744هـ/1343م ، وساهمت فاس بالجهود الحربية بالمال والأساطيل ، فقامت القوات الإسلامية بمحاصرة الجزيرة ومنازلتها إلى أن استسلمت حاميتها النصرانية سنة 770هـ/1368م[1] ، وانتهت هذه العملية بعقد صلح بين المغرب وغرناطة من جهة ، وقشتالة وأراجون من جهة أخرى وذلك سنة 771هـ/1369م ، وتبودلت السفارات الودية بينهما[2] .

ومن الجدير ذكره أن آخر المعاهدات التي أبرمت بين بني مرين وبني الأحمر مع قشتالة وأراجون تعود إلى سنة 816هـ/1415م وجرى تجديدها في العامين التاليين[3].

خلال تولي السلطان المريني عبد الحق بن أبي سعيد عثمان (823-869هـ/1420-1465م) قام القشتاليون والأراجونيون بإرسال سفرائهم إليه يحذرونه من مغبة التدخل في شؤون غرناطة أو محاولة حمايتها ، فوعدهم بتحقيق رغبتهم[4] .

وكان سقوط جبل الفتح (جبل طارق) سنة 867هـ/1463م إيذاناً بانقطاع الجهاد المغاربي ضد النصارى الإسبان[5] ، وتركت غرناطة بذلك لمصيرها تحت رحمة ضربات الممالك النصرانية الإسبانية .

---

(1) **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص(327-328) .

(2) **العبادي**: دراسات ، ص446 .

(3) **القنيمي**: موسوعة ، ج3 ، ص304 .

(4) **عنان**: دولة ، ع4 ، ص158 .

(5) **الناصري**: الاستقصا ، ج4 ، ص98 .

5- السياسة الداخلية لدولة بني مرين خلال فترة نفوذ الوزراء ونهاية الدولة (759-869هـ/1358-1465م) .

بعد مقتل السلطان أبي عنان فارس سنة 759هـ/1358م استبد الوزراء والحجاب بمصير الدولة المرينية ، لدرجة أصبح سلاطينها ألعوبة بأيديهم[1] ونصبوا أنفسهم وزراء تفويض لا وزراء تنفيذ *[2] وانفردوا بترشيح من يرونه مناسبا وخلع أو قتل من لا يتوافق مع رغباتهم ومصالحهم ، خاصة وانه لم يعد لمسألة ولاية العهد قيمة أو اعتبار[3] ، فكان لهذا الاستبداد آثار وتداعيات كثيرة أدت إلى إضعاف الدولة وتبديد طاقاتها وتقسيمها ومن ثم انهيارها في نهاية المطاف .

فخلال احتضار السلطان المريني أبو عنان فارس اشتعلت الخلافات بين وزراء الدولة على موضوع تولي العرش ، وقد تولى كبار الوزراء في عهده مثل: يحيى بن موسى القفولي وعمر بن ميمون والحسن بن عمر الفودودي*[4] (ت 761هـ/1360م)[5] ، تأييد أحد أبناء السلطان المحتضر[6] .

---

[1] **الغنيمي:** موسوعة ، ج6 ، ص4 .

*[2] للإطلاع على الفرق بين الوزارتين أنظر **الرفاعي:** الإسلام، ص(104-106)، **أبو خليل:** الحضارة ، ص(248-249).

[3] **العبادي:** دراسات ، ص21.

*[4] **الحسن بن عمر الفودودي:**- أنظر ترجمته لدى **الزركلي:** الأعلام، ج2، ص208.

[5] **ابن خلدون :** العبر ، ج7 ، ص299 .

[6] **جوليان :** تاريخ ، ج2 ، ص234 .

وتآمر الوزير يحيى بن موسى مع بعض رؤوس بني مرين على الفتك بالوزير الفودودي [1] ، إلا أن الأخير تمكن من تعيين ولي العهد أبي زيان محمد بن أبي عنان سلطاناً على البلاد وذلك في الخامس والعشرين من ذي الحجة من سنة 759هـ/تشرين ثاني 1358م ، وفي نفس اليوم خلع الوزير الفودودي طاعة سلطانه وقام بقتله خنقاً[2] ، وعين بدلاً منه الطفل ابن الخامسة السعيد بالله أبي بكر بن أبي عنان[3] .

ولما طال احتضار السلطان أبي عنان " أدخل الوزير – المذكور – إليه بمكانه من بيته من غطه حتى أتلفه " – على حد تعبير ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) – وذلك في الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة 759هـ/تشرين ثاني 1358م[4] ، فاستأثر الوزير بنفوذ مطلق داخل الدولة وصار يحكم باسم السلطان الطفل السعيد بالله الذي كان مسيطراً عليه من قبل وزيره[5] ، وعلى خلفية ذلك حدثت في نفس العام أزمة سياسية داخلية ، إذ لم يلق هذا الأمر موافقة بقية أبناء أبي عنان رغم محاولة الوزير استرضائهم ، حيث استدعى المعتصم من سجلماسة إلى فاس ، فحضر على مضض[6] ، أما عبد الرحمن فقد احتال عليه الفودودي إلى أن

---

(1) **ابن خلدون** : العبر ، ج7 ، ص299.

(2) **ابن الأحمر** : روضة ، ص29.

أنظر أيضاً:- **زبيب:** الموسوعة ، ج3 ، ص91 .

(3) **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص299 ، **الناصري:** الاستقصا ، ج4 ، ص3، ص205 .

أنظر أيضاً:- **العبادي:** دراسات ، ص425 .

(4) **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص(299-300) .

أنظر أيضاً:- **جوليان:** تاريخ ، ج2 ، ص234 .

(5) **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص300 ، **الناصري:** الاستقصا ، ج4 ، ص3 .

(6) **الناصري:** الاستقصا ، ج4 ، ص3 .

أحضره للعاصمة فاس وأودعه السجن[1] ، وتمرد محمد المعتمد بمراكش بدعم من الرئيس أبي ثابت عامر بن محمد الهنتاني[2] .

وفي الثاني عشر من شعبان سنة 760هـ/حزيران 1359م تآمر الوزير الحسن بن عمر مع السلطان الجديد أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني (760-762هـ/1359-1361م) على قتل السلطان السعيد بالله أبي بكر بن أبي عنان ، من أجل أن يتولى أبو سالم الحكم فتم له ذلك[3] .

جر الوزير الفودودي باستبداده وسياسته الداخلية والخارجية البلاد إلى وضع مأساوي ، كما أدى تعيين وزراء آخرين لا يحظون بإجماع شعبي إلى أوضاع سياسية صعبة أيضا ، كالخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الذي عينه السلطان أبو سالم إبراهيم وزيرا وألقى زمام الدولة بيده[4] ، فنقم العامة والخاصة ذلك ، وسخطوا الدولة من أجله ومرضت القلوب ، مما مهد لتمرد أحد كبار وزراء الدولة وهو عمر بن عبد الله بن علي*[5] (ت 768هـ/1367م) وبالتنسيق مع قائد الجند النصراني بالجيش المريني غرسيه بن انطول[6]،

---

[1] **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص300 .

[2] **الناصري:** الاستقصا، ج4، ص3، ويصف الناصري (ت 1315هـ/1897م) **أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتي** بأنه كبير جبال درن والبلاد المراكشية وهو من بيوتات هنتانة من قبائل المصامدة وأهل الرياسة والشرف فيهم، أما **ابن الخطيب** (676هـ/1274م) فيصفه بأنه عميد الهساكرة، إحدى قبائل السوس جنوب مراكش، الإحاطة، ج3، ص533 .

[3] **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص305 ، **الناصري:** الاستقصا ، ج4 ، ص7 .

[4] **الناصري:** الاستقصا ، ج4 ، ص37 .

*[5] **عمر بن عبد الله بن علي:**- انظر ترجمته لدى الزركلي: الأعلام، ج5، ص52.

[6] **ابن الخطيب:** الإحاطة : ج1 ، ص309 .

أنظر أيضا:- زبيب: الموسوعة ، ج3 ، ص92 .

فقام هؤلاء بانتهاز فرصة غياب السلطان عن قصره ، فنصّبوا تاشفين الموسوس بن أبي الحسن في ذي القعدة من سنة 762هـ/1361م، وأكرهوا شيخ الحامية محمد بن الزرقاء على البيعة[1]، فاختل الأمن الداخلي بفاس الجديد ونهبت مخازن السلاح ، وبقي أبو سالم محصوراً بفاس القديم وانفضت عنه حاشيته ، خاصة وزيراه سليمان بن داود ومسعود بن ماساي وحاجبه سليمان بن ونصار ، فهرب السلطان أبو سالم إلى وادي ورغة ، فقبض عليه وحمل إلى الوزير عمر بن عبد الله فأمر بعض الجند من النصارى بقتله في الواحد والعشرين من ذي القعدة سنة 762هـ/أيلول 1360م[2] ، وبقي السلطان أبو عمر تاشفين محجوباً عليه من قبل وزيره عمر بن عبد الله[3] .

واستمراراً لمسلسل الثورات والانقلابات حاول غرسيه بن انطول في العام المذكور الثورة على الوزير عمر بن عبد الله ، واستعان ابن انطول بسليمان بن ونصار ، فتصدى لهم الوزير عمر بن عبد الله مستعيناً بقائد المركب السلطاني إبراهيم البطروجي ويحيى بن عبد الرحمن شيخ بني مرين وصاحب شوراهم[4] ، فقتل ابن انطول وسليمان بن ونصار وانتهبت أموال وممتلكات النصارى[5] .

وعلى خلفية هذه الأزمات المتلاحقة رأى الوزير عمر بن عبد الله أن السلطان تاشفين لا يبدو جديراً بتولي السلطة وتحمل مسؤولياته، فاستقدم أبا زيان محمد بن أبي عبد الرحمن

---

(1) **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص313 ، **المقري:** نفح ، ج8 ، ص134 .

(2) **ابن الخطيب:** الإحاطة : ج1 ، ص310 ، **الناصري:** الاستقصا ، ج4 ، ص39 .

(3) **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص314 .

(4) **الناصري:** الاستقصا ، ج4 ، ص(42-43) .

(5) **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص(314-315) .

يعقوب بن أبي الحسن ، وكان بدار الحرب وولاه سلطاناً في صفر سنة 763هـ/تشرين ثاني 1361م[1] ، ولكن السلطان الجديد لم يطق استبداد وزيره فحاول الفتك به ، وعندما علم الأخير بذلك قام في ذي الحجة من سنة 767هـ/آب 1365م بإغراق سلطانه أبي زيان في أحد الآبار الواقعة بروض الغزلان في فاس[2] ، وولى بدلاً منه السلطان أبا فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة 767هـ/آب 1365م[3] ،إلا إن هذا السلطان استطاع استبعاد الوزراء المشاغبين وقتل عدد منهم وعلى رأسهم الوزير عمر بن عبد الله سنة 768هـ/1366م[4] .

وفي سنة 774هـ /1372م ولى الوزير أبو بكر بن غازي بن الكاس السلطان أبا زيان محمد السعيد بن عبد العزيز وكان طفلاً في الرابعة[5] ، فكفله الوزير المذكور وتولى الإبرام والنقض والصبي كالعدم ، لكنه ما لبث أن خُلع في بداية عام 776هـ/1374م[6] .

---

(1) **ابن الخطيب:** اللمحة ، ص118 ، الإحاطة ، ج2 ، ص40 ، **الناصري:** الاستقصا ، ج4 ، ص44 .

(2) **المقري:** نفح ، ج8 ، ص123 ، **ابن الأحمر:** روضة ، ص32 .

(3) **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص323 ، **ابن الأحمر:** روضة ، ص33 .

أنظر أيضاً:- **زبيب:** الموسوعة ، ج3 ، ص92 .

(4) **ابن العماد:** شذرات ، ج8 ، ص(400-401) ، للاطلاع على التفاصيل انظر **ابن خلدون:** العبر ، ج7، ص(323-324) ، **الناصري:** الاستقصا ، ج4 ، ص(52-53) ، أنظر أيضا **الزركلي:** الأعلام ، ج5، ص52 .

(5) **ابن الأحمر:** روضة ، ص33 .

(6) المصدر نفسه، ص34 .

أنظر أيضاً:- **العبادي:** دراسات ، ص499 .

أما الوزير مسعود بن ماساي فقد استبد بالسلطان أبي فارس موسى بن أبي عنان بن أبي الحسن (ت 788هـ /1386م)[1] ، الذي ثار في أواخر حكمه الحسن بن الناصر بن أبي علي بن أبي سعيد في جبال غمارة واستوزر العباس بن المقداد وطلب الملك لنفسه ، فخرج مسعود بن ماساي لقتاله وحصاره فامتنع عليه ، وخلال ذلك توفي السلطان موسى بن أبي عنان في جمادى الآخرة سنة 788هـ /حزيران 1386م[2] ، فبويع بعده السلطان أبو زيان محمد بن أبي العباس بن أبي سالم في الثالث من رمضان سنة 788هـ /أيلول 1386م وسنه يومئذ خمس سنوات ، وخلع في الخامس عشر من شوال/تشرين أول من السنة ذاتها ، فكانت دولته ثلاثة وأربعين يوماً تحت استبداد الوزير مسعود بن ماساي الذي استبد فيما بعد على السلطان الواثق بالله أبو زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن (ت 789هـ/1387م)[3] .

وفي بداية الولاية الثانية للسلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم (789-796هـ/1387-1393م) قتل الوزير مسعود بن ماساي[4] ، من جهة أخرى سيطر الأمير محمد بن عبد الحليم بن أبي سعيد على سجلماسة لفترة من الزمن ثم ارتحل عنها خوفاً من سطوة السلطان المريني[5] .

---

(1) **الناصري**: الاستقصا ، ج4 ، ص60 .

(2) **ابن الأحمر**: روضة ، ص36 .

أنظر أيضاً:- **العبادي**: دراسات ، ص453 .

(3) **ابن الأحمر**: روضة ، ص37 ، **الناصري**: الاستقصا ، ج4 ، ص71 .

(4) **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص357 ، **الناصري**: الاستقصا ، ج4 ، ص73 .

(5) لمزيد من التفاصيل انظر **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص(358-359) .

وخلال الفترة ما بين سنة 796هـ/1393 حتى 800هـ/1398م تناوب على الحكم المريني سلطانان هما عبد العزيز أحمد بن أبي سالم حتى سنة 799هـ/1396م ، وعبد الله بن أحمد بن أبي سالم حتى سنة 800هـ/1398م [1] .

بويع السلطان أبو سعيد عثمان بن أبي العباس بن أبي سالم (800-823هـ/1398-1420م) في سنة 800هـ/1393م وهو في السادسة عشرة من عمره ، واستبد الوزراء والحجاب بشؤون الدولة بينما كان السلطان متفرغ لذاته ، وكان من أكبر حجابه أبو العباس أحمد بن علي القبائلي[2] ، وفي عصر هذا السلطان امتد نفوذ بني حفص بزعامة أبي فارس الحفصي (796-838هـ/1393-1434م) إلى المغرب الأقصى ، وأصبح بنو مرين تابعين من الناحية السياسية لهم[3] .

أما في عهد السلطان أبي محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان الثاني *[4] (823هـ-869هـ/1420-1465م) أخر ملوك بني مرين ، فقد ضعفت الدولة وأشرفت على الانحلال واستمر الوزراء والحجاب في تسيير شؤون الدولة[5] ، وأصبحت الدولة المرينية مطمعاً للأتراك العثمانيين والفرنجة والإسبان والبرتغاليين[6] .

---

[1] **ابن الأحمر**: روضة ، ص39-40 .

[2] **الناصري**: الاستقصا ، ج4 ، ص74 .

[3] **الغنيمي**: موسوعة ، ج5 ، ص334 .

*[4] **أبو سعيد عثمان الثاني**:- يدّعي **الوزان** (ت 939هـ/1532م) أن هذا السلطان متولد من أم نصرانية، وصف، ج1، ص318 .

[5] **الناصري**: الاستقصا : ج4 ، ص95 .

أنظر أيضاً:- **عنان**: دولة ، ع4 ، ص165 .

[6] **الغنيمي**: موسوعة ، ج6 ، ص14 .

تفاقمت الأوضاع الداخلية بسبب قيام السلطان عبد الحق بتعيين وزراء لا يهمهم أمر الدولة بل عملوا على خرابها ، مثل الوزير صالح بن صالح بن حمد الياباني الذي أوقع بالفقيه أبي محمد عبد الرحيم بن إبراهيم اليزناسني فقتله ذبحاً سنة 834هـ/1431م[1] ، أما الوزير أبو زكريا يحيى بن زيان الوطاسي فقد غزا الشاوية *[2] ونكبهم ، فقتله عرب أنكاد سنة 852هـ/1448م[3] .

واستبد أخيراً بالدولة أبو زكريا يحيى بن يحيى الوطاسي فكانت ولايته على حد قول الناصري (ت 1315هـ/1897م): " مبدأ الشر ومنشأ الفتنة "[4] ، ذلك أنه عندما استقل بالوزارة والحجابة معاً أخذ يغير في مراسم الملك وعوائد الدولة ، وأنقص من أعداد الجند، وعامل الرعية بالعسف[5] ، وتدخل في شؤون القضاء فعزل قاضي فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن محمد المصمودي الذي عرف بنزاهته ، وعين بدلاً منه الفقيه يعقوب التسولي ، وقرب إليه بني وطاس وأشركهم في الحكم ، فعلى شأنهم في الدولة وكثر عيثهم ، ولم يطق السلطان عبد الحق ذلك فقضى على جميع الوطاسيين عدا محمد الشيخ ومحمد الحلو اللذين تمكنا من الفرار[6] .

---

(1) **الناصري**: الاستقصا ، ج4 ، ص96 .

*(2) **الشاوية**:– رعاة الشاة ، وهم بدو يسكن معظمهم سفوح الأطلس ويؤدون الضريبة أينما وجدوا للسلطة الحاكمة ، **الوزان**: وصف ، ج1 ، ص66 ، **الطيب**: موسوعة ، مج1 ، ص477 .

(3) **الغنيمي**: موسوعة ، ج6 ، ص15 .

(4) **الناصري**: الاستقصا ، ج4 ، ص97 .

أنظر أيضاً:– **الجمل**: المغرب ، ص45 .

(5) **الزركلي**: الأعلام ، ج3 ، ص281 .

(6) **الناصري**: الاستقصا، ج4 ، ص(97–98) .

أنظر أيضاً:– **عنان**: دولة ، ع4 ، ص165 .

نقمت العامة إثر هذه النكبة على السلطان عبد الحق ، ومالوا إلى محمد الشيخ الوطاسي الذي استولى على مدينة أصيلا بعد فراره من المذبحة ، وعندما لم يجد السلطان المريني وزيراً لينصبه ولّى اليهوديين هارون وزيراً وشاويل حاجباً تأديبا للناس وتشفياً منهم ، فشرع اليهوديان في أخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الأموال[1] ، وصاروا يتحكمون بالإشراف والفقهاء، وكان اليهودي هارون قد ولّى على شرطته رجلاً يقال له الحسين عرف بقسوته وعسفه واستلابه لأموال الناس[2] ، فتولدت حالة غير مسبوقة من الغليان في صفوف العامة ، وازداد ذلك حين قام أحد اليهود بضرب امرأة شريفة من الأسرة العلوية الإدريسية في فاس ، فاجتمع الناس عند خطيب القرويين الفقيه أبي فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلي الذي حرضهم على الفتك باليهود وخلع طاعة السلطان عبد الحق ومبايعة الشريف أبي عبد الله الحفيد محمد بن علي الإدريسي الجوطي*[3] نقيب الإشراف ، فأجابه الناس إلى ذلك وبايعوا الشريف المذكور وتقدموا إلى حارة اليهود ونكبوهم[4] .

وعندما علم عبد الحق بالخبر استشار وزيره هارون فأشار عليه بعدم الإقدام في ظل هذا الغليان واللجوء إلى مكناسة، وخلال ذلك فوجئ هارون بالرماح تنهال عليه فقتل ، وألقي القبض على السلطان عبد الحق وانتزعت منه شارات الملك وسيق إلى مصرعه في يوم الجمعة 27/ رمضان سنة 869 هـ/نيسان 1465م ، فانقرضت بموته دولة بني عبد الحق من

---

(1) **الغنيمي**: موسوعة، ج6 ، ص17 .

(2) **الناصري**: الاستقصا، ج4 ، ص98 .

*(3) **الجوطي**:- نسبة إلى قرية الجوطة على نهر سبو في المغرب الأقصى ، **الناصري**: الاستقصا، ج4 ، ص114 .

(4) **عنان**: دولة ، ع4 ، ص165 .

المغرب[1] ، وصفي الأمر للشريف أبو عبد الله الحفيد حتى سنة 875هـ/1470م[2] حيث تم عزله من قبل أبي الحجاج يوسف بن منصور بن زيان الوطاسي وبقيت فاس في يد أخت أبي الحجاج المذكور ، وهي الزهراء المدعوة بزهور ، إلى أن تولى الأمر أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكريا الوطاسي في رمضان سنة 876هـ/1472م مؤسساً بذلك الدولة الوطاسية (876-910هـ/1472-1504م)[3] .

(1) الناصري: الاستقصا ، ج4 ص(99-100) .

أنظر أيضاً:- أبو ضيف: أثر ، ص178 ، الغنيمي: موسوعة، ج5 ، ص336 ، زمامة: أبو الوليد، ص275 .

(2) الناصري: الاستقصا، ج4 ، ص117 .

أنظر أيضاً:- الغنيمي: موسوعة، ج6 ، ص21 .

(3) الناصري: الاستقصا، ج4 ، ص(119-120) .

أنظر أيضاً:- الغنيمي: موسوعة، ج5 ، ص337 ، عنان: دولة ، ع4 ، ص(165-166) .

الفصل الخامس

جوانب من حضارة الدولة المرينية

1- نظام الحكم .

اتسم نمط الحكم في العصر المريني بالفردية والوراثية[1] ، وتلقب معظم سلاطينه بلقب أمير المسلمين وأتبعوه بألقاب مثل:- ناصر الدين ، أو ملك البحرين ، وملك العدوتين[2] ، إلا أن البعض منهم آثر تلقيب نفسه بأمير المؤمنين *[3] مثل السلطان يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م)[4] والسلطان أبو عنان فارس(749-759هـ/1348-1358م)[5] ، ويقول في ذلك ابن خلدون (ت 808هـ/1405م): " ثم نزع المتأخرون منهم إلى اللقب بأمير المؤمنين وانتحلوه لهذا العهد استبلاغاً في منازع الملك وتتميماً لمذاهبه وسماته"[6] ، ويعتبر الأمير أبو بكر بن عبد الحق (642هـ/1245م) أول من سما بنفسه إلى مرتبة الملك من أمراء بني مرين[7] ، في حين يعد يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (685-706هـ/1286-1306م) أول من هذب ملك بني مرين وأكسبه رونق الحضارة[8] .

---

(1) **المنوني**: ورقات، ص81.

(2) **الغنيمي**: موسوعة، ج5، ص219.

*(3) **أمير المؤمنين**:- أول من اتخذ هذا اللقب الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (13-23هـ/634- 644م) ، **الطبري**: تاريخ، ج4 ، ص208 .

(4) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص90.

أنظر أيضاً:- **العبادي**: دراسات، ص206.

(5) **جوليان**: تاريخ، ج2، ص233.

(6) **ابن خلدون**: المقدمة، ص230.

(7) **الناصري**: الاستقصا، ج3 ، ص12.

(8) المصدر نفسه، ص88.

تولى السلطان المريني الحكم مباشرة عن طريق البيعة الخاصة أولاً من قبـل الأشـياخ وأهل الحل والعقد وعلية القوم وقادة الجيش، وتبعتها البيعة العامة من قبل قادة العشائر والوجهاء الذين يفدون للقصر أو لمكان عام يخصص لذلك بقصر التهنئة والمبايعة كما حدث عندما تولـى السلطان أبو الحسن على المريني (731-749هـ/1331-1348م) الحكم بعد وفاة والـده أبـي سعيد عثمان (710-731هـ/1310-1331م)[1] .

وقد اتخذ سلاطين بني مرين شارات معينة اقتضتها أبهة الملك أهمها:

أولاً:- اتخاذ الآلة كنشر الألوية والرايات وقرع الطبول[2] خلال مسير السـلطان فـي المواكب التي تسمى السّاقَة[3]، وشملت الآلة السيوف والرماح والخيل والنفخ في الأبواق[4].

واختلف عدد الرايات والطبول من فترة إلى أخرى، وبلغت في أيام السلطان أبي الحسـن علي المريني مائة طبل ومائة من البنود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغـير[5]، وتعتبر راية العلم المنصور الراية الرئيسية في المواكب وقد صنعـت مـن الحريـر الأبيـض وطرزت بخيوط الذهب وعلتها آيات قرآنية، وحملت بين يدي السلطان في المواكب الرسمية[6].

---

(1) **ابن خلدون:** العبر ، ج7 ، ص252 .

(2) **القلقشندي:** صبح ، ج2 ، ص134 .

(3) **ابن خلدون:** المقدمة ، ص259 .

أنظر أيضاً:- **المنوني:** ورقات، ص157.

(4) **القلقشندي:** صبح ، ج5، ص(206-207).

أنظر أيضاً:- **أبو خليل:** الحضارة ، ص236.

(5) **ابن خلدون:** المقدمة، ص260.

(6) **القلقشندي:** صبح ، ج5، ص206 .

أنظر أيضاً:- **المنوني:** ورقات، ص156.

ثانياً:- السكة: وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديدي ينقش عليه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة[1] ، وقد نقش المغاربة بشكل عام والمرينيون خصوصاً على عملتهم اسم السلطان وعبارات دينية[2] .

ويعتبر السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني أول من اهتم بالسكة وعمل على تنظيمها حيث اختار النقد الموحدي المنسوب لمحمد الناصر (ت 610هـ/1213م) رابع خلفاء الموحدين نموذجاً وضرب عليه النقد المريني الجديد سنة 674هـ/1275م[3] ، وقد صنع المرينيون معظم نقدهم من الذهب والفضة حيث استوردوا الذهب من بلاد السودان والفضة من المناجم المحلية المغربية[4] .

وتألفت السكة المرينية من الدينار الذهبي حيث بلغ وزنه أربعاً وثمانين حبة *[5] وتجزأ إلى نصف وربع وثمن دينار ، أما الدينار الفضي فقد تكون من عشرة دراهم صغار، وبلغ وزن الدرهم الفضي الكبير أربعاً وعشرين حبة شعير[6] ، واعتبر الدرهم الصغير نصف حجم الدرهم

---

(1) **ابن خلدون:** المقدمة، ص261.

(2) المصدر نفسه، ص262. للاطلاع على نماذج من العملة المرينية، أنظر **شكل رقم** (6) ، ص240.

(3) **المنوني:** ورقات، ص127.

(4) **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص289.

*(5) **الحبة:-** هي وزن حبة الشعير العربية وتساوي 100/1 من **المثقال** ، والمثقال يساوي 4,722 غرام ، **هنتس:** المكاييل ، ص18 ، 25 .

(6) **المنوني:** ورقات، ص127.

الكبير، ومن الجدير ذكره أن مثاقيل الذهب لم تختلف أوزانها[1] ، وسكت الدولة المرينية الدينار الذهبي التذكاري والذي بلغ وزنه مائة دينار عن الدينار الذهبي العادي ، وقد سكه السلطان أبو عنان فارس خلال فترة حكمه بهدف تقديمه للشخصيات المرموقة في الأعياد الدينية[2] ، ووجدت عملات أخرى أصغر مصنوعة من النحاس[3] .

ومن المدن التي كانت تضرب بها النقود فاس ، سجلماسة ، مراكش ، منصورة تلمسان، أزمور ، سبتة ، مكناس[4] ، اغمات *[5] ، سلا[6] .

وأولى المرينيون أيضاً الموازين والمكاييل والمقاييس جل اهتمامهم ، وقد حدد السلطان يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م) أوقية*[7] الرطل*[8] المريني بمقدار تسعة وستين درهماً[9] ، وقال القلقشندي (ت 821هـ/1418م): " وأما رطلها من رطل إفريقية

---

[1] **القلقشندي**: صبح ، ج5، ص177.

[2] **المنوني**: ورقات، ص128.

[3] **الغنيمي**: موسوعة، ج5، ص289.

[4] **المنوني**: ورقات، ص130.

*[5] **أغمات**:- مدينة تقع قرب مراكش وعلى بعد أربعة مراحل من المحيط الأطلسي والسوس الأقصى، **الحموي**: معجم ، ج1، ص181.

[6] **الغنيمي**: موسوعة، ج5، ص289. أنظر **مواقع هذه المدن** على خارطة رقم (3) ، ص229.

*[7] **الأوقية**:- تساوي الأوقية 12/1 من الرطل ، وبلغت الأوقية الشرعية وزناً أربعون درهماً أي 125غرام ، وحددت الأوقية في مصر مثلاً بإثني عشر درهماً أي ما يعادل 37.5 غرام ، **هنتس**: المكاييل ، ص19 .

*[8] **الرطل**:- يبلغ الرطل اثنتي عشرة أوقية ، وفي مدينتي فاس ومراكش بلغ 16 أوقية، وبلغ وزن كل أوقية هناك 453.3 غرام ، **هنتس**: المكاييل ، ص30 ، 37 .

[9] **المنوني**: ورقات، ص136.

وهي كل رطل ستة عشر أوقية وكل أوقية أحد وعشرون درهماً من دراهمها "[1] ، وأمر السلطان يوسف بن يعقوب سنة 693هـ/1293م بتعديل الصيعان*[2] المرينية وجعلها على مد النبي*[3] عليه السلام وذلك بدعم من الفقيه عبد العزيز الملزوزي المكناسي ، وقد أجرى سلاطين بني مرين فيما بعد تعديلات على المد النبوي[4] ، كما اعتمد المرينيون الذراع كأداة للقياس[5] .

ثالثاً:- الخاتم: وهي من الخطط السلطانية المختصة بالختم على الرسائل والصكوك ، ويستخدم من أجل ذلك خاتم يوضع في الإصبع مصنوع من الذهب ومرصع بالياقوت والزمرد والفيروز يلبسه السلطان أو من ينوب عنه كشارة من شارات الملك[6] ، وأول من استعمله النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) حينما وجه كتبه إلى ملوك وأمراء عصره يدعوهم فيها إلى الإسلام[7] .

---

(1) **القلقشندي:** صبح ، ج5، ص177.

*(2) **الصاع الشرعي:-** يتألف من أربعة أمداد ، **هنتس:** المكاييل ، ص63 .

*(3) **المد النبوي:-** كان يساوي 4/1 من الصاع أو رطلين بغداديين من أرطال المدينة ، وبلغ المد في فاس ثمانون أوقية وكل أوقية 41.6غرام ، أي ما يعادل 4.32 لتر ، **هنتس:** المكاييل ، ص(74-75).

(4) **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص384 ، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص(90-91). أنظر **المد المريني**، شكل رقم (7)، ص240.

(5) **المنوني:** ورقات، ص141.

(6) **ابن خلدون:** المقدمة، ص266.

(7) **القلقشندي:** صبح ، ج2 ، ص132 .

أنظر أيضاً:- **الرفاعي:** الإسلام ، ص98 ، **أبو خليل:** الحضارة ، ص236،325.

رابعاً:- **الطراز:** وهو أيضاً من شارات الملك وعلامات الأبهة، وهو رسم اسم الملك أو شعاره على الثياب المعدة له وفي ذلك يقول ابن خلدون: " وأما لهذا العهد فأدركنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنفوانها وشموخها رسماً حليلاً لقنوه من دولة ابن الأحمر معاصرهم بالأندلس " [1] .

أما فيما يتعلق بتسيير شؤون الحكم فقد باشر العظماء من سلاطين بني مرين التعامل مع القضايا المهمة بأنفسهم[2] سواء من خلال مجلس الفصل بمشور القصر الملكي أو في مجلس الشورى أو في مجلس العرض أو في قبة العدل في كل من سبتة وتلمسان[3] ، وساعد السلطان في ذلك هيئة استشارية تنفيذية مكونة من:-

1- **ولي العهد:** يعد الشخصية الثانية من حيث الأهمية بعد السلطان ، وينوب عنه في حالة غيابه عن أرض الوطن، وقد اختار السلطان أبو الحسن علي المريني ابنه وولي عهده أبو عنان فارس لينوب عنه في حكم البلاد أثناء حملته سنة 749هـ/1348م على بلاد المغرب الأوسط وإفريقية[4] ، والعهد كتاب يكتبه الخليفة أو السلطان ، ويختمه بخاتمه وخواتم أهل بيته ويحفظ في مكان أمين حتى يؤخذ به بعد موته[5] .

---

(1) **ابن خلدون:** المقدمة، ص267.

أنظر أيضاً:- **أبو خليل:** الحضارة ، ص236 ، 325 .

(2) **العبادي:** دراسات، ص208.

(3) **المنوني:** ورقات، ص(81-82).

(4) **القيمي:** موسوعة، ج5، ص270.

(5) **الرفاعي:** الإسلام ، ص(96-97) .

2- **الوزير:** هو أحد أعضاء المجلس الاستشاري التنفيذي للسلطان وتعد وزارته أم الخطط السلطانية[1] ، وتعادل منصب رئيس الوزراء في أيامنا هذه وترجع إليه مهمة الإشراف على السلاح ورئاسة الجيش والحرب[2] ، ويحافظ على الأمن وينظر في الولاة والجبايات[3]، ويباشر الحكم في بعض الشكايات[4] ، وزيادة في توثيق أواصر العلاقات بين الوزراء وسلاطين بني مرين ارتبطوا فيما بينهم برباط النسب ، ومثال ذلك قيام الوزير عمر بن عبد الله بن علي الياباني (ت 768هـ/1367م) بالزواج من أخت السلطان أبي سالم إبراهيم المريني (760-762هـ/1359-1361م)[5].

3- **صاحب الشرطة العليا:** (الحاجب) أسماه ابن خلدون (808هـ/1405م) المزوار وهو " المقدم على الجنادرة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته وإنزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجونه والعريف عليهم في ذلك، فالباب له وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع إليه، فكأنها وزارة صغرى" [6] ، ويقع على عاتق صاحب

---

(1) **ابن خلدون:** المقدمة، ص236.

(2) المصدر نفسه، ص242.

(3) **المنوني:** ورقات، ص83.

(4) **العبادي:** دراسات، ص210.

(5) المرجع نفسه، ص209.

(6) **ابن خلدون:** المقدمة، ص242.

الشرطة العليا مهمة تنظيم المقابلات السلطانية[1] ، وتوصف هذه الوظيفة بأنها تنظيمية لا تتداخل مع وظيفة الوزير[2] .

ومن السلاطين الذين أعطوا هذا المنصب أهمية كبرى السلطان يوسف بن يعقوب (685-706هـ/1286-1306م) حيث "كان غليظ الحجاب لا يكاد يوصل إليه إلا بعد جهد"[3]، وكان يتم اختيار الحجاب من موالي الدولة المخلصين والمجربين[4] .

4- **صاحب الأشغال:** تولى أمر الجباية والخراج وديوان الجيش وأشرف على إحصاء العساكر وتقدير أرزاقهم وخطه معتبر في صحة الحسابات في الجباية والعطاء[5] ، ومن الأسماء التي برزت في تولي هذه الخطة أبو محمد عبد الله بن أبي مدين العثماني وأبو الحسن القبائلي أيام السلطان أبو الحسن[6].

5- **صاحب العلامة:** يتولى الكتابة بخطه نيابة عن السلطان ويضع علامته على الكتب الرسمية، ومن أبرز من تولى هذه الخطة عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1405م) في عهد

---

(1) **المنوني:** ورقات، ص83. **الرفاعي:** الإسلام ، ص119 .

(2) **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص27، لمزيد من التفاصيل عن تاريخ مؤسسة الشرطة في الإسلام أنظر، **أبو خليل:** الحضارة ، ص(310-316).

(3) **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص88.

(4) **ابن خلدون:** المقدمة، ص252.

(5) المصدر نفسه، ص245 .

أنظر أيضاً:- **المنوني:** ورقات، ص83 ، **العبادي:** دراسات، ص210.

(6) **العبادي:** دراسات، ص211.

السلطانين أبي عنان فارس(749-759هـ/1348-1358م) وأخيه أبي سالم إبراهيم سنة (760-762هـ/1359-1361م)[1] .

تولى كثير من سلاطين بني مرين هذا الأمر بأنفسهم ، فإذا كانت العلامة: "وكتب في التاريخ المؤرخ به، فهي بخط السلطان" ، وإذا كانت: "وكتب في التاريخ فهي بخط صاحب العلامة ، وكانت توضع أسفل المكتوب وترسم بخط غليظ " [2] ، وتعتبر هذه المهمة من ملحقات خطة الكتابة ، ويعد صاحبها من المقربين للسلطان لدرجة أنه كان يأمره بالمبيت عنده في الحالات الهامة[3] ، وكان يتم انتقاء هؤلاء بعناية من بين " بعض البيوت المصطنعين في دولتهم "[4] .

وساعد السلطان أيضاً عدد من المعاونين، تولوا مهام مختلفة مثل: صاحب السقيف وهو المسؤول عن مخزن السلاح الرئيسي للدولة، وكذلك قائد الأساطيل ويسمى البلمند (الملند)[5] ، ومن أبرز من تولوا هذا المنصب على سبيل المثال لا الحصر القائد يحيى الرنداحي الذي تولى قيادة الأسطول في سبتة سنة 720هـ/1320م ، كما برز في عهد السلطان أبي الحسن القائد محمد بن علي (ت 749هـ/1348م)[6] .

---

(1) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص305 ، **الناصري:** الاستقصا، ج4، ص39 .

أنظر أيضاً:- **العبادي:** دراسات، ص305.

(2) **المنوني:** ورقات، ص84 . **العبادي:** دراسات، ص216.

(3) **العبادي:** دراسات، ص213.

(4) **ابن خلدون:** المقدمة، ص242.

(5) المصدر نفسه، ص252 ، **المنوني:** ورقات، ص85.

(6) **العبادي:** دراسات، ص388.

وهناك أيضاً رئيس الجهاد في الأندلس وهو القائد العسكري المنتدب من قبل السلطان المريني لقيادة الجيش المغربي في الجهاد مثل القائد أبي الحسن علي بن يوسف بن يزكاتن الذي عقد له السلطان يوسف بن يعقوب على الجيش المريني في الأندلس سنة 685هـ/1286م[1] وينضاف إلى هؤلاء أمين دار السكة[2] .

أما الموظفون الرئيسيون في كل ولاية من ولايات *[3] الدولة:-

- صاحب القصبة: وهو ممثل السلطة الرسمي في الولاية[4] .

- الوالي: ومهمته متابعة ومراقبة تنفيذ القوانين والأنظمة[5] ، وجباية الضرائب ، والإشراف على الحرس المحلي[6] .

- صاحب الشرطة ومهمته الوقوف على الجرائم ، وإقامة الحدود والعقوبات[7] ، ويأتمر بأمر الوالي[8] .

---

[1] **المنوني:** ورقات، ص86.

[2] **الوزان:** وصف، ج1، ص283.

*[3] كانت الدولة المرينية في عهد يعقوب بن عبد الحق تقسم إلى **ثمانية ولايات** (مناطق إدارية) وهي: 1- مراكش وأعمالها وجميع بلاد السوس 2- منطقة اغمات وتينمل 3- سلا وأحوازها 4- مكناسة وأحوازها 5- فاس 6- رباط تازا وجميع أحوازها 7- سجلماسة 8- بلاد درعة وأحوازها ، **ابن أبي زرع:** الذخيرة، ص87.

[4] **المنوني:** ورقات، ص88.

[5] **لاتورنو:** فاس، ص63.

[6] **المنوني:** ورقات، ص89.

[7] المرجع نفسه، ص(88-89).

[8] **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص273.

- القاضي: ويمتلك صلاحيات واسعة يمكن تلخيصها فيما يلي:- الفصل في الخصوم، والنظر في أموال المحجور عليهم، وتزويج من ليس لهن أولياء، والحكم في مصالح الطرقات والأبنية، ومباشرة التعزير وإقامة الحدود[1] ، وأسندت للقضاة أيضاً أحياناً مهمة السفارات إلى الدول المجاورة[2] ، وحرص بعض سلاطين بني مرين على الجلوس للنظر في المظالم التي ترفع إليهم " وقد جرت العادة أن يرتقب من له ظلامة موكب السلطان فيصيح بقوله: " لا إله إلا الله انصرني نصرك الله " ، فتؤخذ قصته وتدفع لكاتب السر، فإذا عاد جلس في قبة معينة لجلوسه ومعه أكابر أشياخه مقلدين السيوف، ويقف من دونهم على بعد مصطفين متكئين على سيوفهم، ويقرأ كاتب السر قصص أصحاب المظالم وغيرها فينظر فيها بما يراه "[3] ، وكان السلطان أبو الحسن على المريني يجلس يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع للنظر في المظالم بنفسه[4]، أما السلطان أبي عنان فارس (749-759هـ/1348-1358م) فكان يخصص يوم الجمعة للمساكين من الناس رجالاً ونساءً بحضور الفقهاء والقضاة[5].

ولم يهمل سلاطين بني مرين الناحية القضائية لدى الجند والعسكر ، إذ كان لديهم منصب يوازي ما يعرف حالياً بمفتي القوات المسلحة ، وقد شغل هذا المنصب في دولة السلطان أبي سالم إبراهيم (760-762هـ/1359-1361م) قاضي العسكر أبو القاسم محمد بن يحيى الأندلسي البرجي[6] .

---

(1) **المنوني:** ورقات، ص89.

(2) **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص272.

(3) **القلقشندي:** صبح ، ج5، ص206.

(4) **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص272.

(5) **ابن بطوطة:** تحفة ، ج2، ص760.

(6) **الناصري:** الاستقصا، ج4، ص39.

2- الجيش والأسطول .

أولاً: الجيش البري:-

استطاع المرينيون تنظيم جيشهم وجعلوا منه مؤسسة عسكرية قائمة بذاتها لا تستند إلى أي تميز قبلي أو عرقي خاص ، بدليل أنه كان مُطعماً بأجناس وعرقيات مختلفة[1]، وقد بلغ تعداد أفراد الجيش المريني البري في عهد السلطان أبي الحسن على المريني (731-749هـ/1331-1348م) مائة وأربعون ألفاً[2] .

وتكونت عناصره الرئيسية من مقاتلة بني مرين والقبائل الأخرى كبني حسان والعاصم والخلط وبني جابر والشبانات وغيرها، وقد اشتهر هؤلاء بشجاعتهم وصلفهم وهم في الغالب فرساناً[3] ، ولا يزال هذا النمط موجوداً إلى يومنا هذا فيما يعرف بفرقة البادية، هذا إضافة إلى عناصر فرعية كالأغزاز *[4] الذين بلغ تعدادهم ما يقارب ألف وخمسمائة فارس[5] ، والفرقة الأندلسية وتعدادها ألفا عنصر حيث عمل أفرادها نشابة، ففي دولة الوزير عمر بن عبد الله (ت 768هـ/1367م) شغل إبراهيم البطروجي قيادة المركب السلطاني وهو من نشابة

---

(1) **زبيب**: الموسوعة، ج3، ص94.

(2) **القلقشندي**: صبح ، ج5، ص209.

(3) **جوليان**: تاريخ، ج2، ص238

أنظر أيضاً:- **أبو ضيف**: أثر ، ص291

*(4) **الأغزاز**: هم أتراك مصريون دخلوا شمال إفريقيا في عصر الموحدين واستخدموا في الجيش أيام الخليفة يعقوب المنصور، وقد التحقوا بالخدمة في الجيش النظامي المريني وتكونت منهم فرقة خاصة ، **المنوني**: ورقات، ص99. **الخطيب**: معجم ، ص35 .

(5) **المنوني**: ورقات، ص99. **الخطيب**: معجم ، ص35 .

الأندلس[1] ، ومن عناصر الجيش أيضا النصارى الذين كانوا يخدمون فـي الجيـش المرينـي ، وقد بنى لهم السلطان يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م) معسكراً خاصاً بـهم سماه ربض النصارى[2] ، وعمل في صفوف الجيش المريني عناصر من أصول شامية ويمنيـة وهندية[3] وهؤلاء في الغالب رماة[4] إضافة إلى المماليك والخصيان[5] .

وأخيراً فإن المجاهدين المتطوعة كانوا يمثلون نخبة المقاتلة فـي الجيـش المرينـي ، وقد اختلف عددهم من موقعة إلى أخرى ، لأنهم ليسوا من الفرق النظامية في الجيش المريني[6].

قسم المرينيون الرتب القيادية في الجيش إلى أشياخ كبار وأشياخ صغار[7] ، أما الكبـار فهم الذين يقود الواحد منهم ألف جندي، وأما الصغار فهم الذين يقود الواحد منهم مائة جنـدي[8] ، وتقاضى الأشياخ الكبار في عهد السلطان أبي الحسن على المريني عشرين ألـف مثقـال مـن الذهب سنويا يأخذها على شكل إقطاعيات من القبائل والقرى والضياع والقلاع ، ويتحصل لـه

---

(1) **الناصري:** الاستقصا، ج4، ص42.

(2) **جوليان:** تاريخ، ج2، ص238.

(3) **النميري:** فيض ، ص106.

(4) **جوليان:** تاريخ، ج2، ص238.

(5) **المنوني:** ورقات، ص100.

(6) المرجع نفسه، ص101.

(7) **القلقشندي:** صبح ، ج5، ص203.

(8) **المنوني:** ورقات، ص101.

نحو عشرين ألف وسق*[1] من القمح والشعير والحبوب الأخرى ، إضافة لمكرمـــات ســنوية مثل: حصان مجهز بسرج ولجام ، وكذلك سيف ورمح محليان ، وبقجـــة قمـاش فيـها ثيـاب فاخرة[2] .

أما الأشياخ الصغار فكان لهم من الإقطاع والإحسان نصف ما للكبـار[3] مـع حصـان مجهز بسرج ولجام*[4] وكذلك سيف ورمح وكسوة[5] ، وكان لمدى قرب هؤلاء أو بعدهـم مـن السلطان تأثير في حجم تلك الأعطيات[6] ، وأما الجند العاديون فتراوحت أجورهم الشـهرية مـا بين ستة مثاقيل وستين مثقالاً من الذهب[7] ، وهدف هذا النمط الإقطاعي إلـى ربـط العسـكر بأملاكهم حتى يستميتوا في الدفاع عنها ، وقد عُرف الإقطاع في التاريخ الإسـلامي منـذ عـهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحتى نهاية العصر العثماني[8] ، وقد اشتهر هـذا النمـط مـن الإقطاع في الفترة الأيوبية بالإقطاع العسكري[9] .

---

*(1) **الوسق**: هو حمل البعير، ويساوي ستون صاعاً أي ما يعادل 194.3 كيلو غراماً من القمـح، **هنتـس**: المكـاييل، ص79.

(2) **المنوني**: ورقات، ص102.

(3) **القلقشندي**: صبح ، ج5، ص204.

*(4) **السرج**:- هو ما يقعد عليه الراكب على ظهر الفرس ومنها ما يكون مغشى بالمعادن النفيسة ، أما **اللجام** فهو عبارة عن قطعة معدنية تكون في فك الفرس لمنعه من الجموح ، **القلقشندي**: صبح ، ج2 ، ص135 .

(5) **المنوني**: ورقات، ص102.

(6) **القلقشندي**: صبح ، ج5، ص204.

(7) المصدر نفسه، ص(204-205).

(8) **الخطيب**: معجم ، ص37 .

(9) للإطلاع على تفاصيل **الإقطاع العسكري**، أنظر **حسين**: الجيش ، ص(129-143).

وفيما يتعلق بزي الجيش المريني فقد كان السلطان المريني يلبس خـــلال الحـــرب زيـــاً خاصاً متميزاً، وأكثر من اهتم بذلك السلطان أبو عنان فارس المريني (749-759هـــ/ 1348-1358م)[1] الذي لبس البرنس – غطاء الرأس – الأبيض في أوقات الحرب[2] ، وينطبـــق ذلـــك على قادة الفرق حيث احتفظ كل واحد منهم بزيه الخاص أيضاً[3] ، بينما ارتدى الجندي العـــادي عمامة طويلة مصنوعة من الكتان وفوقها قطعة من القماش وانتعل في رجليه حذاءً يسمى لـــدى الزناتيين بالأنمقة ، يُشد بالمهاميز *[4] [5] .

---

[1] **النميري**: فيض ، ص107.

[2] **المنوني**: ورقات، ص102.

[3] **النميري**: فيض ، ص106.

*[4] **المهماز**:- آلة من الحديد في رجل الفارس، يستخدمها لحث الفرس على العدو، **القلقشندي**: صبح، ج2، ص136.

[5] **المنوني**: ورقات، ص102 ، **أبو ضيف**: أثر ، ص238.

أما معسكرات الجيش المريني فقد عرفت بخيامها المرقمة والمكسوة بالقماش الشامي والعراقي ، وتميزت أقبية كل فرقة بلون وراية وشعار خاص بها[1] ، وأما الأسلحة المستعملة في الجيش المريني فكثيرة ومنها: الأنفاط والمجانيق *[2] والدبابات*[3] والقسي*[4] والسهام والسنان والقنا*[5] والسيوف والمعاول والفؤوس والمصفحات*[6] والدروع الجلدية[7] .

---

(1) النميري: فيض ، ص106.

*(2) **المجانيق**:- جمع منجنيق ، وهي آلة من آلات الحصار أخذها العرب عن الفرس والروم ، وتستخدم في ضرب الأسوار والقلاع ، وأول من استخدمها من العرب ملك الحيرة جذيمة الأبرش سنة 366 ق.هـ ، **القلقشندي**: صبح ، ج2 ، ص(143-144) ، وانظر أيضاً **الرفاعي**: الإسلام ، ص(197-198) ، **أبو خليل**: الحضارة ، ص362 ، **عواد**: الجيش ، ص(490-500) ، أنظر نماذج من المجانيق الإسلامية وأحد أشكال الدبابة، **شكل رقم (1)**، ص238.

*(3) **الدبابة**:- آلة هجومية جماعية استخدمها المصريون القدماء وهي أقل تطوراً من المنجنيق وهي عبارة عن آلة من الخشب مغلفة بالجلد وتركب على عجلات ، ويصعد عليها المحاربون وبأيديهم آلات تهشيم الأسوار ، ومن جانبها تقوم الدبابة بنطح السور والمساهمة في تهشيمه ، **حسين**: الجيش ، ص(308-309) ، **الرفاعي**: الإسلام ، ص198، **أبو خليل**: الحضارة ، ص312 ، **عواد**: الجيش ، ص(501-503) .

*(4) **القسي**:- من أنواع السيوف التي عرفها العرب منذ العصر الجاهلي ، وتنسب إلى جبل معروف باسم قساس بأرمينيا مشهور بمعدن الحديد ، **ابن الخطيب**: معجم ، ص351 .

*(5) **القنا**:- رماح أصلها من الهند كانت تأتي للعرب عن طريق بلاد البحرين ، **القلقشندي**: صبح ، ج2 ، ص140، أنظر أيضاً ، **عواد**: الجيش ، ص(478-479) .

*(6) **المصفحات**:- الدروع المتخذة من صفائح الحديد وتستخدم لحماية الصدر والظهر والرقبة، **القلقشندي**: صبح، ج2، ص143 .

(7) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص312 ، **النميري**: فيض ، ص107.

وقسم المرينيون جيشهم خلال الحرب إلى ميمنة وميسرة وقلب وساقة *[1] ، وتمركز السلطان إما في القلب أو الساقة [2] ، محفوفاً بفرقة للحراسة سميت أهل الدائرة ، تحوط خيامهم بخيمته وعندما يتحرك الجيش لخوض الحرب يسلم السلطان بصفته القائد الأعلى للجيش القائد العسكري الميداني راية كتانية صغيرة بيضاء تكون بمثابة صورة مصغرة عن العلم الملوكي ، تحمل في مقدمة الجيش وتوضع في أعلى الحصون والمواقع التي يتم فتحها[3] .

ومن تقاليد الجيش المريني في الحروب أن يتقدم الشعراء الصفوف يتغنون بقصائد البطولة[4] ، وكانت عائلات الجند ترافقهم أحياناً بالمراكب والقباب كما حدث في معركة إيسلي مع الزيانيين سنة 647هـ/1250م[5] ، ورافقت النساء أحياناً أخرى الجيش محمولة على الهوادج كما حدث في معركة وادي تلاغ سنة 666هـ/1268م مع الزيانيين ، وذلك بهدف استنهاض الهمم والاستماتة في القتال[6] .

وخلال الحرب كان المرينيون يمارسون فناً خاصاً يقوم على استخدام الدروع الجلدية والخيل الخفيفة ذات الركاب المرتفع ، واعتماد الحركات والوثبات السريعة، وهذا ما جعل

---

*[1] **الساقة**:- موقع في وسط مؤخرة الجيش ، يتخذ للتمكن من تنظيم الجند وفرقه في حالات الاضطراب ، **حسين**: الجيش ، ص146، **أنظر شكل رقم (3)** ، ص238.

[2] **المنوني**: ورقات، ص103.

[3] **جوليان**: تاريخ، ج2، ص238.

[4] **ابن خلدون**: المقدمة، ص258.

[5] **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص184.

[6] **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص(115-116) ، **ابن خلدون**: العبر، ج7، ص180 ، **النميري**: فيض ، ص107، 115.

الإسبان يقتبسون هذا الفن الحربي ويطبقوه على بعض فرقهم التي سموها بنفس الاسم Zenetes أي الزناتيون، وتطور هذا اللفظ في اللغة الإسبانية إلى Jinete ويستعمل الآن بمعنى الفارس[1].

واستمتع السلطان المريني في وقت السلم بمشاهدة بعض العروض والمناورات العسكرية، فقد كان يخرج إلى مكان فسيح في الصحراء ويقوم الفرسان بتمثيل وقائع الحرب أمامه فتبدو وكأنها حقيقية وذلك بهدف جعل الجند في حالة تأهب واستعداد دائمين، ثم يعود في موكبه إلى قصره وتتفرق العساكر[2].

---

(1) **العبادي:** في تاريخ ، ص17.

(2) **القلقشندي:** صبح ، ج5، ص205.

ثانياً: الأسطول.

تكون الأسطول المريني من مجموعة من القطع البحرية توزعت على موانئ الدولة كسبتة وطنجة وسلا وبادس[1]، وأهم ما تتكون منه هذه القطع القرقورة *[2] والشيني*[3] والطريدة*[4] والقارب[5] والكلاليب المعدنية التي كانت تستخدم لإعاقة حركة السفن المعادية والحراقات*[6][7] .

وكان أول من اهتم بالأسطول السلطان يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م) الذي أمر ببناء دار صناعة السفن بسلا، ولعب محمد بن علي بن عبد الله الإشبيلي (ت 714هـ/1314م) دوراً رئيسياً في عملية البناء[8] ، وواصل السلطان يوسف بن يعقوب (685-706هـ/1286-1306م) الاهتمام بصناعة السفن والقوارب السريعة في سلا، وقام ببناء

---

[1] **المنوني**: ورقات، ص107، للاطلاع على نشأة الأسطول الإسلامي ، أنظر **الرفاعي**: الإسلام ، ص(205-210) .

*[2] **القرقورة**:- مركب بحري كبير تعود صناعته إلى الفرس ، **الخطيب**: معجم المصطلحات ، ص305 ، ويستخدم للدعم اللوجستي ، **الرفاعي**: الإسلام ، ص311 .

*[3] **الشيني**:- سفينة كبيرة لنقل الأفراد ، وتسمى أيضاً الغراب ، **حسين**: الجيش الأيوبي ، ص342 ، وكان أول من استعملها القرطاجيون والرومان للأغراض الحربية والتجارية ، ولها ساريتان وتسير بالشراع أو المجاذيف ، وسميت بذلك لأن مقدمتها تشبه الغراب ، **الخطيب**: معجم ، ص330 ، **أبو خليل**: الحضارة ، ص373.

*[4] **الطريدة**:- سفينة خاصة بنقل الخيول تتسع لأربعين فرساً ، وتمتاز بصغر حجمها وسرعة جريانها، **حسين**: الجيش، ص341 ، **الخطيب**: معجم ، ص304 .

[5] **المنوني**: ورقات، ص(110-111).

*[6] **الحراقات**:- سفن خاصة بالأنهار ، **حسين**: الجيش ، ص344 ، وتحمل على متنها مجانيق قاذفة للنيران، **الرفاعي**: الإسلام ، ص212 .

[7] **النميري**: فيض ، ص108.

[8] **الطوخي**: مظاهر ، ص334.

دار للصناعة في تطوان سنة 685هـ/1286م ، ثم بنى سوراً لمدينة قصر المجاز (مصمـــــودة) بجوار طنجة سنة 686هـ/1287م وذلك بهدف تطوير عمل صناعة السفن فيـــها[1] ، وسـميت أحياناً دور صناعة السفن بدور الإنشاء[2] .

واهتم السلطان أبو الحسن على المريني (731-749هـ/1331-1348م) ببناء الأســـاطيل البحرية[3] حتى بلغ عدد سفنه أضعاف ما لدى النصارى الإسبان[4] ، فبنى الأبراج والمحـــارس والمناظر على طول الساحل المغربي وعلى الضفة الأندلسية ، وخاصة في محيط جبـل طـارق لحراسة الشواطئ المغربية والأندلسية من السفن المعادية[5] ، وعمل على تزويد السفن بالبحـارة المهرة والعدد والآلات اللازمة[6] .

وسار السلطان أبو عنان فارس(749-759هـ/1348-1358م) على نفس النهج فعمل على تجديد الأسطول المريني بعد نكبة أبيه أبي الحسن في القيروان سنة 749هـ/1348م[7] ووجـــه عنايته نحو جبل الفتح (جبل طارق) وبنى عليـــه ســوراً وزوده بـــالأقوات وشـــحنه بالرجـــال والسلاح[8].

---

(1) **العبادي:** دراسات، ص(380-381).

(2) المرجع نفسه، ص385.

(3) **المقري:** نفح ، ج6، ص120.

(4) **ابن خلدون:** المقدمة، ص256.

(5) **العبادي:** دراسات، ص(381-384).

(6) **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص246.

(7) **المنوني:** ورقات، ص108.

(8) **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص246.

3- الناحية الاقتصادية .

استفاد الاقتصاد المريني من حالة الاستقرار النسبي التي سادت الجبهة الداخلية فازدهر بجميع فروعه ومقوماته ، فعلى الصعيد التجاري لعبت الموانئ المرينية دوراً هاماً في عمليات الاستيراد والتصدير ، خاصة ميناء سبتة الذي كان يتعامل مع الحمولات التجارية من وإلى دول المشرق ومصر والدول الأوروبية من جهة ، وبلاد السودان الغربي والأوسط ، وجنوب الصحراء الكبرى من جهة أخرى[1] .

كما ساهمت المراسي المرينية بدور فاعل في حركة التجارة الداخلية والخارجية مثل: مرسى أنفا (الدار البيضاء) وأصيلا وطنجة وغساسة ، وسجلماسة التي يدخل منها التجار إلى السودان بالملح والودع والنحاس ويعودون بالذهب ، وقد ساهمت هذه المراسي أيضاً في تصدير الصوف والخرفان والخيل والجلود والأحزمة والقطن والشمع[2] ، واستورد المرينيون الأقمشة من الإسكندرية وتونس والعراق والجزيرة الخضراء إضافة إلى الذهب من السودان والفضة من جزيرة سردينيا[3] ، ولعبت قوافل الحجيج دوراً في عمليات الاستيراد والتصدير[4] .

وتشجيعاً لهذه التجارة فقد أقام أهل سبتة سبعة فنادق *[5] لخدمة النزلاء من مختلف الأجناس والمناطق ، كما أقيمت فنادق صغيرة انتشرت على طول الطرق التجارية وعلى

---

[1] **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص(287-288).

انظر أيضاً:- **زمامة:** أبو الوليد، ص53.

[2] **المنوني:** ورقات، ص145.

[3] المرجع نفسه، ص145.

[4] **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص287.

*[5] انظر وصف الفنادق وتصميمها واستعمالاتها لدى غالب: موسوعة ، ص(397-398) .

مسافات ثابتة قدرت باثني عشر ميلاً[1] ، وحرص المرينيون على احترام الاتفاقات التجارية مع دول الجوار وتأمين سلامة النقل البحري وحماية خطوط الملاحة واحترام التجار من كافة الجنسيات[2] .

وتطورت الصناعة مع اتساع العمران وتوفر المواد الخام وظهرت مؤسسات نقابية يرأسها نقابيون يدافعون عن حقوق الصناع والعمال ويسمون الأمناء[3] .

كما اهتم المرينيون بالزراعة والفلاحة فوزعوا الأراضي على الفلاحين وبنوا النواعير[4] ، واشتهرت زراعة الكتان والقطن والسكر والقمح والغلال والأشجار المثمرة[5] .

(1) **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص283.

(2) المرجع نفسه، ص287.

(3) **المنوني:** ورقات، ص147.

(4) للإطلاع على تفاصيل ذكر النواعير التي ابتناها أبو عنان ، أنظر **النميري:** فيض ، ص(174-181) ، وكانت الناعورة الكبرى على وادي فاس قد باشرت عملها في صفر سنة 686هـ/آذار 1287م ، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص89.

(5) **المنوني:** ورقات، ص148.

4- الحركة العمرانية وبناء المدن.

حرصت دولة بني مرين على تنشيط وتشجيع الحركة العمرانية في شتى أنحـــاء البــلاد خاصة بعد أن انتقل المرينيون من طور البداوة وشظف العيش إلى أبهـــة الحضـــارة والدولـــة ، فشهدت فترة حكمهم ظهور العديد من المدن الجديدة أهمها:

مدينة فاس الجديد:- تعتبر مدينة فـــاس العاصمـــة السياســية لدولـــة بنـــي مريـــن ، أسسها الثائر الشيعي إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحســن بـــن علـــي بـــن أبـــي طـــالب (ت 213هــ/828م) بعد أن فر مـــن أيـــدي العباســـيين فـــي وقعـــة فـــخ*[1] الشـــهيرة ســـنة 169هــ/785م إلى المغرب فبايعته قبيلة أوربة وغيرها بمدينة وليلي في جبـــل زرهـــون عـــام 172هــ/788م[2] فاختط عدوة الأندلـــس ســـنة 192هـــ/808م ، وعـــدوة القروييـــن ســـنة 203هــ/818م وبنى مساكنه فيها وشيد أيضاً جامع الشرفاء[3] ، وبعد موته دفن إدريس في جبـل زرهون[4] .

يعد الأمير أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق سنة 646هــ/1248م أول من نـــزل بمدينـــة فاس القديمة من المرينيين ، واتخذ منها حاضرة وقاعدة لاستكمال فتـــح بـــاقي مـــدن ومنـــاطق المغرب الأقصى[5] .

---

*[1] **فخ:-** تقع على بعد ثلاثة أميال من مكة المكرمة ، **ابن خلدون:** العبر، ج6، ص147.

[2] **ابن خلدون:** العبر، ج6، ص147 ، **القلقشندي:** نهاية ، ص159 .

أنظر أيضاً:- **أشباخ:** تاريخ، ج1، ص32، **أبو ضيف:** أثر، ص42، أنظر موقع **زرهون**، خارطة رقم(4)، ص230.

[3] **ابن خلدون:** العبر، ج4، ص(12-13) ، **الحميري:** الروض، ص434 ، **الوزان:** وصف، ج1، ص193.

[4] **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص21.

[5] **ابن خلدون:** العبر، ج6، ص147 .

أنظر أيضاً:- **المنوني:** ورقات، ص23.

وفي عهد أخيه أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م) ، تم تأسيس فاس الجديد أو المدينة البيضاء حيث بدء في بنائها في الثالث من شوال سنة 674هـ/1276م[1] ، فبنيت على مقربة من فاس القديمة على ضفة وادي الجوهر وغدير حمص*[2][3] .

أما السبب الذي دفع السلطان يعقوب لبنائها " أنه لما فتح جبل تينمل ، ومحيت منه بقية آل عبد المؤمن ، وتمهد له ملك المغرب ، واستفحل أمره وكثرت غاشيته ، رأى أن يختط بلداً ينسب إليه ويتميز بسكناه وينزل فيه حاشيته وأوليائه الحاملين لسرير ملكه "[4] .

ومن دوافع بنائها أيضاً ، موقعها المتوسط ذو الأهمية الاستراتيجية ، إذ شكل نقطة وصل بين مراكش في الجنوب والعدوة الأندلسية في الشمال وتلمسان في بلاد المغرب الأوسط[5] ، ويصف ابن أبي زرع (ت 741هـ/1340م) مدينة فاس بأنها " دار فقه وعلم ودين .... وبأنها أم بلاد المغرب في القديم والجديد "[6] .

قام السلطان يعقوب بجمع أهم المرافق في وحدة معمارية متكاملة ، فجمع بين القصر الذي يمثل مقر القيادة ومركز صنع القرار مع الجامع الذي يمثل المؤسسة الدينية ، إضافة إلى

---

(1) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص161 ، الأنيس، ص322 ، **ابن الأحمر**: روضة ، ص19 .

أنظر أيضاً:- **زمامة**: أبو الوليد، ص52 .

*(2) **وادي الجوهر وغدير حمص**:- اسم لواد واحد ينبع من غربي البلدة المعروفة باسم رأس الماء ، ويشق هذا الوادي فاس الجديد ، **ابن الأحمر**: روضة ، ص20 .

(3) **ابن الأحمر**: روضة ، ص20 ، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص44.

(4) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص161 ، **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص44.

(5) **الوزان**: وصف، ج1، ص282. **أنظر خارطة رقم (1)** ، ص227.

(6) **ابن أبي زرع**: الأنيس، ص32.

دار الضرب التي تمثل الناحية المالية ، وكأنه بذلك يريد الإمساك بزمام الدين والمال والسلطة في آنٍ واحد .

– القصر:– وكان يتألف من غرف واسعة مرتفعة ومجالس رسمية وغرف استقبال وتعلوه القباب العالية ، وأهمها قبة الرضا إضافة إلى البرك ذات المراكب وتحيط به البساتين المغروسة بالأشجار على اختلاف أنواعها[1] .

أما جدرانه فكانت مغطاة بالرخام والفسيفساء الملونة والجبس ، وصنع سقفه من الخشب المدهون، بينما كانت أرضياته مغطاة بالقيشاني *[2] الملون، وأثاثه من الفرش تكسوها الأقمشة الثقيلة والبسط السميكة التي كان يصنعها البربر وقطع قليلة من الأثاث الخشبي المحفور[3] .

– الجامع الكبير:– بناه السلطان يعقوب بن عبد الحق قريباً من القصر، وساهم الأسرى الإسبان في بنائه، وجمع في طرازه ما بين الفن المغربي والإسباني، وأشرف على بنائه أبو علي الأزرق والي مكناس ، وتم الانتهاء من بنائه وتشييد منبره في رمضان سنة 677هـ/كانون ثاني 1279م[4] .

---

[1] المنوني: ورقات، ص27.

*[2] القيشاني:– مصطلح معماري فني أطلق في العراق وإيران وتركيا على البلاطات الخزفية التي تغطي أرضيات وجدران الأبنية كلها أو جزء منها لزخرفتها وحمايتها من الرطوبة ، غالب: موسوعة ، ص322 .

[3] لاتورنو: فاس، ص(35–36).

[4] ابن أبي زرع: الذخيرة، ص162.

أنظر أيضاً:– المنوني: ورقات، ص28.

أجريت على الجامع إضافات عديدة أهمها: تعليق الثريا الكبرى به في ربيع الأول سنة 679هـ/تموز 1280م ، والتي قدرت زنتها بتسعة قناطير وخمسة عشر رطلاً ، وعدد كؤوسها مائة وسبعة وثمانون[1] .

– دار الضرب: شيدت بجوار القصر والجامع، وكانت قبل ذلك في قصبة النوار بفاس العتيقة[2]، وبنيت على هيئة بناء مربع محاط بغرف سكن العمال والمعلمين، وفي وسطه مقر ناظر الدار مع العدول والكتاب ، تجاوره دكاكين الصاغة ومقر المسؤول عن مراقبتها المحتفظ بقالب المعادن وأختام النقود ، بحيث لا يصنع خاتم أو أي شيء من الفضة أو الذهب إذا لم يكن المعدن مختوماً بقالبه[3] .

واحتوت المدينة على عدد من الإسطبلات ، بالإضافة إلى معسكرات الجيش التي تضم مسكن كبار الضباط ومراكز الوحدات المكلفة بحراسة القصر والمدينة وعلى رأسها قائدها إضافة إلى إسطبلات الخيول ومخازن السلاح[4] ، ومن ثم الوحدات السكنية لكبار رجال الدولة والتي كانت تشبه القصر في ترتيبها العام[5] ، "وأمر السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله عماله ووزرائه ببناء الديار بها فبنى كل واحد منهم داراً " [6] .

---

(1) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص162 .

أنظر أيضاً:– **المنوني**: ورقات، ص28.

(2) **لاتورنو**: فاس، ص36.

(3) **الوزان**: وصف، ج1، ص283.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص282

أنظر أيضاً:– **المنوني**: ورقات، ص(37–39) .

(5) **لاتورنو**: فاس، ص37.

(6) **ابن أبي زرع**: الذخيرة، ص162 ، **ابن الأحمر**: روضة ، ص20.

وقد اختط الناس بها الدور والمنازل وأجريت فيها المياه التي جلبت من عين عمير على مقربة من فاس[1] ، ولم تقل عمارة وحسن إتقان وجمال بعض تلك المنازل عن مثيلاتها من منازل كبار رجال الدولة التي بنيت من الرخام ، وأحيطت بالأسوار المبنية من الحجر المسمى العيسوي الذي لا يستجيب لقذائف المنجنيق ، وبني على كل ناحية منها برج أبيض اللون ، وأحيطت بتلك المنازل الحدائق والأشجار[2] .

كما شيدت في المنطقة الممتدة من باب القنطرة حتى باب عيون صنهاجة الأسواق التجارية والمرافق الخدماتية كالحمامات[3] ، وبني لاحقاً مسجد للسوق وحبست عليه كتب كثيرة على يد أبو محمد عبد الله الطريفي خلال فترة السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس (800-823هـ/1398-1420م)[4] ، وقد بدت الصبغة العسكرية على فاس الجديد واضحة وذلك من خلال التحصينات القوية التي زودت بها ومن خلال الأسوار المزدوجة والأبراج الكبيرة المربعة[5] ، وفي معرض إشارة الحسن الوزان (ت 939هـ/1532م) إلى قوة وجمال أسوار فاس الجديد فإنه لا يشير إلاّ إلى سوران فقط دون تحديد مواقعهما[6] ، وهذا ما ذهب إليه المنوني أيضاً في حديثه عن أبواب فاس الجديد قائلاً: أن السور الأول يحوي باب عيون

---

(1) **الناصري**: الاستقصا ، ج3 ، ص44 .

(2) **النميري**: فيض ، ص(96-97) .

(3) **ابن أبي زرع**: الذخيرة ، ص162 ، **ابن الأحمر**: روضة ، ص20 .

أنظر أيضاً:- **المنوني**: ورقات ، ص43 .

(4) **الناصري**: الاستقصا ، ج3 ، ص90 .

(5) **لاتورنو**: فاس ، ص39 .

(6) **الوزان**: وصف ، ج1 ص281 .

صنهاجة وباب الوادي ، بينما يحوي السور الثاني باب الجياف وباب السباع[1] ، وعدّ الباب الأخير أعظم أبواب فاس من الجهة الشمالية وكان على كل جانب منه زوجان من الأبراج المربعة تعتليها تماثيل لسباع[2] .

ورغم أن مدينتي فاس القديم والجديد منفصلتان إلاّ أنهما كانتا تمثلان وحدة متكاملة فالقديمة احتفظت بمظاهر العلم والصناعة والتجارة بينما أخذت الجديدة طابع الحكم والسلطة ، وفي الوقت الذي كانت فيه حمراء غرناطة مقر ملك بني الأحمر كانت البيضاء مقر ملك سلاطين بني مرين ومنها تصدر الأوامر وبها تعقد أعلام الجيوش[3] .

مدينة البنية:- مدينة عسكرية الطابع أمر السلطان يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م) ببنائها سنة 674هـ/1275م خلال جوازه الأول إلى الأندلس[4] ، وكان موقعها ملاصقاً للجزيرة الخضراء على ساحل بحر الزقاق[5] ، وبنى فيها السلطان القصور والجوامع والصوامع والحمامات والأسواق والقناطر في الطرقات مثل قنطرة وادي النجا وقنطرة مارين وغيرها[6] .

---

(1) **المنوني:** ورقات ، ص46 .

(2) **لاتورنو:** فاس ، ص37 .

(3) **زمامة:** أبو الوليد ، ص55 .

للاطلاع على وصف متكامل ومقارن بين فاس القديم والجديد، انظر **القلقشندي:** صبح ، ج5، ص(155-157).

(4) **الغنيمي:** موسوعة، ج1، ص277.

(5) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص194 ، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص42.

(6) **ابن أبي زرع:** الذخيرة، ص90.

وقد بنيت هذه المدن العسكرية لتكون مقرات للقيـادة ومعسـكرات للجنـد بعيـداً عـن الاحتكاك بالشعب ومضايقة الناس ، وينطبق على ذلك بناء مدينة القيروان على يد عقبة بن نـافع الفهري (ت 64هـ/682م)[1] .

مدينة تلمسان الجديد:- اختطها السلطان يوسف بن يعقـوب (685-706هـ/1286-1306م) بجانب تلمسان حاضرة دولة بني زيان في المغرب الأوسـط خـلال حصـاره لـها ، وسماها المنصورة وتلمسان الجديد ، حيث اكتمل بناؤها سنة 702هـ/1302م ، وبنـى فيـها قصوراً ودوراً وحمامات ونُزل ومستشفى وزرع فيها الأشجار والبساتين [2] .

وبهذه المناسبة قام السلطان يوسف بن يعقوب بإهداء الكعبة المشرفة مصـاحف مكللـة بالجوهر والياقوت[3] .

مدينة تطاوين:- بناها السلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف المرينـي (706-708هـ/1306-1308م) في أول محرم سنة 708هـ/حزيـران 1308م[4] بـهدف اتخاذهـا معسكراً للجند ، والمساعدة على حصار سبتة التي احتلها الغرناطيون[5] ، فكان بنـاء منازلـها بسيطاً غير محكم أما قصبتها فكان بناؤها محكماً وثيقاً[6].

---

(1) **غالب:** موسوعة ، ص363 .

(2) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص221، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص80.

أنظر أيضاً:- **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص323.

(3) **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص387.

(4) المصدر نفسه، ص392.

(5) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص237.

(6) **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص96.

وفي سنة 729هـ/1229م بنى السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقــوب المرينــي (710-731هـ/1310-1331م) البلد المسمى أفراك بالقرب من سبتة ، وكانت ذات طـــابع عسـكري أيضاً[1] ، وكذلك اختط السلطان أبو عنــان فــارس (749-759هــ/1348-1358م) مدينــة القاهرة على سفح جبل السكسيوي خلال حصاره لأخيه أبو الفضل محمد الثائر عليه وذلك ســـنة 754هـ / 1353م[2] .

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج7، ص247.

(2) المصدر نفسه، العبر، ج7، ص294، الناصري: الاستقصا ، ج3 ، ص190 .

5- الناحية العلمية والثقافية والدينية.

شكلت بلاد المغرب في العصر المريني ملاذا لكثير من المسلمين الذين أتوا من الأندلس فرارا من الزحف النصراني ، واستفادوا من أجواء الاستقرار التي سادت المنطقة وكان من بين هؤلاء عدد كبير من العلماء الذين باشروا العمل والتدريس في فاس ومراكش وسبتة وطنجة وغيرها ، فنهلوا من التراث الثقافي الذي خلفه المرابطون والموحدون واستفادوا من الانفتاح العلمي وظروف التشجيع والإبداع ، خاصة وأن بني مرين لم يقيموا دولتهم على فكر ديني معين، ولم يفرقوا بين العلماء على أساس توجهاتهم وأفكارهم الدينية والعلمية[1] .

ودعم المرينيون مؤسسات التعليم العالي حتى قيل أن جامعة فاس أقدم الجامعات في العالم ، قد ورثت تقاليد مدرسة القيروان[2] ، وقد كان ليعقوب بن عبد الحق وبنيه من بعده تاريخا حافلا للاهتمام بالعلم وتشييد المدارس واختطاط الزوايا ومخالطة أهل العلم وترفيع مكانهم في مجالستهم ومفاوضتهم في الإقتداء بالشريعة ، ومطالعة سير الأنبياء وأخبار الأولياء وقراءتها بين أيديهم[3] .

وشهد عصر بني مرين ظهور فطاحل العلماء والفقهاء وفحول الشعر والأدباء الذين انصهروا في هذه البيئة ، ومنهم ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م) الذي تتلمذ على يد السلطان أبي عنان فارس المريني (749-759هـ/1348-1358م) ، والعلامة ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) [4] .

---

(1) زمامة: أبو الوليد، ص44.

(2) الغنيمي: موسوعة، ج5، ص274.

(3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص105.

(4) النميري: فيض ، ص131.

كما ظهر من العلماء ابن عذاري المراكشي (ت 712هـ/1312م) ، وابن البناء*[1] (ت 721هـ/1321م) ، وابن أجروم*[2] ، (ت 723هـ/1323م) ، وابن رشيد السبتي*[3] (ت 733هـ/1333م) ، وكذلك ابن أبي زرع الفاسي (ت 741هـ/1340م) ، وعبد المهيمن الحضرمي*[4] (ت 749هـ/1348م) ، وابن الحاج (ت 774هـ/1372م) مؤلف كتاب فيض العباب ، وابن بطوطة (ت 779هـ/1377م) الذي كتب رحلته بتكليف من السلطان أبي عنان المريني وغيرهم[5] .

وليس أدل على هذا الزخم في كثرة العلماء من أن الأسطول المريني الذي غرق في أيام السلطان أبي الحسن علي المريني (731-749هـ/1331-1348م) في مياه تونس سنة 750هـ/1349م كان يحوي أربعمائة عالم من كبار علماء المغرب ومعهم كتبهم ومخطوطاتهم[6] .

---

*[1] **ابن البناء**، أحمد بن محمد:- ولد بمراكش سنة 654هـ/1256م ، رياضي وباحث، توفي سنة 721هـ/1321م، **الزركلي**: الأعلام ، ج1 ، ص222 .

*[2] **ابن آجروم** ، محمد بن محمد الصنهاجي:- ولد سنة 672هـ/1273م في فاس ، اشتهر برسالته الأجرومية وله مصنفات وأراجيز أخرى ، توفي في فاس سنة 723هـ/1323م ، **ابن العماد**: شذرات ، ج8 ، ص112 .

*[3] **ابن رشيد** ، محمد بن علي بن هانئ السبتي:- أصله من إشبيلية وهو من أهل سبتة ، عالم بالأدب ، توفي سنة 733هـ/1333م ، **خليفة**: كشف ، ج6 ، ص 47 .

*[4] **عبد المهيمن الحضرمي**:- ولد بسبتة سنة 676هـ/1277م ، عمل بالأدب والتاريخ ، وولي كتابة الإنشاء للسلطان أبي الحسن علي المريني ، وتوفي سنة 749هـ/1348م ، **الزركلي**: الأعلام ، ج4 ، ص169 .

[5] **النميري**: فيض ، ص17. الطوخي: مظاهر، ص331، **الغنيمي**: موسوعة، ج5، ص281.

[6] **ابن خلدون**: العبر ، ج7 ، ص(283-285) .

أنظر أيضاً:- زبيب: الموسوعة، ج3، ص97.

وبلغ اهتمام سلاطين بني مرين بالعلم والعلماء درجة كبيرة ، فدعوا إلى قصورهم كبار العلماء وفحول الشعراء والأدباء للمناظرة والمحاضرة ومطارحة الأفكار ، وكوفئ كل مبدع وفق إبداعه مالاً وخيلاً وكسوة وجواري ، مما شجع حركة التأليف والكتابة[1].

وكان أكثر من شجع على ذلك من سلاطين بني مرين أبو الحسن علي المريني وابنه أبو عنان فارس اللذان وجها اهتمامهما بعلوم القرآن والحديث إضافة إلى القانون والنحو ، حيث كان السلطان أبو عنان فارس نفسه فقيهاً وعارفاً وخبيراً بالمنطق وعلوم الرياضة والفلك وأصول الدين[2] ، وكان يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الفجر[3] .

وأولى سلاطين المرينيين عناية بالغة بخزانات الكتب وعينوا الموظفين عليها ووفروا الأموال لدعمها ، وقد أرسل السلطان يعقوب بن عبد الحق ثلاثة عشر حملاً من الكتب والمخطوطات التي استرجعها من نصارى إسبانيا سنة 684هـ/1285م إلى مكتبة الجامع الكبير بفاس ، وقام السلطان أبو عنان بتزويد مدينة فاس بأكبر خزانة للمطالعة عرفتها العاصمة العلمية في عهد بني مرين[4] .

وفي هذا السياق حرص المرينيون على تشييد المنشآت الثقافية وخاصة المدارس ونظموا الحياة العملية بها ، وكان في فاس إحدى عشرة مدرسة كثيرة الزخرف بالزليج*[5] والخشب

---

[1] **الوزان**: وصف، ج1، ص260.

[2] **الناصري**: الاستقصا، ج3، ص(205-206).

[3] **ابن بطوطة**: تحفة ، ج2، ص776.

[4] **النميري**: فيض ، ص132.

*[5] **الزليج**:- التسمية التي أعطيت للبلاط الخزفي المتحد مع الفسيفساء في المغرب والأندلس، **غالب**: موسوعة، ص216.

المنقوش[1] وكان يدرس بها العلم على نفقة الدولة وفق برنامج مدروس بحيث يتعلـــم التلامـــذة الصغار القرآن ومبادئ الحساب ، ثم يلتحقون بالمدارس والجامعات العليا مثل القرويين وكـان من حقهم اختيار مدرسيهم بأنفسهم[2] ، **وأهم المدارس المرينية:-**

مدرسة الصفارين:- من أقدم المدارس المرينية ، بناها السلطان يعقوب بن عبد الحــق سنة 670هـ/1271م بسوق النحاس في فاس وزودوها بمكتبة غنية ما لبثــت أن نقلــت كتبهــا ومخطوطاتها فيما بعد إلى مسجد القرويين*[3][4] ، وحوى وسط صحن المدرســة علــى بركــة مستطيلة الشكل اصطفت على جوانبها غرف الطلبة كما اشتمل المربع على محــراب[5] اعتلتــه منارة[6] .

وكلف السلطان يعقوب بن عبد الحق الفقيه أبا أمية الدلائي قاضي مدينة فـــاس بتنفيـذ مهمة بناء المدرسة ، وأمر أن يتم الإنفاق على مقرئيها ومدرسيها وطلبتها من جزية اليهود[7] .

مدرسة فاس الجديد:- بنيت سنة 720هـ/1320م بأمر من الأمير علي بن أبي ســعيد عثمان المريني (ت 752هـ/1351م) ونفذت بإتقان وجمال تامين ، وعين فيها الفقهاء لتدريــس

---

(1) **الوزان:** وصف، ج1، ص225.

(2) **الغنيمي:** موسوعة، ج5، ص99.

*(3) **مسجد القرويين:-** من أقدم مساجد المغرب ، بدء في إنشائه في القرن التاسع الميلادي من قبــل فاطمــة الفــهري (القيروانية) ، ومنها جاء اسمه ، **المنظمة:** الفن ، ج2 ، ص176 . للإطلاع على المخطط الهندسي لجــامع القرويين أنظر **البهنسي:** الفن ، ص198 ، شكل 102، أما النمط المعماري فيظهر في المرجع السابق ، ص195 ، شكل 87،91.

(4) **زبيب:** الموسوعة ، ج3، ص98 ، **لاتورنو:** فاس، ص28.

(5) **جوليان:** تاريخ، ج2، ص(240-241) ، **المنظمة:** الفن ، ج2 ، ص242.

(6) **لاتورنو:** فاس: ص44.

(7) **ابن أبي زرع:** الذخيرة، ص(162-163) ، أنظر بهو مدرسة الصفارين ، **شكل رقم (15)** ، ص245.

العلم فأمها الطلبة والدارسون ، وأجريت عليهم المرتبات والمؤن في كل شـــهر وحبــس عليـــها الرباع والضياع[1] .

مدرسة الصهريج:- سميت كذلك بسبب وجود بركة كبيرة من الماء في وسط صحنـــــها المستطيل[2] ، بنيت سنة 721هـ/1321م بفاس غربي جامع الأندلس في عـــهد الســلطان أبـــي سعيد عثمان بن عبد الحق المريني (710-731هـ/1310-1331م) وبني حولـــها ســقاية ودار وضوء ودار لسكن الطلبة ، وجلب الماء إلى ذلك كله من العين الواقعة قرب باب الحديـــد أحـــد أبواب مدينة فاس ، وأنفق في ذلك أموالاً تزيد على مائة ألف دينار ، ورتب لها الفقهاء للتدريـــس وأسكنها طلبة العلم والقراء وأجرى عليهم الإنفاق والكسوة[3] .

وهي عبارة عن مبنى صغير يحوي سقيفة تؤدي إلى صحن مستطيل محــــاط بالأروقـــة المشرفة على حجرات الطلبة وبيت صلاة محرابه يرتكز على عمودين وقد ازدانـــت المدرســـة بالزخارف النباتية[4] ، واحتضنت أروقتها فيما بعد مدرسة السبعين الصغيرة المختصـــة بتعليـــم القراءات السبع[5] .

مدرسة العطارين:- شيدت سنة 723هـ/1323م بأمر من السلطان أبي ســعيد عثمـــان (710-731هـ/1310-1331م)[6] ، بازاء جامع القرويين بفاس على يد الشيخ أبي محمد بـــن

---

(1) **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص(411-412) ، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص(111-112).

(2) **المنظمة:** الفن ، ج2 ، ص242 .

(3) **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص412 ، **الناصري:** الاستقصا ،ج3، ص112.

(4) **المنظمة:** الفن، ج2، ص243، أنظر مدخل بيت الصلاة في مدرسة الصهريج، **شكل رقم** (17)، ص246.

(5) **جوليان:** تاريخ، ج2، ص241 ، أنظر صورة عين مدرسة السبعين ، **شكل رقم** (16) ، ص246.

(6) **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص413 ، أنظر بهو مدرسة العطارين وثريا مصلاها ، **شكل رقم** (13) ، ص244.

عبد الله بن قاسم المزوار وكانت من أعجب ما صنع ، وأجرى بها الماء وشحنها بالطلبة ورتب فيها إماماً وسدنة ومؤذنين ، ورتب فيها الفقهاء وأجرى عليهم الأرزاق ووقف عليها أملاكاً كثيرة [1] ، وأبرز معالمها الفنية تتمثل في زخرفتها العجيبة بالخشب المحفور والجبس والقيشاني المدهون فكانت إحدى جواهر العمارة المرينية[2] .

المدرسة العظمى:- تقع في مراكش جنوب المسجد الأعظم *[3] ، وبنى هذه المدرسة السلطان أبو الحسن علي المريني (731-749هـ/1331-1348م) بشكل متقن ، فزخرف جوانبها وخرّمها وجعل عليها عدة أوقاف رصع أسماءها بالنقش على رخامة كبيرة ثم نصبها بالحائط الداخلي بهدف المحافظة على النقوش من الزوال[4] ، وقد زارها الرحالة ابن بطوطة (ت 774هـ/1377م) فقال عنها: " وبمراكش المدرسة العجيبة التي تميزت بحسن الوضع وإتقان الصنعة وهي من بناء أبي الحسن "[5] .

المدرسة المصباحية:- شيدها السلطان أبو الحسن علي المريني سنة 747هـ/1346م بفاس ، وتقع في جوف جامع القرويين ، وتحتوي على غرف للتدريس ، ولها ظلة من الخشب المنقوش ، وسميت بالمدرسة المصباحية نسبة إلى أبي الضياء مصباح بن عبد الله الياصلوتي

---

[1] **الناصري:** الاستقصا ، ج3، ص112.

[2] **لاتورنو:** فاس، ص29 ، **المنظمة:** الفن ، ج2 ، ص243 ، أنظر صورة محراب مدرسة العطارين في الصفحة ذاتها .

*[3] **المسجد الأعظم:**- بني في مراكش زمن الخليفة يعقوب المنصور الموحدي (ت 595هـ/1199م) ، **الناصري:** الاستقصا ، ج3 ، ص112 .

[4] **الناصري:** الاستقصا ، ج3، ص 112.

[5] **ابن بطوطة:** تحفة ، ج2، ص772.

الفقيه المشهور الذي كان أول من تصدى للدرس بها فنسبت إليه[1] ، وأشير إليها كثـــيراً باســـم المدرسة الرخامية بسبب نافورة رخامية كانت بها، أحضرها السلطان أبو الحسن من الأندلس[2].

المدرسة البوعنانية:- تعد من أعظم مدارس فاس وأجملها ، بناها السلطان أبو عنان بن أبي الحسن[3] سنة 756هـ/1355م[4] ، وتمتاز بروعتها وجمالها ، واحتوت على بركة فـــاخرة من الرخام ، يخترقها جدول مائي يسيل في قناة صغيرة مغطاة أرضيتـــها وحواشـــيها بالرخـــام والزليج ، وهناك ثلاثة أروقة تحيط بها أعمدة مثمنة الأضلاع مثبتة بالجدران مزدانـــة بمختلـــف الألوان ، والأقواس الواقعة بين الأعمدة مكسوة بالزليج والذهب واللازورد ، وسقفها من الخشـــب المنقوش ، وقد أقيم بين هذه الأروقة والصحن شبه شبابيك من خشب على شكل ستائر ، وجميـــع الجدران مكسوة بالزليج وعلى طولها كتابات شعرية منقوشة تسجل تـــاريخ تأســـيس المدرســـة وتمدح مؤسسها ، أما الأبواب الخارجية فكلها من البرونز ، وأبواب الحجـــرات مـــن الخشـــب المنقوش ، وفي القاعة الكبرى المخصصة للصلاة منبر ذو تسع درجات مصنوع كله من خشـــب الأبنوس والعاج[5] ، وتضيء كوى بلورية المصلى المكون من بلاطتين عرضانيتين بأطرافـــهما

---

(1) **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص176.

أنظر أيضاً:- **جوليان:** تاريخ، ج2، ص24.

(2) **لاتورنو:** فاس، ص43.

(3) **النميري:** فيض ، ص94، **ابن بطوطة:** تحفة ، ج2، ص762، أنظر: **البهنسي:** الفن، ص(60-61) ، شكل40، للاطلاع على صورة المدرسة البوعنانية وزلوية صحنها وزخارفها، **أنظر شكل** رقم (9)، ص241، **وشكل رقم** (10)، ص242.

(4) **زبيب:** الموسوعة، ج3، ص98 .

(5) **الوزان:** وصف، ج1، ص(225-226).

أنظر أيضاً:- **لاتورنو:** فاس، ص44، **جوليان:** تاريخ، ج2، ص241.

الهندسية المتداخلة على أكمل وجه ، وإلى جانب ذلك انتصبت ساعة لها ثلاثة عشر ناقوساً من البرونز تستعمل للتنبيه[1] .

اهتم المرينيون ببناء المؤسسات الدينية وخاصة المساجد منها ، وحرصوا على تجميلها وتجديد القديم منها ، بالإضافة إلى الزوايا والأربطة وغيرها ، وبلغ اهتمامهم بالناحية الدينية إلى درجة أنهم اتخذوا المساجد بصحن دورهم يعمرونها بالصلوات والتسبيحات والقرآء المرتبين لتلاوة القرآن[2] ، وبعثوا بالمصاحف الشريفة إلى المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال[3].

وعلى الصعيد المعماري ، فقد فرغ السلطان يوسف بن يعقوب المريني (685-706هـ/1286-1306م) من توسعة وإكمال بناء جامع تازا الكبير*[4] في سنة 693هـ/1294م[5] ، وعلقت به ثريا كبيرة من النحاس وزنها اثنين وثلاثين قنطاراً ، وعدد كؤوسها خمسمائة وأربعة عشر كأساً، وأنفق السلطان في ذلك ثمانية آلاف دينار ذهبي[6] .

كما بنى السلطان يوسف بن يعقوب سنة 696هـ/1296م مسجداً في تلمسان بالمغرب الأوسط أسماه مسجد سيدي أبي الحسن[7] .

---

(1) **جوليان:** تاريخ، ج2، ص241، لمزيد من المعلومات حول التفاصيل المعمارية للمدرسة البوعنانية أنظر **المنظمة:** الفن ، ج2 ، ص244 .

(2) **ابن خلدون:** العبر، ج6، ص105.

(3) **المقري:** نفح ، ج6، ص(135-136).

*(4) **جامع تازا الكبير:**- شيده الخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدي سنة 539هـ/1145م، **المنظمة:** الفن، ج3، ص222، ولمزيد من التفاصيل أنظر صفحة (235-236) .

(5) **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص75.

(6) **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص409.

(7) للاطلاع على التفاصيل الزخرفية والمعمارية أنظر ، **المنظمة:** الفن ، ج3 ، ص(232-233) .

وفي مطلع القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي بنى السلطان يوسف بن يعقوب مسجداً آخر ، عرف بالجامع الأحمر[1] ، وأكمل السلطان أبو الحسن بناء المسجد الذي بدأه السلطان يوسف بن يعقوب بالمنصورة، واستوحى هندسته من مسجد حسان *[2] بالرباط ، باستثناء الصحن المربع الشكل الذي شيده السلطان أبي الحسن على النمط المريني[3] .

كما بنى مسجد مدينة المنصورة بالقرب من تلمسان سنة 702هـ/1302م ، وفي هذا المسجد يتقابل ثلاثة عشر جناحاً بالعمق مع ثلاثة أجنحة معترضة ، وصحن هذا المسجد مربع الشكل[4] .

أما السلطان أبي الحسن المريني فقد أمر ببناء مسجد العباد *[5] قرب ضريح أحد الأولياء ويدعى سيدي بومدين في تلمسان سنة 740هـ/1339م ، وزينه بالفسيفساء الخزفي وزخرف جدرانه وسقوفه ذات التربيعات بطلاء من الجص المنقوش ، وعمل مصلاه من خمس

---

[1] **لاتورنو:** فاس، ص46، أنظر تفاصيله المعمارية والزخرفية لدى **المنظمة:** الفن ، ج2 ، ص237 .

*[2] **مسجد حسان:-** أسس هذا المسجد الخليفة يعقوب المنصور الموحدي (ت 595هـ/1199م) ، ولكنه لم يتم بناءه ، **المنظمة:** الفن ، ج3 ، ص228 .

[3] **جوليان:** تاريخ ، ج2 ، ص239.

[4] **البهنسي:** الفن ، ص202 ، للاطلاع على مدينة المنصورة وصومعة مسجدها ، أنظر **شكل رقم** (4) ، ص239.

*[5] **مسجد العباد:-** أنظر **شكل رقم** (4) ، ص239.

بلاطات ، ومحرابه المكون من فجوة ذات زوايا منتظمة محمول قوسها على اسطوانتين بتاجيهما الأبيض ، ويعلو المحراب قبة مقرنصة *[1] [2] .

كما بنى السلطان أبو الحسن المريني مسجداً آخر في فاس سنة 742هـ/1341م سمي باسمه [3] .

وبالقرب من مسجد العباد أهدى السلطان أبو عنان فارس سنة 754هـ/1353م زاهداً يدعى سيدي الحلوى – كان تولى القضاء بإشبيلية ثم احترف بيع الحلوى في تلمسان – مسجداً أطلق عليه اسم سيدي الحلوى وكان أصغر من مسجد سيدي بومدين ، واحتوى المصلى على ثمانية أعمدة من الجزع[4] .

هذا بالإضافة إلى كثير من الإضافات والإصلاحات التي قام بها سلاطين بني مرين على المساجد القائمة ، وخاصة جامع القرويين في فاس ، حيث تم ترميم الحائط الجوفي من باب الحفاء إلى بيت النساء منه سنة 669هـ/1270م فصرف عليه ما قيمته خلخالين من الذهب ، أما الحائط الشرقي من نفس المسجد فقد تم ترميمه سنة 682هـ/1283م بعد أن شارف على السقوط ، وتم الإنفاق عليه من مال الجزية والأعشار والأحباس[5] .

---

*[1] **المقرنصات:**– يشبه المقرنص الواحد إذا أخذ مفصولاً عن مجموعته محراباً صغيراً ، ويكون مرصوفاً بإتقان حتى تبدو المجموعة كأنها بيوت النحل ، **غالب:** موسوعة ، ص(397–398) ، أنظر **شكل رقم** (2) ، ص238.

[2] **جوليان:** تاريخ، ج2، ص(239–240)، **المنظمة:** الفن ، ج2، ص238، أنظر باب مسجد أبي مدين ونموذج من زخارفه **شكل رقم** (14) ، ص245 .

[3] للاطلاع على التفاصيل الزخرفية والمعمارية أنظر **المنظمة:** الفن ، ج2، ص240 .

[4] **جوليان:** تاريخ، ج2، ص240، للاطلاع على التفاصيل المعمارية والزخرفية لمسجدي سيدي الحلوى وبومدين أنظر، **البهنسي:** الفن، ص203، **المنظمة:** الفن، ج2، ص239، أنظر مسجد سيدي الحلوى، **شكل رقم** (5)، ص240.

[5] **ابن أبي زرع:** الأنيس ، ص(68–69).

وأمر السلطان يوسف بن يعقوب سنة 687هـ/1288م بإسراج ثريات الجامع المذكور خلال أيام العشر الأواخر من رمضان في كل سنة[1] ، وفي سنة 706هـ/1306م تم العمل على تبييض صومعته وإصلاحها وصقلها وبناء غرفة لمبيت المؤذنين والموقتين[2] .

أما في سنة 723هـ/1323م وسنة 725هـ/1325م فقد ألحقت بالمسجد بنايتان إحداهما مكتبة والأخرى عبارة عن مدرسة[3] ، وفي سنة 749هـ/1348م أمر السلطان أبو عنان فارس بأن ينصب بأعلى صومعة القرويين صاري من الخشب ينشر عليه مواقيت الصلاة وأمر بإضاءته ليتمكن المصلون من مشاهدته ليلاً[4] .

ونظر المرينيون إلى المباني الجنائزية كالأضرحة والمقامات بعين الاهتمام ، فبنوا عليها الزوايا والأربطة وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل وذوي الحاجات والأيتام وخاصة أيام عاشوراء[5] .

وأمر السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة 684هـ/1285م ولده الأمير يوسف (ت 706هـ/1306م) أن يبني على قبر جده عبد الحق بتافرطاست زاوية وجعل عليه أسنمة من

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس ، ص67 .

(2) المصدر نفسه ، ص(57-58).

(3) زبيب: الموسوعة ، ج3 ، ص101 .

(4) الناصري: الاستقصا ، ج3 ، ص207 .

(5) ابن أبي زرع: الذخيرة، ص91.

الرخام منقوشة بالكتابة ، ورتب عليها قراء القرآن ووقف على ذلك ضياعاً[1] وأرضاً تسع حـرث أربعين زوجاً[2] .

أعطى السلطان أبو الحسن في عهده رباط شالة*[3] المقام على قبور أمـراء وسـلاطين بني مرين بالقرب من رباط الفتح اهتماماً عظيماً فأحيط بسور مزخرف ، وبنـى بـالقرب منـه مسجداً ، وفي الحديقة المجاورة أقام السلطان ضريحـه الضخـم المبنـي بـالحجر المزخـرف والمرخم، والمتصل ببعضه بقطع من الرصاص[4] .

أما الزاوية المتوكلية فقد بناها السلطان أبو عنان على غدير حمص الملاصـق لمدينـة فاس الجديد[5] في منزل جميل مصبوغة بالأبيض ومزخرفة ، يقابلها مسجد إضافـة إلـى قبـة شامخة ، وأضاف إلى هذه الزاوية دور ملحقة للإمام والناظر ونزل الواردين والمطبـخ ، هـذا بالإضافة إلى زاوية النساء بسلا[6] .

---

(1) **ابن خلدون:** العبر، ج7، ص210.

(2) **ابن أبي زرع:** الأنيس، ص383 ، **الناصري:** الاستقصا، ج3، ص(64-65).

*(3) **شالة:-** أنظر خارطة رقم (6) ، ص232.

(4) **الوزان:** وصف، ج1، ص280.

أنظر أيضاً:- **جوليان:** تاريخ، ج2، ص240، **المنظمة:** الفن ، ج2 ، ص240 .

(5) **ابن بطوطة:** تحفة ، ج2، ص762.

(6) **النميري:** فيض ، ص(93-94).

نتـــائـــج البـــحـــث

أولاً:- لعبت المميزات الجغرافية والقبلية التي تتمتع بها بلاد المغرب بشكل عام وبلاد المغـــرب الأقصى بشكل خاص دوراً بارزاً في صياغة تاريخها ورسم خارطتها السياسية ، فمـــن الناحيـــة القبلية فقد ساد نوع من التجانس العرقي من خلال انتشار قبيلة زناتة البربرية من أقاصي شـــرق بلاد المغرب وحتى سواحل المحيط الأطلسي ، أما جغرافياً فقد ساهمت تضاريس ومنـــاخ بـــلاد المغرب في حصر التجمعات السكانية الرئيسية في المناطق الشمالية والوسطى من البلاد ، حيـث تتكاثر الموارد الطبيعية مما جعلها مصدر تنافس دائم بين القوى القبليـــة والسياســـية فـــي بـــلاد المغرب الأقصى ومثيلاتها في المغرب الأدنى .

ثانياً:- شكل البحر المتوسط محوراً هاماً من محاور الصراع الذي دار خلال العصور الوســطى بين دول حوض البحر المتوسط بهدف السيطرة عليه ، نظراً لأهميته من الناحيـــة الاســـتراتيجية والتجارية ، وقد تجلى هذا الصراع في معظم مراحل الفترة موضوع الدراسة.

ثالثاً:- إن أية قبيلة إذا ما توفرت لديها القيادة الحكيمة التي تمتلك الإرادة السياســـية ، وتحســـن استغلال الظروف المناسبة يمكنها أن تتحول إلى دولة مستقلة كما حدث مع قبيلة بنـــي مريـــن، التي استغل قادتها ضعف دولة الموحدين في المغرب ، وانهيار قواعدها في الأندلس ، فتمكنـــوا خلال ستين عاماً من إقامة دولة مستقلة على امتداد أراضي المغرب الأقصى.

رابعاً:- يتضح أن سر دوام الدول يكمن في وحدتها وترابط جبهتها الداخلية من جهة ، وفي قدرتها على إقامة علاقات سياسية تحقق مصالحها من جهة أخرى ، ونظراً لإدراك المرينيين لهذه الحقيقة وحرصهم على وحدة العالم الإسلامي ، فقد حرصوا على تمتين جبهتهم الداخلية وتوجيه طاقاتهم نحو حماية مملكة غرناطة الأندلسية المعرضة للانهيار ، فساهم ذلك في تعزيز استقلال غرناطة وإطالة عمرها ، وبالمقابل أدت سياسة غرناطة المتشككة تجاه المرينيين إلى تحالفها مع نصارى إسبانيا مما أدى إلى سقوط العديد من القواعد الأندلسية .

خامساً:- إن استغلال الخلافات الداخلية من قبل أي طرف معادٍ وتوجيهها في خدمة أهدافه الوطنية، يمكن أن يقلب موازين القوى لصالحه ، كما حصل عندما جيّر السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني الخلافات القشتالية القشتالية لخدمة الجهاد المريني بعد عبوره الرابع إلى الأندلس سنة 681هـ/1282م ، بهدف مناصرة الفونسو العاشر ملك قشتالة ضد ولده سانشو الثائر عليه.

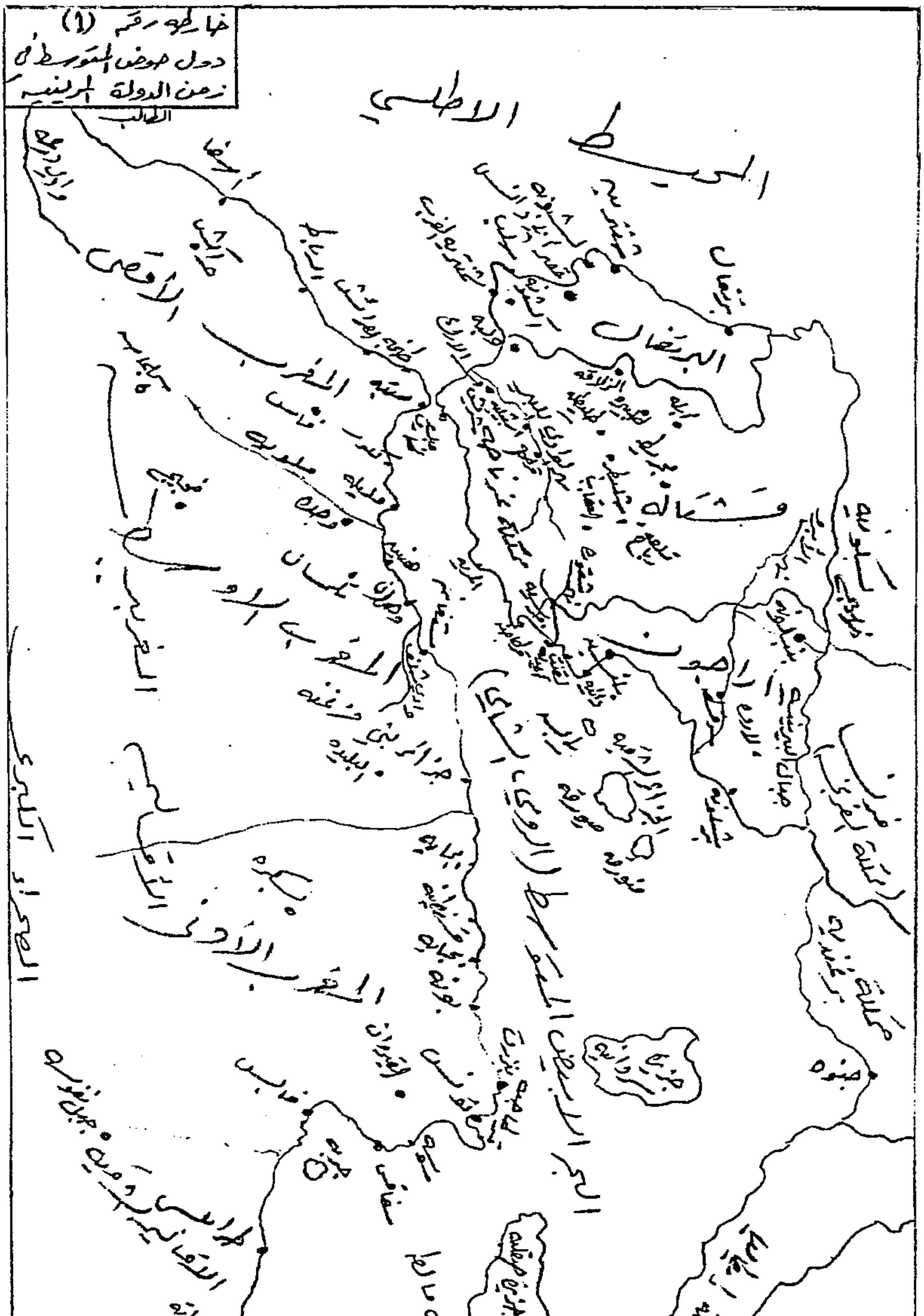
سادساً:- تعمل الحرب الاقتصادية على استنزاف طاقات العدو وغالباً ما تؤدي إلى هزيمته ثم تدفعه إلى الاستسلام ، وقد مارست الجيوش المرينية هذا النمط من الحرب ضد الممالك النصرانية في إسبانيا ، على غرار ما قام به الرسول عليه السلام في بداية دعوته حينما وجه السرايا والبعوث الإسلامية لاعتراض طرق القوافل وقطع خطوط التجارة القرشية ، وما قام به صلاح الدين الأيوبي في حروبه .

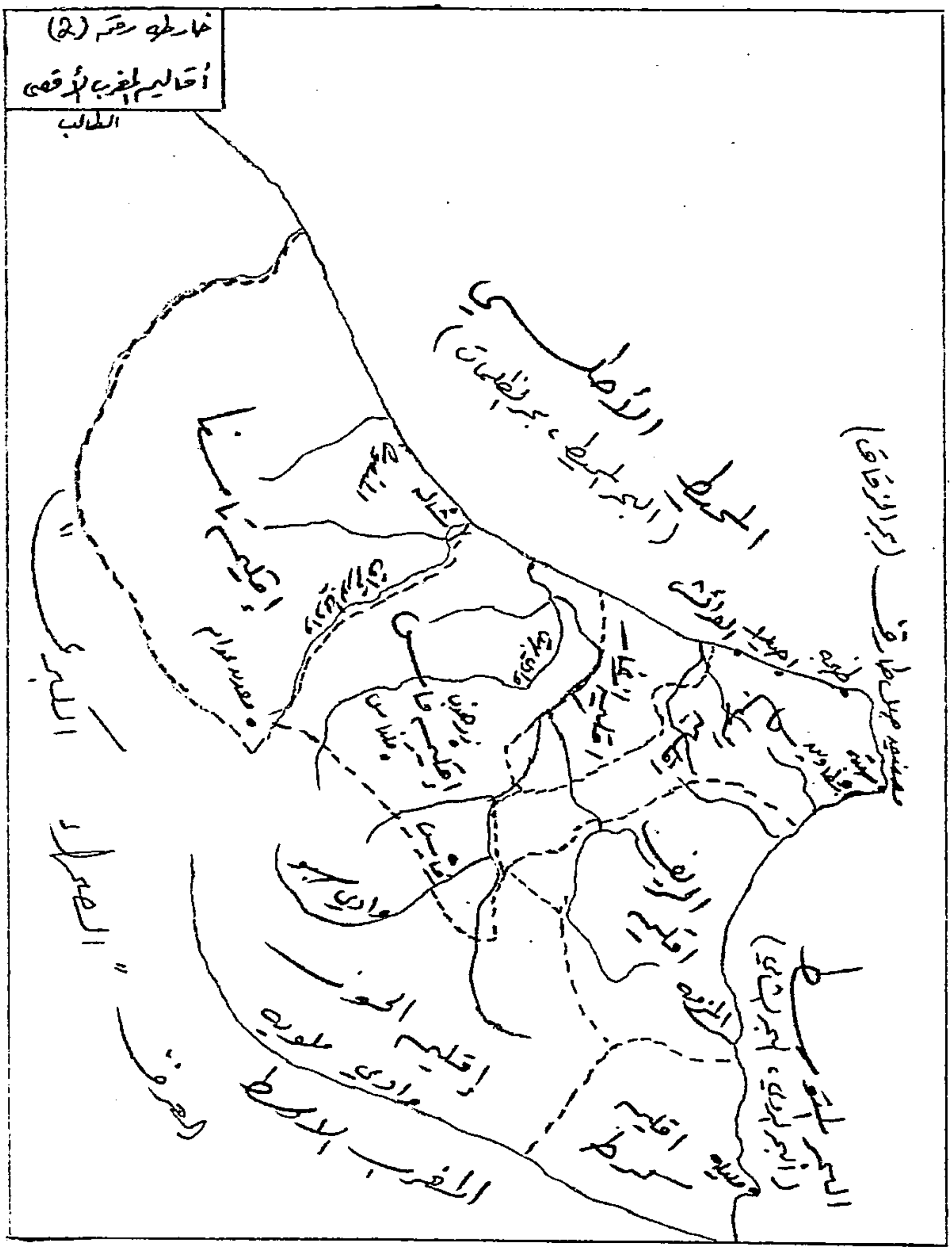
سابعاً:- عمل الاستقرار السياسي والاقتصادي الداخلي في الدول على توفير الظروف المناسبة للإبداع الفكري والثقافي والحضاري ، مما ساعد على بروز العلماء في مختلف المجالات ، فقاموا بدورهم في بناء صروح حضارات دولهم .

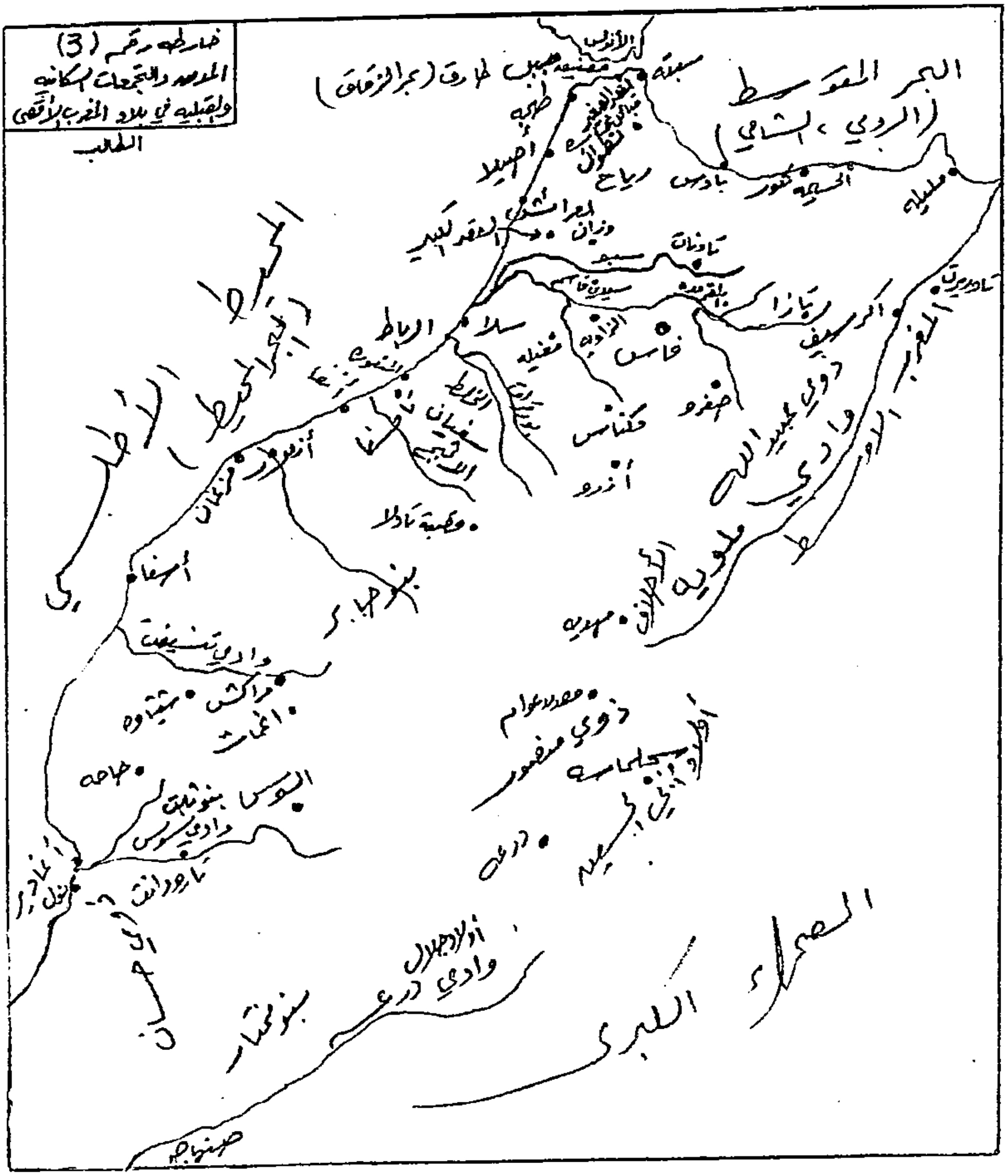
ثامناً:- برز الدور السلبي لليهود على مدار التاريخ الإسلامي خلال الحروب الداخلية واستخدموا في تصفية الحسابات الداخلية خدمة لأهدافهم ، كما حدث في دولة آخر سلاطين بني مرين عبد الحق الثاني (823-869هـ/1420-1465م) ، وقد مارس اليهود نفس الدور في إسبانيا حينما استعان بيدرو الثاني ملك قشتالة (1350-1368م) بهم لقمع الإشراف والرعية على حد سواء .

تاسعاً:- تكاد أسباب انهيار الدول تكون متشابهة ، خاصة إذا ما قارنا بين أسباب انهيار دولة الموحدين في المغرب والأندلس ، والأسباب التي أدت إلى ضعف وانهيار دولة بني مرين خلال عصر نفوذ الوزراء ، ولعل أبرز هذه الأسباب هو الصراع على السلطة والتنافس على الاستئثار بها .

عاشراً:- يمكن للباحث في تاريخ دولة بني مرين وسياستها تجاه مملكة غرناطة والممالك النصرانية ، أن يعقد الكثير من المقارنات بين الأحداث التي جرت في الماضي وبين ما يحدث اليوم في عالمنا العربي ، فالتاريخ خير شاهد ومعلم ، ولكن هل من معتبر ؟؟.

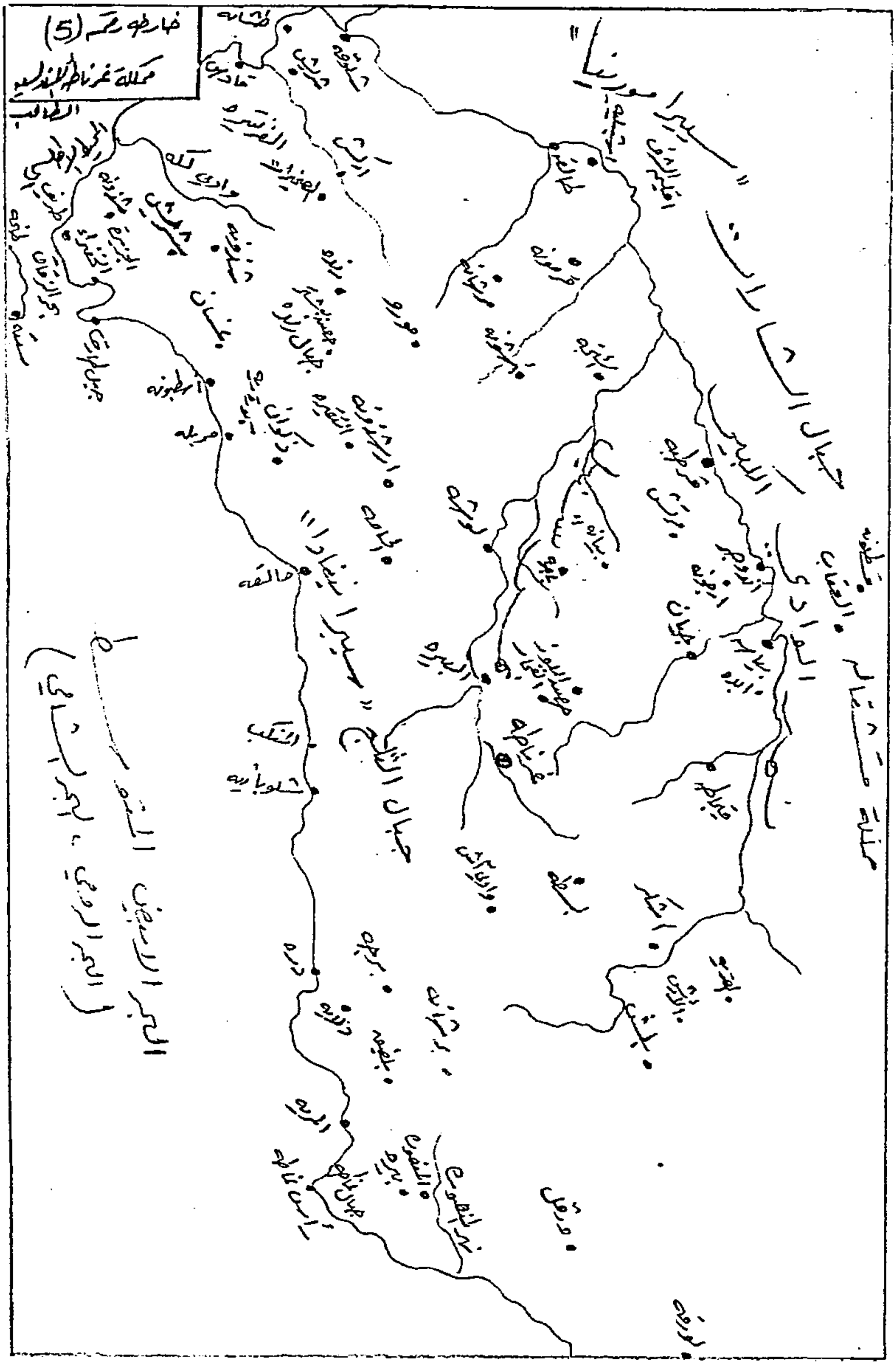

خارطة رقم (1)
دول حوض المتوسط
زمن الدولة المرابطية

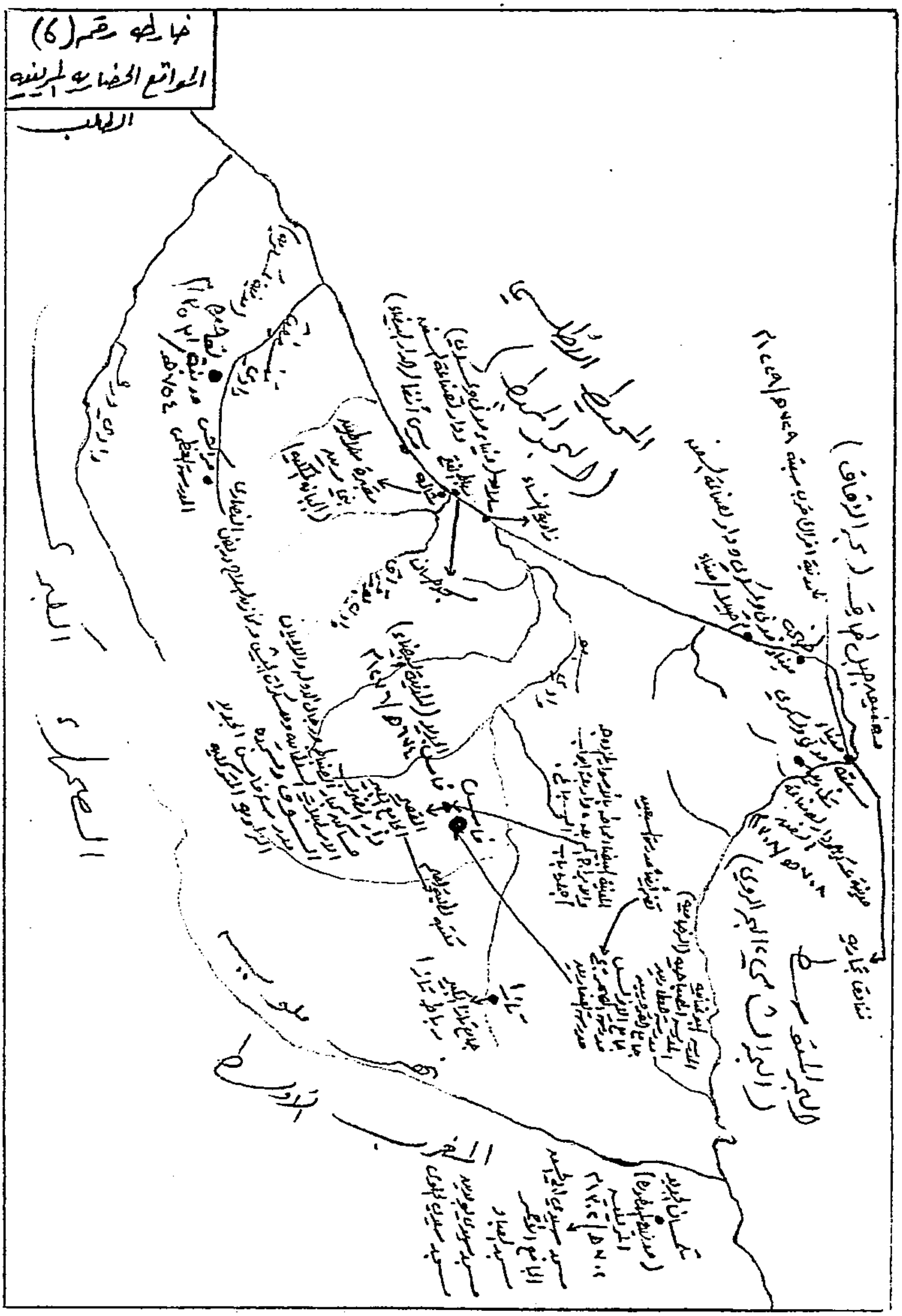

خارطة رقم (2)
أقاليم المغرب الأقصى



خارطة رقم (3)
المدن والتجمعات السكانية والقبلية في بلاد المغرب الأقصى
الطالب
البحر المتوسط
(الرومي ، الشامي)
سبتة
طنجة
أصيلا
رياح
بادس
مليلة
تازا
فاس
مكناس
سلا
الرباط
أزمور
أسفي
وادي تنسيفت
مراكش
هنتاتة
السوس
وادي سوس
سجلماسة
درعة
وادي ملوية
الصحراء الكبرى


خارطة رقم (4)
تضاريس المغرب الأقصى
الجبال، الأنهار، السهول
البحر المتوسط
(الرومي، الشامي)
الأندلس
بحر الزقاق
طنجة
العرائش
سلا
رباط الفتح
أنفا
المحيط الأطلسي
البحر المحيط
فاس
وادي سبو
وادي ملوية
وجدة
دكالة
الهضاب الوسطى
وادي تنسيفت
مراكش
جبال الأطلس
سجلماسة
تافيلالت
وادي السوس
ماسة
الصحراء الجنوبية
وادي درعة
العرق
الصحراء الكبرى


خارطة رقم (5)
مملكة غرناطة الأندلسية


خارطة رقم (6)
المواقع الحضارية المرينية

الجـــداول

1- جـــدول أمراء وسلاطين بني مرين:-

عبد الحق بن محيو بن حمامة المريني	592-614هـ/1195-1217م
أبو سعيد عثمان بن عبد الحق بن محيو	614-637هـ/1217-1240م
محمد الأول بن عبد الحق بن محيو	637-642هـ/1240-1245م
أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق	642-656هـ/1245-1258م
أبو حفص عمر بن أبي يحيى بن عبد الحق	656هـ/1258م
يعقوب بن عبد الحق المريني	656-685هـ/1258-1286م
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني	685-706هـ/1286-1306م
أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف	706-708هـ/1306-1308م
أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف	708-710هـ/1308-1310م
عثمان بن يعقوب بن عبد الحق	710-731هـ/1310-1331م
أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق	731-749هـ/1331-1348م
أبو عنان بن أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب	749-759هـ/1348-1358م
أبو زيان محمد بن أبي عنان بن أبي الحسن	759هـ/1358م
السعيد بن أبي عنان بن أبي الحسن	759-760هـ/1358-1359م
أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي	760-762هـ/1359-1361م
تاشفين بن أبي الحسن علي بن عثمان	762-763هـ/1361-1362م
أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن	763-767هـ/1362-1365م

عبد العزيز بن أبي الحسن علي بن عثمان	767-774هـ/1365-1372م
محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن علي	774-776هـ/1372-1374م
أبو العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن	776-786هـ/1374-1384م
موسى بن أبي عثمان بن أبي الحسن	786-788هـ/1384-1386م
محمد بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم	788هـ/1386م
الواثق بالله محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن	788-789هـ/1386-1387م
أبو العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن	789-796هـ/1387-1394م
المستنصر بالله عبد العزيز بن أحمد بن أبي سالم	796-799هـ/1394-1397م
المستنصر بالله عبد الله بن أحمد بن أبي سالم	799-800هـ/1397-1398م
أبا سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم	800-823هـ/1398-1420م
عبد الحق بن أبي سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد	823-869هـ/1420-1465م

2- جــدول ملوك غرناطة زمن الدولة المرينية:-

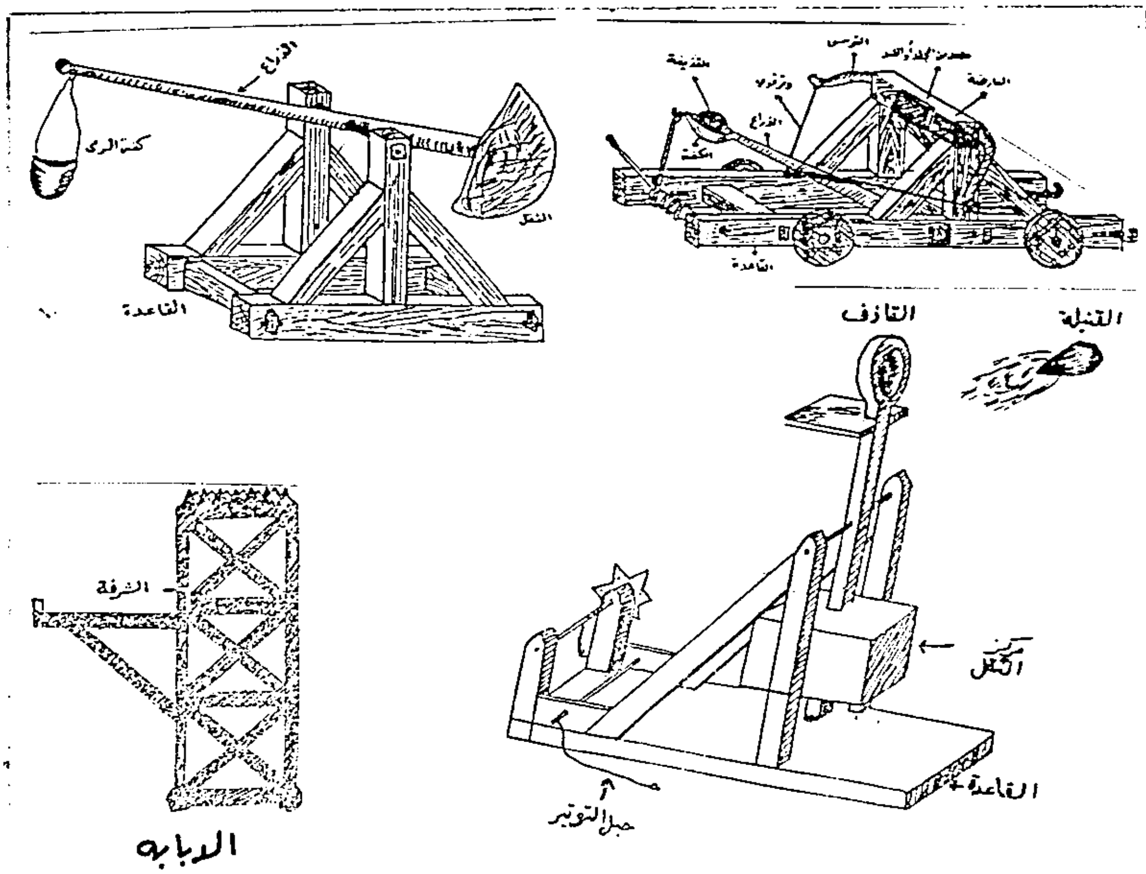
محمد بن يوسف بن محمد بن الأحمر	629-671هـ/1232-1272م
محمد الثاني (الفقيه) بن محمد بن يوسف بن الأحمر	671-701هـ/1272-1301م
محمد الثالث (المخلوع) بن محمد بن الأحمر	701-708هـ/1301-1308م
أبو الجيوش نصر بن محمد بن الأحمر	708-713هـ/1308-1313م
أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري	713-725هـ/1313-1324م
محمد بن إسماعيل بن فرج النصري	725-733هـ/1324-1333م
أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل	733-755هـ/1333-1354م
الغني بالله محمد بن يوسف بن الأحمر	755-760هـ/1354-1359م
إسماعيل الثاني بن محمد بن يوسف بن الأحمر	760-762هـ/1359-1361م
الغني بالله محمد بن يوسف بن الأحمر	762-793هـ/1361-1391م
أبو الحجاج يوسف (الثاني) بن الغني بالله محمد	793-795هـ/1391-1393م
الغني بالله محمد بن يوسف الثاني	795-810هـ/1393-1408م
يوسف الثالث بن يوسف الثاني بن محمد	810-820هـ/1408-1417م
أبو عبد الله محمد بن يوسف الثالث الملقب بالأيسر	820-858هـ/1417-1454م
سعد بن إسماعيل النصري	858-868هـ/1454-1464م
أبو الحسن علي بن سعيد بن إسماعيل	868-887هـ/1464-1482م

3- جــدول ملوك قشتالة زمن الدولة المرينية:-

فرناندو الثالث	1230-1252م
الفونسو العاشر	1252-1284م
سانشو	1284-1296م
فرناندو الرابع	1296-1312م
الفونسو الحادي عشر	1312-1350م
بيدرو الثاني	1350-1368م
الكونت هنري	1368-1379م
خوان الأول	1379-1406م
خوان الثاني	1406-1454م
هنري الرابع	1454-1474م

4- جــدول ملوك أراجون زمن الدولة المرينية:-

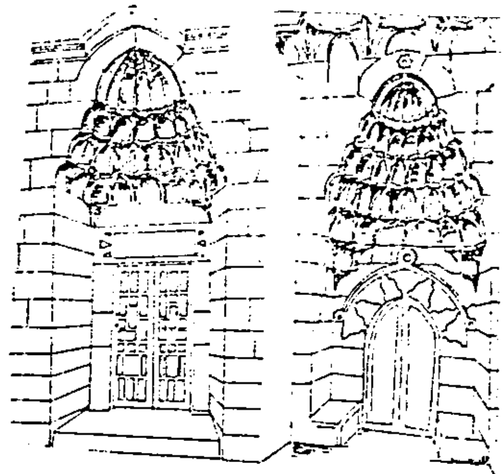
بيدرو الثاني	1196-1224م
خايمي (يعقوب)	1224-1274م
بيدرو الثالث	1274-1285م
الفونسو الثالث	1285-1291م
خايمي الثاني	1291-1327م
الفونسو الرابع	1327-1336م
بيدرو الرابع	1336-1387م
خوان الأول	1387-1395م
مرتين الأول	1395-1410م
مجلس الكورتيس (البرلمان) الأراجوني	1410-1412م
فرناندو الأول	1412-1416م
الفونسو الخامس	1416-1458م
خوان الثاني	1458-1479م



شكل رقم (١)

نماذج من المجانيق الاسلاميه ، وشكل من أشكال الدبابه .

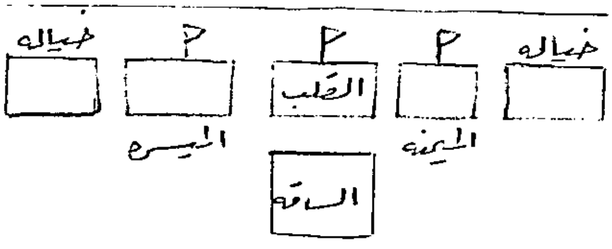
الرفاعي: الإسلام، ص 189، ١٩٠ ،
١٩٥ ، ١٩٦ .



شكل رقم (2)

نماذج من المقرنصات

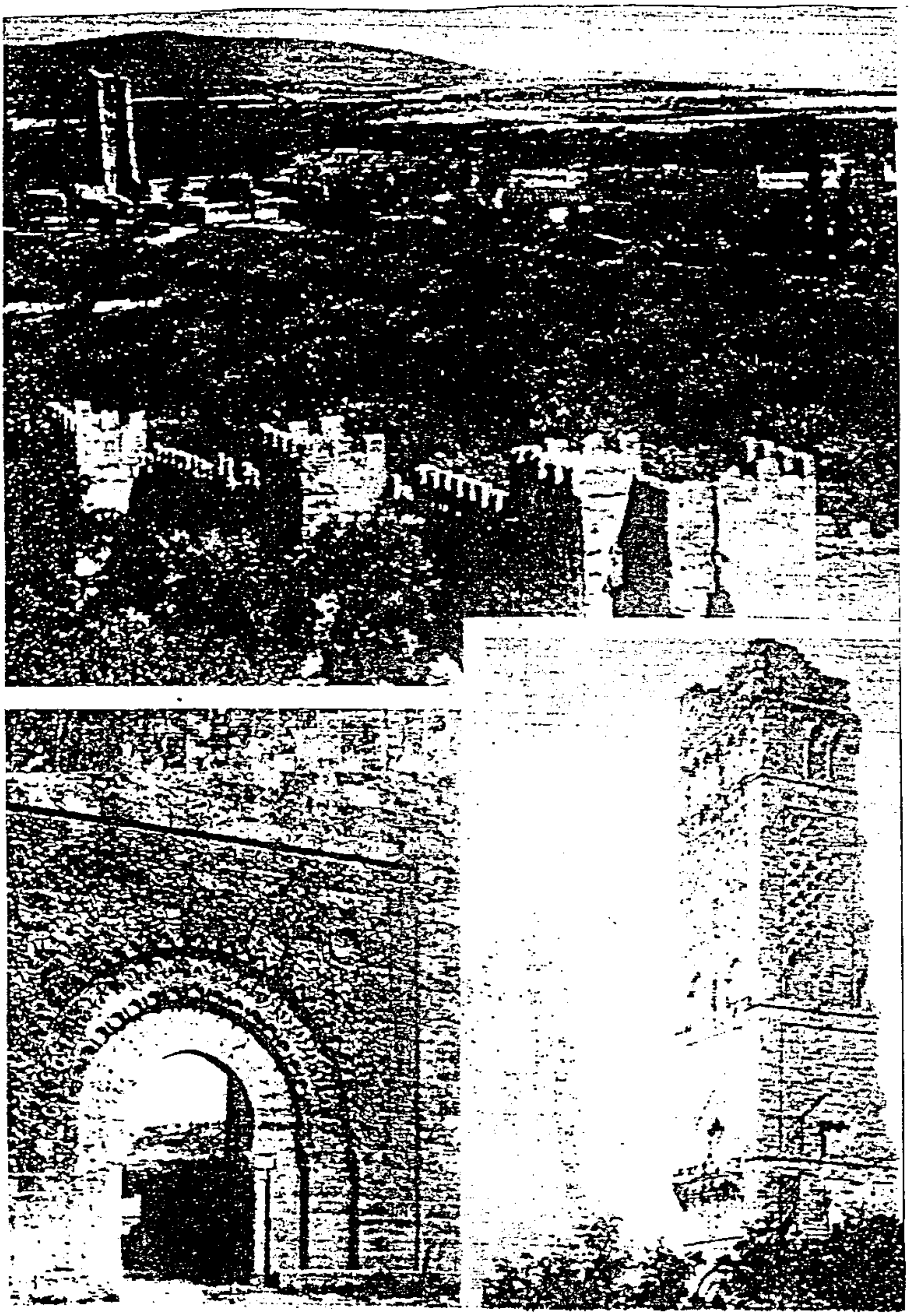
الرفاعي: الإسلام، ص 248 .



شكل رقم (3)

أحد أنظمة التعبئة التقليديه في المعارك الإسلاميه .

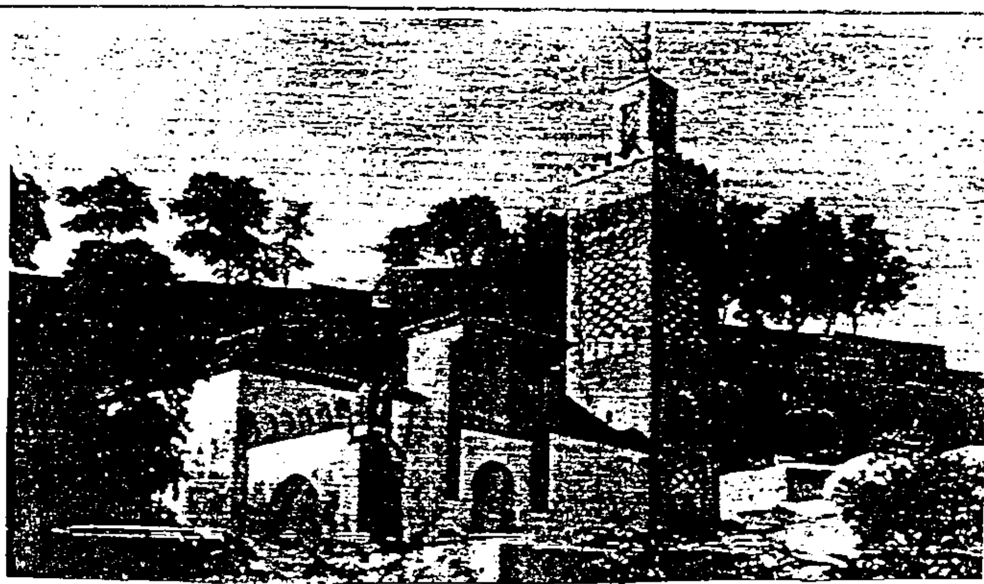
الرفاعي: الإسلام، ص 203 .



شكل رقم (٤)

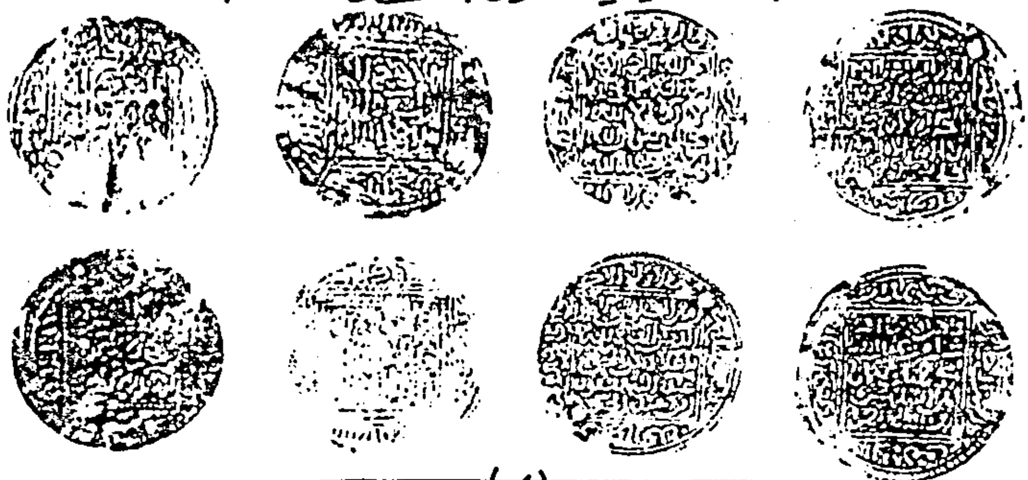
مدينة المنصورة وصومعة مسجدها بظاهر تلمسان .

ابن الأحمر : روضة ، ص 50 .



شكل رقم (5)

مسجد سيدي الحلوي بتلمسان . ابن الأحمر : روضة، ص 58.



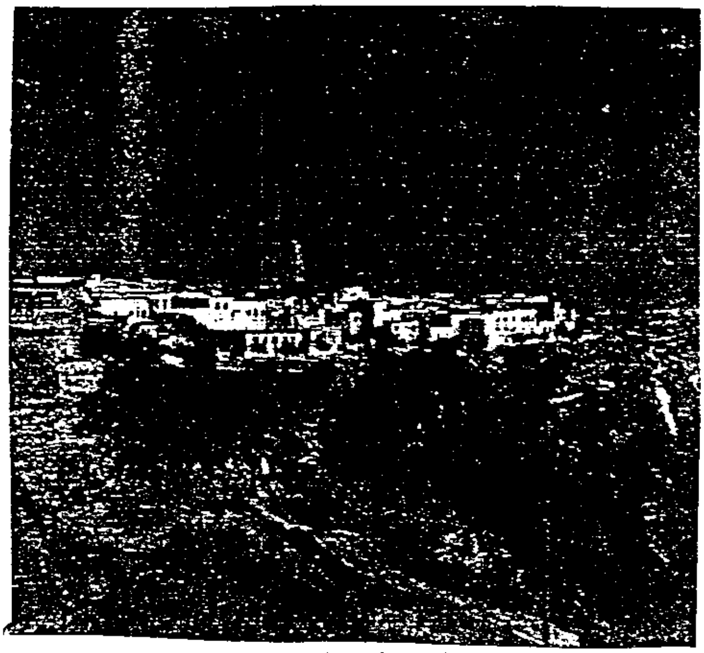
شكل رقم (6)

نماذج من العملة المرينية . المنوني : ورقات ، ص 129 .



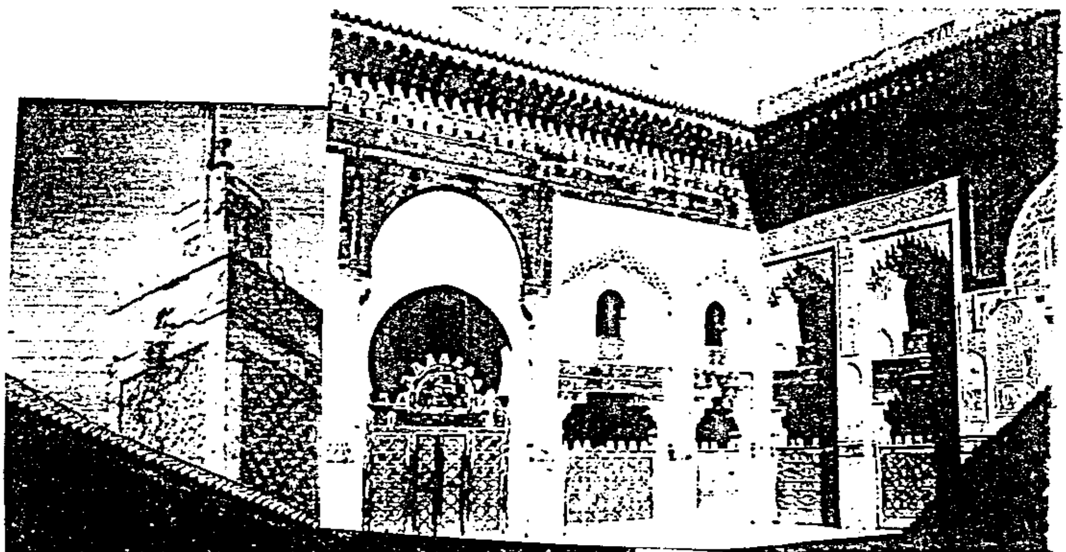
شكل رقم (7)

المد المريني . المنوني : ورقات ، ص 139 .



شكل رقم (8)

منظر عام لمدينة تازا . ابن الأحمر: روضة، ص 14.



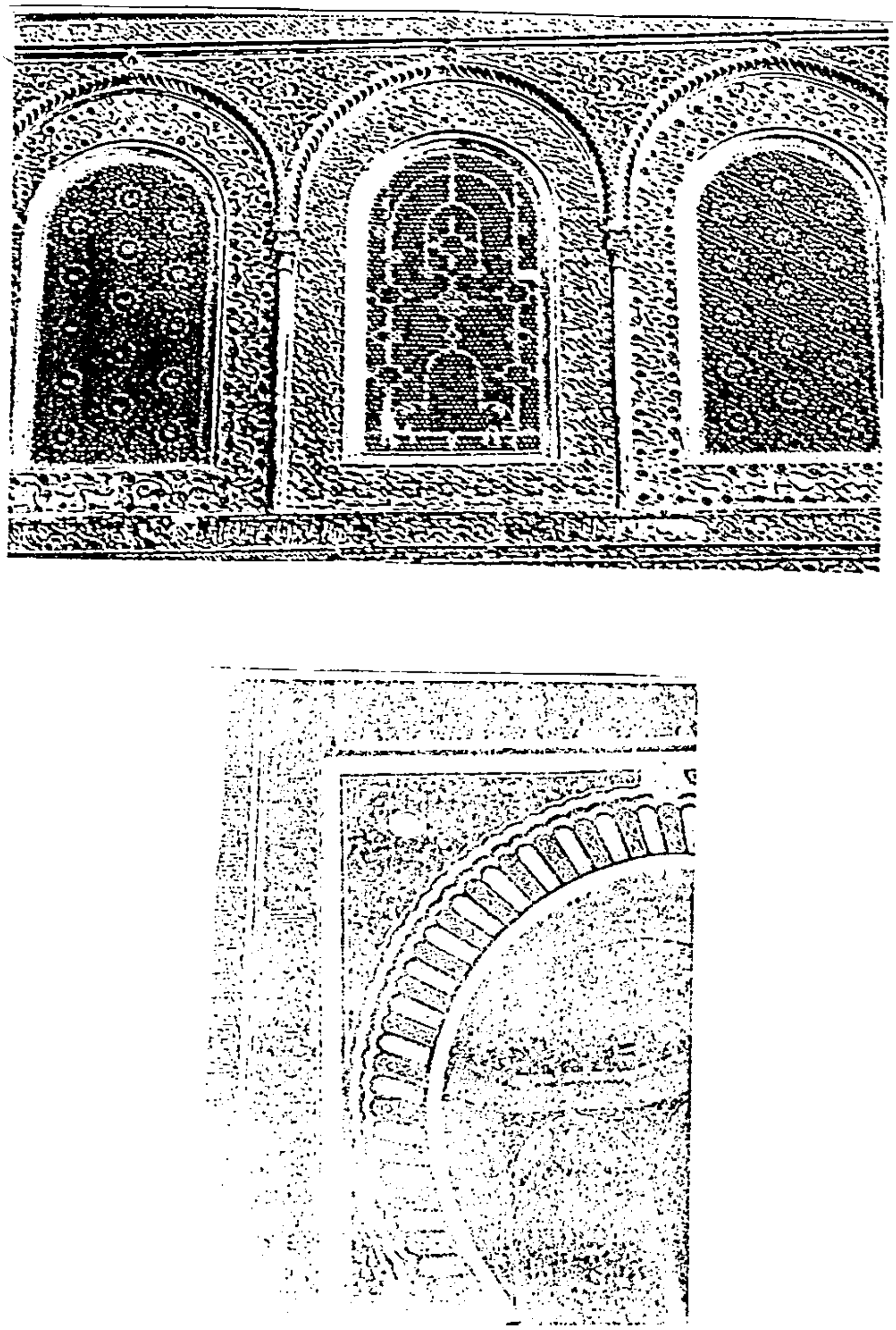


شكل رقم (9)

المدرسة البوعنانية بفاس، وزاوية من صحنها .

ابن الأحمر: روضة، ص 28 .

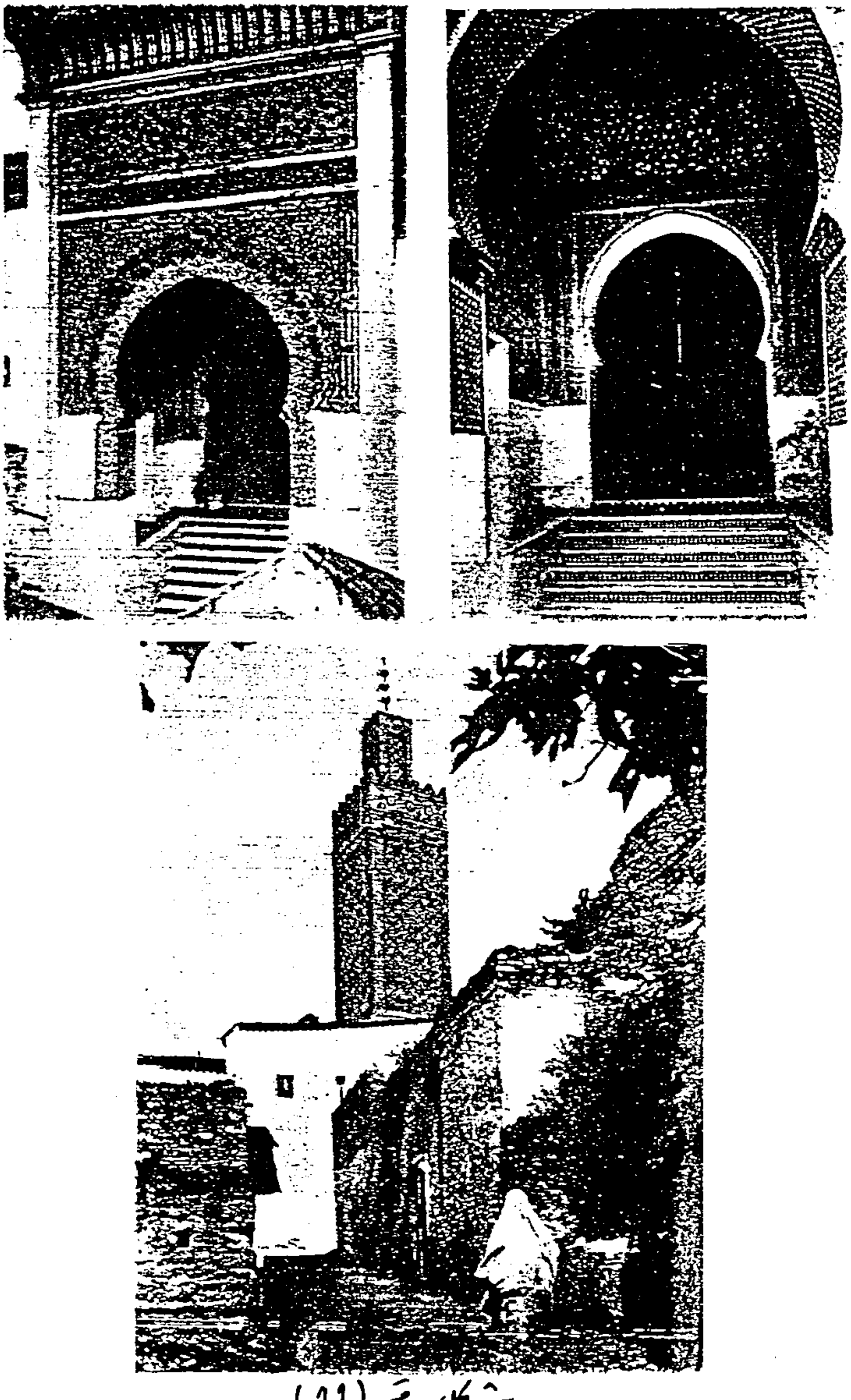
المنوني: ورقات، ص 249 .



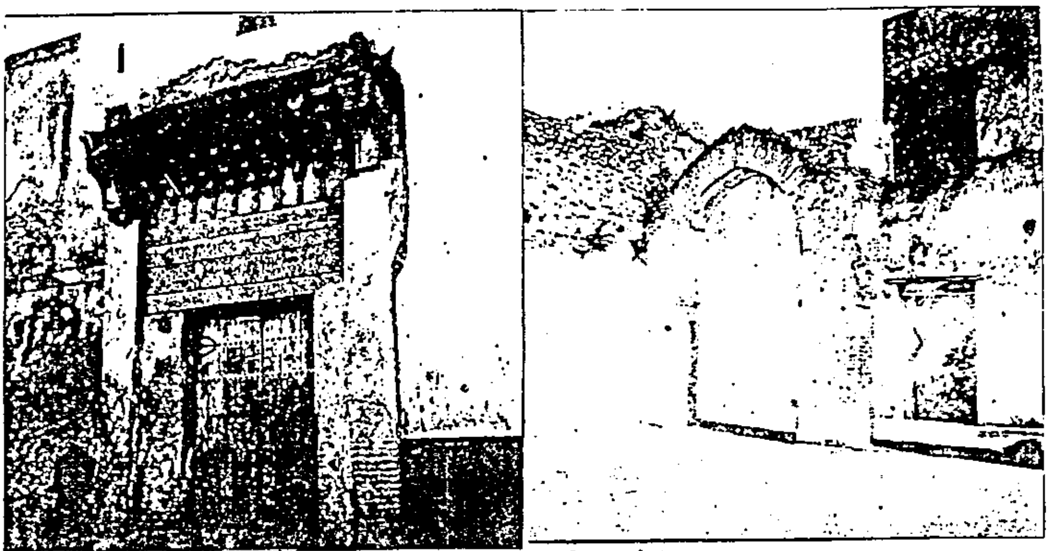
شكل رقم (١٥)

نماذج زخرفية من المدرسة البوعنانية بفاس .

المنوني : ورقات ، ص 247 ، المنظمة العربية : الفن ، ص 243 .

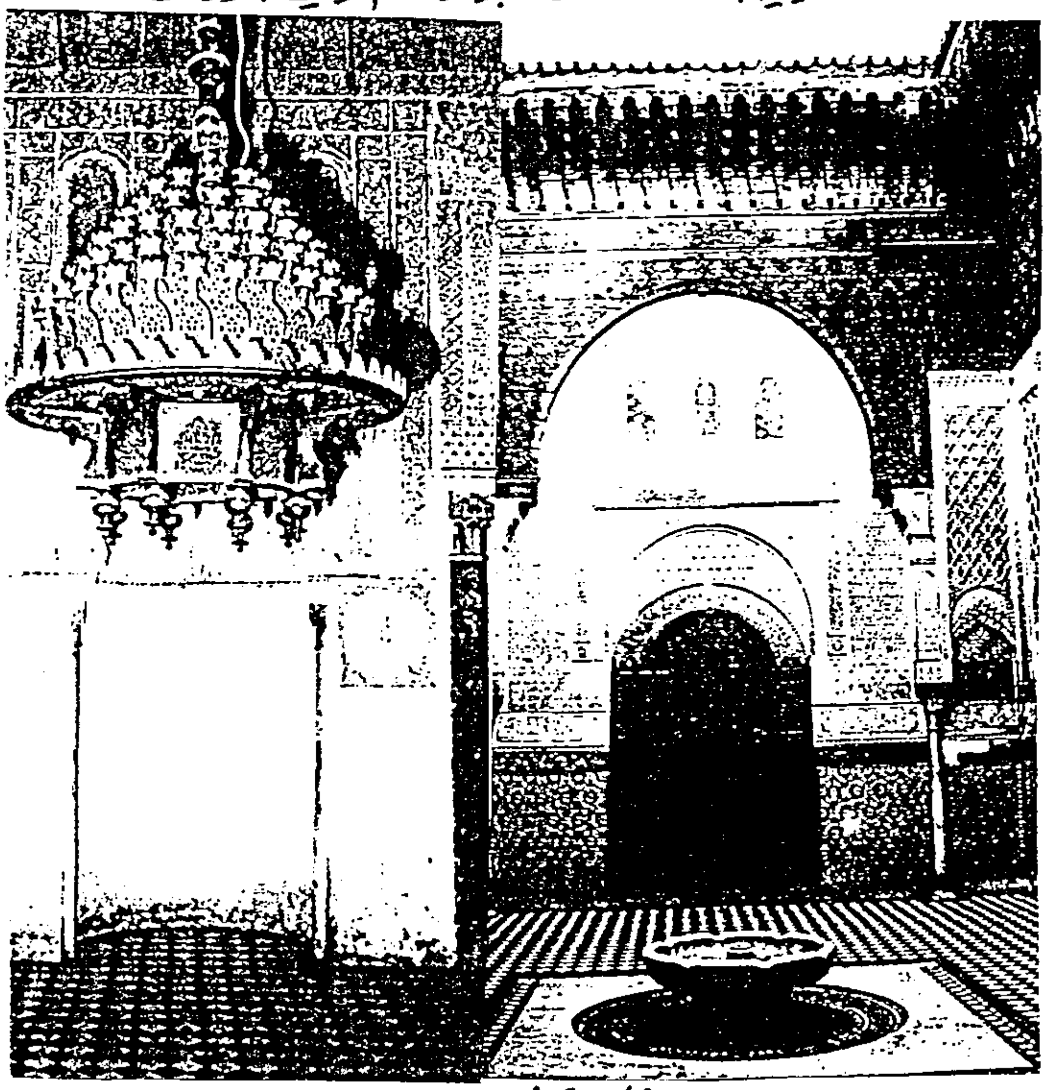


شكل رقم (11)
مدخل مسجد العباد، وصومعته بتلمسان . المصدر: روضة، ص51.



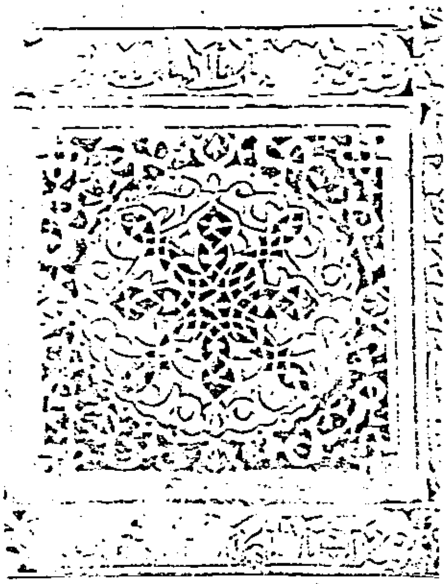
شكل رقم (12)

بقايا المدرسة المرينية بتازا ومدخل مسجدها . المنوني : ورقات، ص 253.



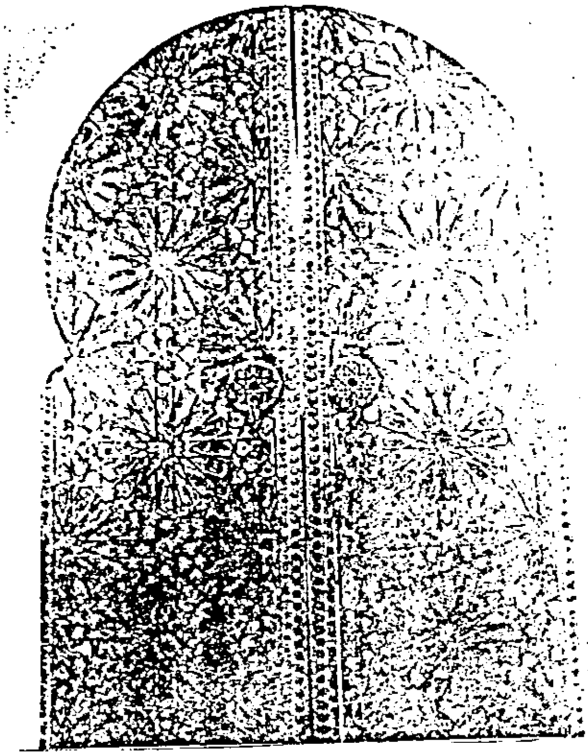
شكل رقم (13)

بهو مدرسة العطارين وثريا مصلاها . المنوني : ورقات، ص 243 ، 253 .



شكل رقم (14)

باب مسجد أبي مدين ونماذج من زخارفه بتلمسان. المنظمة العربية: المصدر، ص 238.

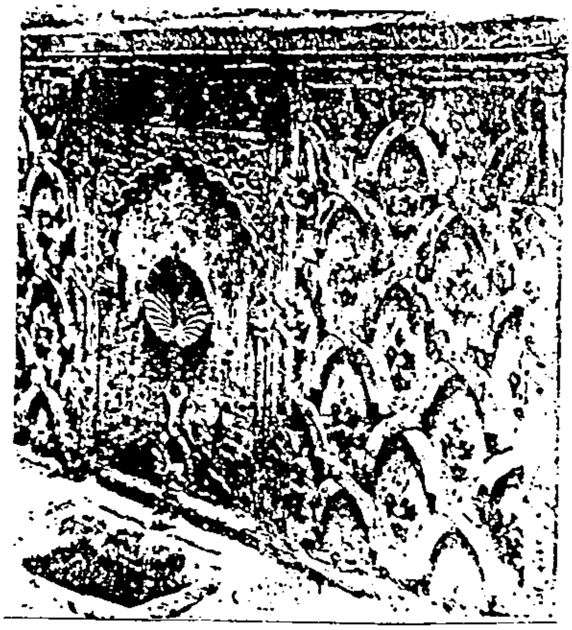


بهو مدرسة الصفاريين بفاس.

المنوني: ورقات، ص 241.

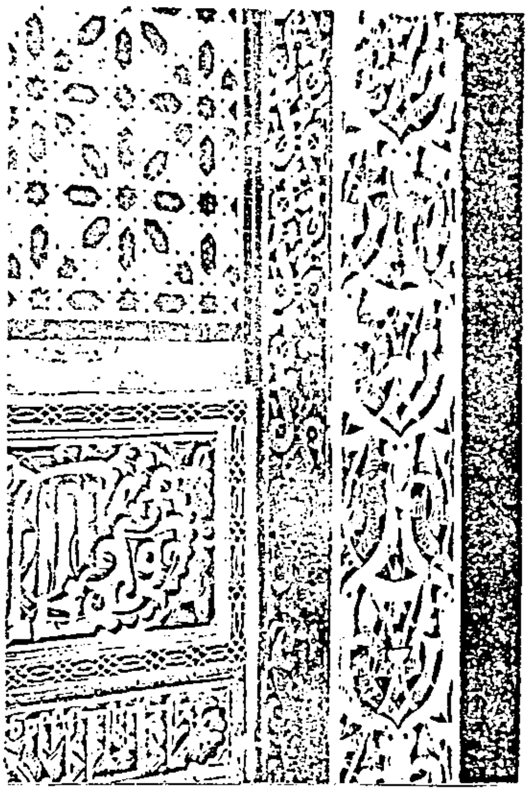


شكل رقم (15)



شكل رقم (16)

عنيه مدرسة السعيدية بفاس . المنظمة العربية : المغرب، ص 242.



شكل رقم (17)

مدخل بيت الصلاة في مدرسة الصهريج بفاس . المنظمة العربية : المغرب، ص 242.

المصادر والمراجع

أ- المصادر:

1- **ابن الأثير، أبو الحسن، عز الدين علي بن الكرم محمد، بن محمد بن عبد الكريم الشيباني** (ت 630هـ/1232م) : **الكامل في التاريخ**، (ثلاثة عشر جزءاً) ، دار صادر، بيروت، ط6، 1995.

2- **ابن الأحمر، أبو الوليد، إسماعيل** (ت 810هـ/1407م) : **روضة النسرين في دولة بني مرين** ، مطبوعات القصر الملكي ، الرباط ، (د. ط) ، 1962م .

3- **الإدريسي، أبو عبد الله ، محمد بن محمد الحسيني** (ت 560هـ/1164م): **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، (جزءان) ، عالم الكتب، بيروت ، ط1 ، 1989م .

4- **الإصطخري، ابن إسحاق، إبراهيم بن محمد** (ت 346هـ/957م) : **مسالك الممالك**، دار صادر، بيروت، (د. ط) ، 1927م .

5- **ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي** (ت 779هـ/1377م) : **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، (جزءان) ، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط2، 1979م.

6- **البكري، أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي** (ت 487هـ/1094م) : **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، (د.ط)، (د.ت) .

7- **البلاذري،أبو العباس، أحمد بن يحيى بن جابر** (ت 279هـ/892م): **فتوح البلدان**، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع ، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت ، (د. ط) ، 1987م .

8- **ابن تغري بردي، جمال الدين، أبو المحاسن يوسف الأتـــابكي (ت 874هـــ/1470م):**
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (أربعة عشر جزءاً) ، المؤسســـة المصريـــة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، (د. ط)، 1963م .

9- **الحموي، شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحمـــوي الرومـــي البغـدادي** (ت 626هـ/1228م): **معجم البلدان،** (ثمانية أجــزاء) ، دار إحيـاء الـتراث العربـي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1997م .

10- **الحميري، أبو عبد الله، محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ/1494م): الروض المعطـــار في خبر الأقطار،** تحقيق حسان عباس، مكتبة لبنان ، بيروت، (د. ط) ، 1975م .

11- **ابن حوقل، أبو القاسم، النصيبي (ت 380هـ/990م): صورة الأرض،** منشـــورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، (د. ط)، 1979م .

12- **ابـن الخطيـب، لســان الديــن محمــد بــن عبــد الله بــن الخطيــب التلمســـــاني** (ت 776هـ/1374م):

- **كناسة الدكان بعد انتقال السكان** ، تحقيق: د. محمد كمال شـــبانة ومراجعـــة د. حســن محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، (د. ط) ، (د. ت) .
- **الإحاطة في أخبار غرناطة،** (أربعة أجزاء)، تحقيق: محمـــد عبـــد الله عنـــان، مكتبـــة الخانجي، القاهرة ، ط2، 1973م .
- **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط2، 1978م .

13- **ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1405م):**

- **المقدمة،** المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (د. ط)، (د. ت) .

- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، (سبعة أجزاء)، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، (د. ط) ، 1971م .

14- ابن خلدون، يحيى (ت 780هـ/1378م): **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، (جزءان) ، الجزء الأول تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية ، الجزائر، (د. ط)، 1980م ، الجزء الثاني تحقيق: الفرد بل، الجزائر، (د. ط) ، 1910م.

15- ابن خلكان، أبو العباس ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبو بكر (ت 681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (ثمانية أجزاء) ، حققه: إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، (د. ط) ، (د. ت) .

16- خليفة، حاجي (ت 1067هـ/1656م): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، (ستة أجزاء) دار الفكر ، بيروت، (د. ط) ، 1990م .

17- ابن أبي زرع، علي بن عبد الله أبي زرع الفاسي ، (ت 741هـ/1340م):

- **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية** ، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط ، ط2 ، 1972م .

- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، (د. ط) ، 1972م .

18- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير(310هـ/922م): **تاريخ الأمم والملوك**،(أحد عشر جزءً) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ب. ن) ، بيروت، ط1، 1997م .

19- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس، أحمد بن محمد (ت 712هـ/1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، (أربعة أجزاء) ، تحقيق ومراجعة: ج بس كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة، بيروت ، ط3، 1983م .

20- **ابن العماد، شهاب الدين، عبد الحي (ت 1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، (عشرة أجزاء) ، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط1، 1986م .

21- **ابن الفقيه، أحمد بن محمد (ت 340هـ/951م): كتاب البلدان**، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1996م .

22- **القبتوري، خلف الغافقي**: رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي ، تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة ، المطبعة الملكية ، الرباط ، (د. ط) ، 1979م .

23- **ابن القطان، حسن بن علي(ت 628هـ/1231م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق: محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1، 1990م .

24- **القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م):**

- **صبح الأعشى في صناعة الانشا** ، (خمسة عشر جزءاً) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، (د. ط) ، (د. ت) .
- **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب، بيروت ، ط2، 1982م .
- **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1 ، 1984م .

25- **المراكشي، عبد الواحد ، محيى الدين محمد بن عبد الواحد بن علي التميمي** ، (ت 647هـ/1249م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، ضبطه وصححه: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط1 ، 1949م .

26- **المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1042هـ/1632م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** ، (ثمانية أجزاء)، دار الكتاب العربي ، بيروت، (د.ط) ، (د.ت) .

27- **الناصري، أبو العباس، أحمد بن خالد السلاوي(ت 1315هـ/ 1897م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، (تسعة أجزاء) ، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، (د .ط)، 1997م .

28- **النميري، ابن الحاج ، برهان الدين بن عبد الله (ت 768هـ/1366م): فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب** ، دراسة وإعداد: محمد شقرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1990م .

29- **النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/1333م) : نهاية الإرب في فنون الأدب**، (واحد وثلاثون جزءاً) ، تحقيق: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1983.

30- **الوزان، ليون الإفريقي، حسن بن محمد (ت 939هـ/1532م) : وصف إفريقيا** ، (جزءان) ، ترجمة: محمد محيي ومحمد الأفصر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت والشركة المغربية للنشر ، الرباط ، ط2، 1982م .

ب – المراجـــع:

1- **أشباخ**، يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطيـــن والموحديـــن، (جــزءان)**، ترجمـــة وتعليق: محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط2، 1996م .

2- **بل**، ألفريد: **زيان**، دائرة المعارف الإسلامية (الجزء العاشر) .

3- **البهنسي**، عفيف: **الفن الإسلامي**، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 1986م .

4- **التواني**، عبد الكريم: **مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس**، مكتبة الرشـــــاد ، الـــدار البيضاء، ط1، 1967م .

5- **الجمل**، شوقي عطا الله: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** – ليبيا تونس الجزائـــر المغرب – ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط1، 1977م .

6- **جوليان**، شارل أندري:

- **تاريخ إفريقيا الشمالية:** تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإســلامي سنة 647م ، (الجزء الأول) تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الـــدار التونســية للنشر، تونس، (د. ط) ، 1969م .
- **تاريخ إفريقيا الشمالية:** تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى ســـنة 1830م، (الجزء الثاني)، تعريب: محمد مزالي والبشير بن ســـــلامة، الـــدار التونســية، تونس، ط2، 1993م .

7- **حتاملة**، محمد عبده:

- **إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين** ، المكتبة الوطنية ، عمان ، ط1، 1996م .
- **الأندلس، التاريخ والحضارة والمحنة** ، المكتبة الوطنية ، عمان ، (د. ط)، 2000م .

8- **الحجي** ، عبد الرحمن علي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة** ، (92-897هـ/711-1492م) ، دار الإعتصام ، القاهرة ، ط1، 1983م .

9- **حسن**، حسن إبراهيم : **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، (أربعة أجزاء) ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د. ط)0 ، 1967م .

10- **حسين**، محسن محمد: **الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986م .

11- **الخطيب**، مصطفى عبد الكريم: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 1996م .

12- **أبو خليل**، شوقي: **الحضارة العربية الإسلامية**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط1، 1994م .

13- **الرفاعي**، أنور: **الإسلام في حضارته ونظمه**، دار الفكر، دمشق ، (د. ط) ، 1973م .

14- **زمامة**، عبد القادر: **أبو الوليد بن الأحمر**، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، (د. ط) ، 1978م .

15- **سالم**، السيد عبد العزيز:

- **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د. ط) ، (د. ت) .
- **تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د. ط) ، 1982م.

16- **سيبولد: الأندلس**، دائرة المعارف الإسلامية، (الجزء الثالث) .

17- **شبانة**، محمد كمال: **يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة**، لجنـــة البيـــان العربـــي، (د.م)، (د. ط) ، 1969م .

18- **أبو ضيف**، مصطفى أحمد: **أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبنـــي مرين**، (524-876هـ/1130- 1472م)، مطبعة دار النشر المغربية ، الدار البيضـــاء، ط1، 1982م .

19- **الطوخي**، أحمد محمد: **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، تقديم: أحمـــد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د. ط) ، 1997م .

20- **عاشور**، سعيد عبد الفتاح: **أوروبا العصور الوسطى** – التاريخ السياســـي – ، (جــزءان)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6 ، 1975م .

21- **العبادي**، أحمد مختار:

- **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة الثقافة الجامعيـــة، الإســـكندرية، (د. ط) ، (د. ت) .
- **في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، (د. ط) ،(د. ت) .

22- **عبد الحميد**، سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاســـتقلال** – ليبيا تونس الجزائر المغرب – ، منشأة المعارف المصريـــة ، الإســـكندرية ، (د. ط) ، 1979م .

23- **العسلي**، بسام: **فن الحرب الإسلامي**، 5 مجلدات، دار الفكر، بيروت ، (د. ط) ، 1988م.

24- **عنان**، محمد عبد الله : **دولة الإسلام في الأندلس**، أربعة عصور في ستة أقســـام، مكتبـــة الخانجي ، القاهرة ، ط4، 1987م .

25- **عواد**، محمود: **الجيش والأسطول الإسلامي في العصر الأموي**، الأدبية للطباعة والنشـــر والتوزيع ، الخليل، فلسطين ، ط1، 1994م .

26- **الغناي**، مراجع عقيلة: **سقوط دولة الموحدين**، (د. ن) ، بنغازي ، ط1، 1975 .

27- **الغنيمي**، عبد الفتاح مقلد: **كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قـــرون** – مأســاة الفـــردوس المفقـــود – ، (92-897هـــــ/711-1492م) ، (د. ن) ، (د. م) ، (د. ط) ، (د. ت).

28- **لاتورنو**، روجيه: **فاس في عصر بني مرين**، ترجمة: نقولا زيـــادة، مؤسســـة فرنكليـــن للطباعة والنشر ، بيروت، (د. ط) ، 1967م .

29- **مجمع اللغة العربية**: **المعجم الوسيط**، (جزءان) ، المكتبة العلمية ، طـــــهران، (د. ط) ، (د. ت) .

30- **مجهول**: **المنجد في اللغة والإعلام** ، دار المشرق ، بيروت ، ط21، 1973م .

31- **محمود**، حسن أحمد: **قيام دولة المرابطيـــــن**، دار الفكـــر العربـــي، القـــاهرة، (د. ط)، (د. ت).

32- **مصطفى**، شاكر: **التاريخ العربي والمؤرخون** ، (جزءان) ، دار العلم للملايين، بـــيروت، ط2، 1980 .

33- **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**: **الفن العربي الإسلامي**، (ثلاثة أجزاء) ، إدارة الثقافة ، تونس 1994م ، 1995م ، 1997م .

34- **المنوني**، محمد: **ورقات من حضارة المرينيين**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعـــــة محمد الخامس، الرباط، (د. ط) ، 2000م .

35- **مؤنس**، حسين: **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهـــراء للإعـــلام العربـــي ، القـــاهرة ، ط1، 1987م.

36- **هنتس**، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المـــتري**، ترجمـــة: كامل العسلي، الجامعة الأردنية ، عمان ، (د. ت) .

37- **اليوسف**، عبد القادر أحمد: ، **العصور الوسطى الأوروبية** ، المكتبة العصرية ، صيـــدا، (د. ط) ، 1976م .

ت- دوائر المعارف والموسوعات :

1- **البستاني:** بطرس، **دائرة المعارف** ، (د.ن) ، بيروت ، (د. ط) ، (د. ت) .

2- **حتاملة،** محمد عبده: **موسوعة الديار الأندلسية،** (جزءان) ، المكتبة الوطنية، عمان ، ط1، (د. ت) .

3- **خوند،** مسعود: **الموسوعة التاريخية الجغرافية،** (اثنا عشر جزءاً) ، دار رواد النهضة للطباعة والنشر، بيروت ، (د. ط) ، (د. ت) .

4- **زبيب،** نجيب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس،** (خمسة أجزاء) ، دار الأمير للثقافة، بيروت، ط1، 1995.

5- **الزركلي،** خير الدين: **الأعلام،** (ثمانية أجزاء) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2، 1997م .

6- **شلبي،** أحمد: **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،** (تسعة أجزاء) ، مكتبة النهضة المصرية، (د. م) ، ط6، 1982م .

7- **الطيب،** محمد سليمان: **موسوعة القبائل العربية،** (ثلاثة مجلدات) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط2، 1996م .

8- **غالب،** عبد الرحيم: **موسوعة العمارة الإسلامية،** جرّوس برس، بيروت ، ط1 ، 1988م.

9- **غريمال،** بيار ومجموعة مؤلفين: **موسوعة تاريخ أوروبا العام،** (ثلاثة أجزاء) ترجمة: أنطوان أ. الهاهم ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ، ط1، 1995م .

10- **الغنيمي،** عبد الفتاح مقلد: **موسوعة تاريخ المغرب العربي،** (ستة أجزاء)، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط1، 1994م .

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Bani Marin State: History; and It's Policy Toward Andalusian Granada Kingdom and Christian Kingdoms in Spain.

(668-869 H / 1269-1465 A.D)

Prepared By

Amer Ahmad Abdullah Hassan

Supervised By

Dr. Adnan Melhim

Submitted in Partial Fulfillment of Requirements for the Degree of Master of Arts in History, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University in Nablus, *Palestine.*

2003

Abstract

The Barbarian Zinaty tribe of Bani Marin is a sample of the Beduin tribe, which could impose a new political and a tribal reality in the far Moroccan countries, That was due to the efforts of its leaders a long sixty years of struggle, This was also on the expense of the Mowahideen's state (524-668 h./1130-1269 A.D) which started to vanish after the defeat in Oqab battle (609 h./1212 A.D) against the Spanish Christian Kingdoms.

The Marins utilized the political, economical and security bad conditions of the Mowahideen's State since the start of the seventeenth century (h), when the conflict over authority started and the Caliphs became dolls in the hands of the ministers, This weakened the state, threatened its external security and encouraged internal revolutions and muting movements, moreover this led to the separation of Hafseyeen in Tunis (627 h./1230 A.D), Bani Zayyan in Telmesan (633h./1235 A.D) and Bani Al-Ahmer in Granada (635h./1237 A.D), As a result, the Mowahideen State lost most of its assets in Morocco and Al-Andalus; meanwhile, the Marinians were going ahead in establishing their own state.

The Marinians got into far Morocco in (610 h./1217 A.D) under the leadership of Prince Abdel-Haq (592-614 h./1195-1217 A.D). They could also rule over most desert areas of Morocco during the reign of Prince Abi Saeed Otman Ben Abdel-Haq. But their victories were stopped after the murder of Prince Mohammad Ben Abdel-Haq in (642 h./1245 A.D) by Al Mowahideen. However, his successor Prince Abu Bakr Ben Abdel-Haq (642-656 h./1245-1258 A.D) adopted the policy of fortifying internal front and reviewed his external policy. In order to do so, he held a truce with Mowahideen and showed loyalty for Hafseyeen in Tunis. During his reign, he extracted cities of Miknasa, Fez, Sala, Ribat al Fateh, Dera`, Sejelmasa

and other southern areas. This forced the Mowahideen to pay dane-geld to Marinians. After that, Sultan Yaccob Ben Abdel Haq (656-685 h./1258-1284 A.D) could conquer Marakesh in (668 h./1269 A.D) and followed this conquer with submission of the tribes of Sus and Dera territories. He also defeated Bani Zayan in Wadi Isly near Wajdah (672 h.) and between (672-673 h.) the Marinians dominated Tanjah, Sabta and Sejelmasa, then the Marinian headed towards defending Kingdom of Granada against the Christian Spanish Kingdoms.

Sultan Yaccob Ben Abdel Haq crossed four times towards Al-Andalus where he lunched fierce war against the Spanish achieving great victories. He obliged the Spanish people to yield and submit to his conditions.

These achievements did not please the king of Granada Mohammad Al-Faqih (671-701 h./1272-1301 A.D) who was afraid that the Marinians might dominate his Kingdom specially when the Marinians allied with Bani Ashqilola the in-laws of Bani Al Ahmar and their rivals. Al Faqih invaded city of Malqa and allied with Bidro III, King of Aragon (1276-1283 A.D). He also allied with Bani Zayyan against Bani Marin.

Sultan Yousef Ben Yaccob (685-706 h./1286-1306 A.D) took care about improving relationships with Granada. He gave up all the minor Marinian bases in Al-Andalus. He also transferred Bani Ashqilola to Morocco in 687 h./1288 A.D. This did not eliminate suspicious of Grenadians. So, Al Faqih -- King of Granada allied with Sanshu king of Quishtala and occupied the city of Tarif (691 h./1292 A.D) the Granadians invaded Sabta (705 h./1305 A.D) during the reign of Mohammad III King of Granada while Christians occupied Gibraltar (709 h./1309 A.D).

This was followed by peace conventions between Morocco and Granada on one hand, and Quishtala and Aragon on the other hand in 733 h./1333 A.D .

After that, Prince Abu Malek Ben Sultan Abul Hassan Ali Elmarini held a four-year peace convention with Quishtala and Aragon, but the Marinian Army under the leadership of Sultan Abul Hassan Ali El marini (731-749 h./1331-1348) was defeated by the Spaniards in Tarif battle in (741 h./1340 A.D).

As a result, he had to hold a long-term peace convention with Christian Kingdoms. The state of peace and security lasted also during the reign of Sultan Abu Anan Faris Elmarini (749-759 h./1348-1359 A.D).

The Marinian relationships with both Granada and Christian Kingdoms were not disturbed except by the escape of Abul Fadl Mohammad, a brother of Sultan Abu Anan, to Quishtalah after he had been in Granada. This didn't prevent exchanging diplomatic relations between Fez and Granada specially during the reign of Elghanei Bellah Mohammad Ben Al Ahmar (his first state 755-760 h./1354-1359 A.D).

During the period of ministers' domination (759-869 h./1358-1465 A.D), ministers and court officers controlled all the affairs of the state. Sultans became dolls in the hands of ministers as a result of their young age. The policy of the Marinian State tended towards the quality of court ties. The phenomena of political asylum a rose between both sides.

Granada became a base of launch for those demanding the Marinian throne. This what happened with Sultan Abi Salem Ibrahim (his first state 760-762 h./1359-1361 A.D). And when Alghanei Billah Mohammad was dethroned in 760 h./1359 A.D he asylumed to Fez with his minister Lisaneddin Ibn El-Khatib.

The relationships with Granada became tense during the reign of Sultan Abdilaziz Ibn Abil Hassan (767-774 h./1365-1372 A.D) when they demanded to hand Alganei Billah and his minister . When the Marinian Sultan refused, Granada started to interfere in the internal affairs of Morocco through making Abil Abbas Ahmad Ibn Abi Salem (his first state 776-786 h./1374-1384 A.D) as a sultan of Morocco. Granada also interfered through appointing the last Sultan of Bani Marin Abdel Haq Ibn Abi Saeed Otman (823-869 h./1420-1465 A.D).

During the period of the domination of ministers, the ties between the Marinian State and the Christian Kingdoms ranged from the Quashtalian-Aragonian interference in the affairs of the Marinian State, to sign political and commercial treaties between both sides. Meantime, the Christian Kingdoms continued its aggressive policy towards Al-Andalus.

Finally, the Marinian State could leave significant prints of civilization in all aspects of life, especially in ruling systems, architecture, cultural, religious and scientific aspects. This was encouraged by the policy of the open-state and by the Sultans themselves, moreover, this state didn't depend on any special political or religious thought.